محاضرات
في
الدعوة الإسلامية

تأليف
دكتور / محمد سعد علي شعيب

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية
أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجـا ، فاسـتقام على جادته العلماء والدعاة إلى الله تعالى ، فأصـبحوا بـه المـثل الأنقى والأنفى في كل خير وصلاح . والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين ، وسيد الدعاة إلـى رب العالميـن ، الذي أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وبعد &

فمما لا جدال فيه أن الدعوة إلى الله – تعالى – شرف عظيم لكل من ينتسب إليها ، فهي وظيفة الأنبياء ، والمرسلين الذيـن أقاموا التوحيد ، وأرسوا قواعد الحق ، والعدل المبين بمنهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهـذه محاضرات في الدعوة إلى الله – تعالى – أردت مـن خلالها أن أبصر نفسي ، وطلابي لنصل سوياً إلى أفضل السـبل فـي الدعـوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ؛ فـالدعوة إلـى الله فـيض من مشاعر الشفقة على عباد الله ، والـرحمة لهم حتى لا يتيهوا عن الحق ، ويقعوا غداً في لهيب

الحسرة والندامة

الـــندامة ، والحسرة ؛ ﴿ يوْمَ لاَ ينفَعُ مالٌ ولاَ بنُون {٨٨} إلاَّ منْ أتَـــى اللَّـــه بِقَلْبٍ سلِيمٍ {٨٩}﴾ (١) قائلين ﴿ ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ... ﴾ (٢).

كمـــا أردت أن أبيـــن لهم ما وقع لرسول الله ﷺ ، وهو سيد البشر – من ابتلاءات ، ومحن ، ومواقف عنيفة ، وكثيرة ، وطويلة مـــن التكذيـــب ، والصد ، والإعراض – وهو صابر محتسب ؛ لا يـــزيده التكذيـــب والإعراض إلاّ ثباتاً على الحق ورحمة بالخلق ، حتى بلّغ رسالة الله ، كما أرادها الله – تعالى .

وقـــد حاولت جهدي أن تكون هذه المحاضرات من خلال ما ثبت وقوعه عن طريق القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، والسيرة المعتمدة ؛ فإن كنت قد أصبت فمن الله وحده التوفيق ، وإن كان فيما ذكرت من خلل ، أو تقصير ؛ فحسبي أني بشر ، فما من عـــالم " كتب كتاباً في يوم إلا قال في غده ، أو بعد غده ؛ لو كان غـــير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكـــان أفضـــل ، ولـــو تـــرك هـــذا لكان أجمل " ؛ كما قال العماد الأصـــفهاني ، ولهذا فلست أدعي السلامة من العيوب ، ولا الخلو مـــن الهفـــوات ، ولا الســـلامة من الزلات ، فالعصمة لله وحده –

---

(١) سورة الشعراء (آية / ٨٨ – ٨٩) .

(٢) سورة إبراهيم (آية / ٤٤) .

سبحانه – أحسن كل شيء صنعا ..

تعريف الدعوة لغة :

وردت كلمــة الدعــوة في اللغة بمعانٍ كثيرة تدور حــول الــنداء ، والطلــب ، والصيحة ، والاستغاثة ، والدعاء إلــى الله ، ورجاء الخير منه ، والحث على القصد ، أو الاعتقاد ، والسؤال ، والــنداء ، وطلــب النصرة ، وكلمة التوحيد ،والبلاغ ، والنشر ، والنسب ، والطلب للطعام ، والإغواء ، والإضلال ، والهوى .

ففــي القاموس المحيط : " الدعوة : هي النداء للمشاركة في شئ ... ، وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً حتى يتجمعوا " (١)

وفــــي المصباح المنير : " دعوت زيداً : ناديته ، وطلبت إقباله ، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي إلى الله ، والجمع : دعــاة ، وداعــون . والنبي داعي الخلق إلى التوحيد ... " (٢)

وفي مختار الصحاح : (د . ع . ا) : الدعوة إلــى الطعام بالفــتح ، يقال كنا في دعــوة فــلان ، والدَّعِي مــن تبنيته ، ومنه قوله – تعالى – ﴿ **وما جعل أدعياء كم أبناءكم** ﴾ (٣)

وفــي المعجــم الوجيز : " دعا بالشيء – دعْواً ، ودعْوة ،

---

(١) القاموس المحيط (جـ صـ) .

(٢) المصباح المنير : المقري الفيومي (صـ ١٩٤) .

(٣) مختار الصحاح : للإمام / محمد بن أبي بكر الرازي (صـ ٢٠٥٥) .

ودُعـاة ، ودعْـوى : طلب إحضاره ، والأمر إلى كذا : تطلّبه ، وفلانـاً صاح به وناداه ، ويقال : دعا الله : رغِب إليه ، وابتهل ، ورجا منه الخير . ودعا لفلان : طلب له الخير ، ودعا القوم : طلبهم إلى طعام ، ودعا على فلان : طلب لـه الشر . ودعاه يزيد وزيـداً : سماه به ، ودعاه لفلان : نسبه إليه ، ودعاه إلى الشيء : حـثه علـى قصده ، يقال : دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة . ادعـى ملكـة الشيء : زعمها لنفسه . وادعى على فلان كـذا : كنسـبه إليه وخاصمه فيه . ومنه : البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر " .

وتداعـي القـوم : دعـا بعضـهم بعضاً حتى يجتمعوا ! . واستدعاه : طلبه . الداعية : الذي يدعو إلى دين أو فكرة . والدعوة ؛ يقال : دعاه بداعية الإسلام ، والدعوة : الحث على اتباع نحلة أو مذهب ، ونحو ذلك . (١)

وفـي معجـم مقايـيس اللغة : " الدال ، والعين ، والحرف المعتل : أصل واحد ؛ وهو : أن تميل الشيء إليك بصوت ، وكلام يكـون مـنك ، فتقول : دعوت ، أدعو دعاء ، وداعية اللبن : ما

---

(١) راجع : المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربيـة – طبعة خاصة بـوزارة التربيـة والتعليم . ط : الهيئـة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، (صـ ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

يترك في الضرع أي ليطلب ما بعده " [١] .

وفـــي لسان العرب : دعا الرجل دعواً ، ودعاءً ، والاسم الدعــوة ، ودعــوت فلاناً : أي صحت به ، واستدعيته ، وتداعى القــوم : دعــا بعضهم بعضاً حتى تجمعوا ... ودعاه إلى الأمير : ســاق إلــيه ، والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدىً ، أو ضلالة ، وأحدهــم : داعٍ ، ورجل داعية إذا كــان يدعو الناس إلى بدعة أو دين " [٢]

والخلاصــة لمــا جاء في المعاجم اللغوية ؛ نجد أن الدعوة تفيد ما يلي :

١ - الدعوة إلى الحق ، وإلى طريقه .

٢ - الدعوة إلى الباطل ، وإلى طريقه .

والدعوة إلى الحق دعوة إلى الخير ، وهي واحدة لا تشعب فــيها ، ولا تناقض ، وهي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {٦٢}** ﴾ [٣]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (جـ صـ) .

(٢) لسان العرب (جـ ١٤ صـ ٢٥٧ – ٢٦٢) .

(٣) سورة الحج (آية / ٦٢) .

وردت كلمة " الدعوة " في أماكن كثيرة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وجاءت في القرآن الكريم بكل الصيغ ، والمشتقات التي تستخرج من مادة (دعا) ، فجاءت بصيغة الأمر ، والماضي ، والمضارع ، من ذلك قوله – تعالى – ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [١]، وقوله – تعالى – ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٣} ﴾ [٢] ، وقوله عز وجل : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٠٨} ﴾ [٣] .

وجاءت لفظة الدعوة لتفيد معاني كثيرة من ذلك أنها جاءت لتفيد الاستجابة للتوحيد ، قال – تعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {٢٤} ﴾ [٤] ؛

---

(١) سورة النحل (آية / ١٢٥) .
(٢) سورة فصلت (آية / ٣٣) .
(٣) سورة يوسف (آية / ١٠٨) .
(٤) سورة الأنفال (آية / ٢٤) .

وبمعنى السؤال في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون {١٨٦}﴾ (١) ؛ وبمعنى الاستعانة والنصر في قوله - تعالى - : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ... ﴾ . وللدعوة الإسلامية مجالات كثيرة تشمل كل مناحي الحياة ؛ سواء كانت دينية ، أو اجتماعية ، أم سياسية ، أم اقتصادية ، أم حربية جهادية ، أم قضائية ، أم تربوية ثقافية . (٢)

لإقامة دين الله الذي ارتضاه لعباده لإسعادهم في الدنيا والآخرة ، ولمواجهة المفسدين في الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة ، خوفاً عليهم من عذاب الله ، وخوفا من خرقهم للسفينة التي تحمل الجميع ، فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا

(١) سورة البقرة (آية / ١٨٦) .
(٢) راجع : المدخل إلى الدعوة الإسلامية للدكتور / عبد الله بركات (صـ ١٧) .

ونجـوا جمـيعاً " [1] ؛ فدلالة الحديث الشريف واضحة في أهمية الدعوة الإسلامية في جميع مجالات الحياة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ، واتقـوا فتنة لا تصـيبنن الذيـن ظلموا منكـم خاصـة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ [2]

وكمـا جاءت الكلمة في القرآن الكريم فقد وردت في السنة النـبوية بمفهومها المرادف للدعوة في رسالة الرسول ﷺ لهرقل " أدعـوك بدعاية الإسلام " [3] ؛ أي بدعوة الإسلام ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله .

ووردت أيضا لتشمل من يدعو إلى الهدى أو من يدعو إلى الضـلال . فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " من دعا إلـى هـدى كـان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : كتاب الشركة : باب هل يقرع في القسمة والاستهام حديث رقم (٢٤٩٣) ، (جـ ٥ صـ ١٣٢) .

(2) سورة الأنفال (آية / ٢٤ – ٢٥) .

(3) فتح الباري بشـرح البخاري : كتاب بدء الوحي : باب حديث أبي سفيان عند هرقل (جـ ١ صـ ٣٢) .

من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا . (١)

وكـل داع يتمـيز بمـا يدعو إليه ، والدعاة إلـى الله هم خـواص خلـق الله ، ومن أفضل الناس عند الله ، يقول الإمام ابن القـيم : " الدعـاة ... الذيـن يدعون إلـى دينه وعبادته ومعرفته ومحبـته ، هؤلاء هم خواص خلق الله ، وأفضلهم عند الله منزلة ، وأعلاهم قدراً " . (٢)

---

(١) رواه الإمام مسلم فـي صحيحه كتاب العلـم (جـ ٤ برقم ٢٠٦٠) ، وأبـو داود (جـ ٤ صـ ٢٠١) .

(٢) راجع : مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (جـ ١ صـ ١٩٢) .

الدعوة في الإصطلاح :

للدعوة تعريفات كثيرة في اصطلاح علماء الدعوة الإسلامية تتفق جميعاً على غاية واحدة ، وكلها بحمد الله متعاضدة متساندة ، لا متنافره ، متعاندة .

التعريف الأول : " هي الخضوع لله تعالى وهي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحيا على رسوله ﷺ في القرآن الكريم وبينها في السنة " [1]

التعريف الثاني : بأن الدعوة إلى الله " برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق ... وهي تقوم على العقل والهدى ، وغيرها يقوم على الحمق والهوى ... ، ومعالمها تتبع من فلسفات فكرية ، بل هي توقيف من الله " . [2]

التعريف الثالث : " هي الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به ، وفيما نهوا عنه ، ولأن الإسلامَ آخر الأديان وخاتمها وأتمها وأكملها ، فإن الدعوة إلى الله تعالى تعني : الدعوة إلى الدخول في

---

(1) الدعوة الإسلامية . أصولها ، ووسائلها للدكتور / أحمد أحمد غلوش (صـ ١٠ – ١٢) .

(2) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة : محمد الغزالي – مطبعة السعادة (صـ ١٥) .

دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وحياً من عند الله " . ( )

الـتعريف الرابع : " إعلام الناس بدين الله الذي ارتضاه الله للعالميـن تعييناً لخلافتهم ، وتيسيرا لضرورتهم ، ووفاء بحقوقهم ، ورعايـة لمصـالحهم ، وتكريماً لإنسانيتهم ، وإشاعة الحق والعدل فيما بينهم ، وهي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني بإبراز ماله من حقوق ، وما عليه من واجبات " . (٢)

الـتعريف الخامس : " والدعوة تعرف بأنها نقـل الأمة من محيط إلى محيط بتبصيرها بأمر دينها على قدر الطاقة الإنسانية ، وهـي وظـيفة الأنبـياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهـم أجمعيـن ، وواجب العلماء مـن اتباعهم ومسئولية المؤمنين جميعا من أمتهم " (٣)

والـذي نستخلصه من هذه التعاريف أنها لو ضمت بعضها إلى بعض لصارت نسجاً واحداً لحمته وسداه ، الخضوع ، والانقياد للإسـلام عقـيدة ، وشريعة ، وأخلاقاً ، وتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به ، وطاعتهم فيما أمر به ، نهى عنه ، لتحقيق خلافة الإنسان فـي الأرض ، وتكريمه ، وإشاعة الحق والعدل ، وضبط السلوك

---

(١) فقه الدعوة إلى الله : للدكتور / على عبد الحليم محمود (جـ ١ صـ ١٦) .

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية : محمد الراوي (صـ ١٣) .

(٣) تذكرة الدعاة : البهي الخولي (صـ ٢٩) .

الإنساني ، لأن الدعوة الإسلامية توقيفية من الله عز وجل .

الحاجة إلى الدعوة : خلق الله عباده ، وهم لا يستغنون عن رزقـه ، ولا عـن هدايته ، فهم فقراء إليـه فيما يطعم أبدانهم من جوع ، وكذلك ، فيما يزكي أرواحهم من كدر .

وقـد خلـق الله عـباده لعباداته وحده ، وأخذ عليهم العهد والميثاق في عالم الذر على عبادته ، وتوحيده ، قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** " [1].

ومـن ثم فالإنسان مفطور على التوحيد قبل وجوده ، وبعد وجـوده وحدوثـه ، وفي حاجة ماسة إلى أن يدرك ما جاء من الله صـافياً مـن كل كدر ، وهذا لا وجود له إلا في الدعوة الإسلامية التـي قامـت على العقل والاستقامة ، كما قـال تعالى : ﴿ **فلذلك فـادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقـل آمنت بما أنزل الله** ﴾ [2]

كما أن معالم هذه الدعوة توقيفية من الله لا تخضع لفلسفات

---

(1) سورة الأعراف (آية / ١٧٢ – ١٧٣) .

(2) سورة النحل (آية /) .

فكـــرية خاصــــة ، ولا تميل مع الشهوات ، والأهواء ، قال – عز وجــل – ﴿ **قــل هـــذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** " [1] فهي واضحة مكشوفة للعامة والخاصة ، مستعلنة بكل دقــيق ، وجلــيل فيها ليست كغيرها إلى تغميض العينين أو إلغاء العقـــل ، ولذا نرى أن الإقناع بها ينهض على آيات بينات من لدن حكيم خبير ، وعلى الحصافة ، وإحسان العظة ، والدعاة إلى الله هم أصـــدق الــناس في هذا الإتجاه ، لأن عملهم مستمد من وحي الله القـــائل : " ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فـــتفرق بكـــم عـــن ســـبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ [2] . وصـــراط الله تعالى المستقيم فيه ضمان لمصالح الناس ولسعادتهم في الدنيا والآخرة مهما جادل المجادلون ، وعاند المعاندون .

والـــناس محـــتاجون إلى أن يعرفوا الله كما عرف نفسه إلى عـــباده فـــــي القرآن ، ومحتاجون إلى من يهدئ من روعهم عند الفـــزع ، والقلـــق ، والاضطراب من خلال ما بينه الله على لسان رسوله ﷺ بـــل إن العالم في حاجة ماسة إلى أن يعرف رسول الله ﷺ ، وأن يـــدرس دعوته دراسة بعيدة عن الافتراء والتزيد ليأخذ من دعوته ما يقيه شر الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة يوسف (آية / ١٠٨) .
(٢) سورة الأنعام (آية / ١٥٣) .

إن العـــالم في حاجة ماسة إلى رحمة الله تبارك وتعالى التي لا تـــدرك إلا من خلال دينه الذي هدى إليه عباده ، وألزمهم به فكـــل نداءات الله تعالى لعباده في كلامه المنزل لا نجد في أعقابه إلا أمراً بما فيه مصلحتهم ، أو نهيا – عما فيه مفسدتهم ، ثم انظر إلـــى إرســـال الرسل والأنبياء إليهم ، فيخاطب عباده ويعرفهم إلى ذاتـــه عن طريقهم ، هل نجد فيها إلا أوضح برهان على تكريم الله تعـــالى لهم ورحمته بهم . أو ليس هو القائل عن رسوله ﷺ ﴿ **وما أرســلناك إلا رحمـــة للعالمين** ﴾ [١] والقائل : ﴿ **وربك الغني ذو الرحمة** ﴾ [٢] ، والقائل : ﴿ **ورحمتى وسعت كل شئ** ﴾ [٣]

وهـــا هو سيد الدعاة إلى الإسلام ، وإمامهم في ذلك نجـــد مـــدى رحمـــته بالـــناس جمـــيعاً فهو القائل : " الراحمون يرحمهم الرحمـــن تـــبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم مـــن فـــــي الســـماء " [٤] ، ولمـــا قـــال له بعض أصحابه في بعض الغـــزوات عـــن المشركين : لو لعنتهم يا رسول الله فقال : " إنما بعثـــت رحمـــة ، ولم أبعث لعانا " [٥] ، ولم يطلب منه ﷺ الدعاء

---

(١) سورة (آية /) .
(٢) سورة (آية /) .
(٣) سورة الأعراف (جزء من الآية / ١٥٦) .
(٤) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والحاكم في المستدرك .
(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة .

على أحد من الناس مسلما كان أو كافرا ، عموما ، أو خصوصا ، إلا وعـدل عـن الدعاء عليه إلى الدعاء له بالرحمة ، والمغفرة ، والهداية ، ولما حاصر الطائف أكثر من عشرين يوماً ، واستعصت على المسلمين ، أمرهم ﷺ بالرحيل ، فقال له قائل منهم : يا رسول الله أدع الله علـى ثقيف – أي على الطائف – فرفع يديه قائلاً : " اللهـم اهـد ثقيفاً وائت بهم مسلمين " (١) ، وثقيف هذه هي التي طردته عندما هاجر إلها وألحقت به من الضرر والأذى ما لم يبلغه أحـد من المشركين في إيذائه ﷺ . وقيل : يا رسول الله : إن دوسا قـد كفـرت وأبت فادع عليهم ؛ فقال : " اللهم اهد دوسا وائت بهم مؤمنيـن " وعـندما فتحت له مكة ، ودان له أهلها ، دخلها ساجداً شاكراً ، ولم تتسلل إلى مشاعره وقلبه حظوظ النفس في الانتقام .

وإنمـا وقف عند الكعبة يخطب في جموع المشركين ، وهم الذين آذوه وائتمروا به أن يقتلوه ، فقال لهم : ما تظنون أني فاعل بكـم ، قـالوا : أخ كريم وابن أخٍ كريم . فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. (٢) هكذا تكون الحاجة إلى الدعوة الإسلامية .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه .

(٢) خاتم النبيين : الإمام محمد أبو زهرة (جـ صـ) .

حكم الدعوة الإسلامية :

وظـيفة الأمـة الإسلامية التي أرادها الله هي حراسة وحي السـماء ، وإبقائه عالياً وقد أوضح الله ذلك في كتابه العزيز حيث قـال : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويـنهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [١] وقال : ﴿ **كنتم خـير أخرجـت للـناس تأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمـنون بـالله** ﴾ [٢] . وقـال : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ [٣].

لقـد فهـم السـلف الصالح من هذه الآيات أن أداء الدعوة الإسلامية واجب ، إلا أن العلماء اختلفوا في نوع هذا الوجوب : - فذهب بعض العلماء إلى أن الدعوة إلى الله تعالى فرض عين على كل مسلم . وذهب البعض الآخر إلى أن أداء الدعوة إلى الله تعالى فرض كفائي ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وسبب اختلافهم هـو لام الأمـر في قوله - تعالى " ولتكن " ولفظ " من " في قوله تعالى " منكم " ، هل من للبيان أم للتبعيض ؟ .

١ - فمـن رأى أن " من " للبيان ، قال : إن هذه الآية تدل

---

(١) سورة آل عمران (آية / ١٠٤) .
(٢) سورة آل عمران (آية / ١١٠) .
(٣) سورة البقرة (آية / ١٤٣) .

على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وجوبا عينيا على جميع أفراد الأمـــة الإسلامية وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولتكن مـــنكم أمـــة يدعون إلى الخير** ﴾ المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه " (١) كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال – قال رسول الله ﷺ " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فـــإن لـــم يســـتطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " (٢)

وفي رواية " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ، وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي بسنده عن حذيفة ابن اليمامة أن النبـــي ﷺ قال : " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " (٣) ، ومن ثم فلابد من سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر ، وقد انعقد إجماع الأمة على وجوب البلاغ والأمـــر والنهي لعموم الأخبار الواردة في ذلك ولشدة التحذير من تركه " (٤)

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم : الإمام ابن كثير (جـ ١ صـ ٣٩٠) .

(٢) رواه الإمام مسلم .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو – وقال الترمذي حسن .

(٤) انظر : المدخل إلى الدعوة الإسلامية للدكتور / عبد الله حسن بركات (صـ ٣٦)

قـال تعـالى في وصف الأمة الإسلامية ، وفي بيان سبب اصطفائها : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتـنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..** ﴾ [١] وقال – عز وجل – ﴿ **ادع إلـى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هـي أحسـن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتديـن** ﴾ [٢] وقال سبحانه : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علـى بصـيرة أنـا ومـن اتبعنـي وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ [٣] يقول الإمام ابـن كثير فـي تفسيره لهذه الآية : (يقـول تعـالى لرسوله ﷺ ... أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي طريقـته ، ومسلكه ، وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ علـى بصـيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي " . [٤] فكل من يؤمـن بالإسلام عقيدة وشريعة مأمور بتبليغه إلى الناس جميعاً لأنه من واجبه ، طالما أنه قادر على الدعوة ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكـتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في**

---

(١) سورة آل عمران (آية /) .
(٢) سورة النحل (آية /) .
(٣) سورة يوسف (آية / ١٠٨) .
(٤) تفسير القرآن العظيم (جـ ٤ صـ ٤٩٦) .

الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [١]

قال ابن كثير : " هذا وعيد شديد لمن كتب ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب ، من بعد ما بين الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله " [٢] .

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة من خلال أفعاله وأقواله ، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة منها : ما روى عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " [٣] ، وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه له ، ورب حامل فقه إلى من أفقه منه " [٤] ، وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال :" الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان" [٥] .

---

[١] سورة البقرة (آية /) .
[٢] تفسير ابن كثير (جـ ١ صـ ٢٠٠) .
[٣] رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، انظر الترغيب والترهيب (جـ ١ صـ ٦٤) .
[٤] رواه أحمد وابن ماجه والطبراني ، انظر : الترغيب والترهيب (جـ ١ صـ ٦٥) .
[٥] رواه البزار ، وانظر الترغيب والترهيب (جـ ١ صـ ٧٤) .

وممـــا تقدم نخلص إلى أن الدعوة إلى الله واجبة على جميع أفراد الأمة فيما لهم فيه قدرة عليه ، وهي واجبة وجوب كفائي على الأمـــة كلهـــا بشرط أن تقوم بتأهيل فرقة قادرة على القيام بواجب الدعوة ونشرها في كل مكان .

شروط يجب توافرها في الداعي :

يشـــترط فيمن يقوم بواجب الدعوة أن تتوفر فيه عدة شروط منها :

الأول : قدرة علمية : بأن يكون متبصراً بالأحكام الإسلامية المتعلقة بالدعوة وآدابها ، وهي :

١ – أن يكـــون عالمـــاً بأحكام كتاب الله تعالى من الفرض والواجب ، والناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام .

٢ – أن يكون عالما بسنن رسول الله ﷺ .

٣ – أن يكـــــون عالمـــا بأقـــاويل الســـلف وإجماع الناس واختلافهم .

٤ – ألا يجعـــل من عواطفه ميزانا يحتكم إليه ، ثم يخوض فجاج الدعوة على أساس من تلك العواطف ، ذاعا أنه يدعو إلى الله ويجاهد في ذلك الجهاد الأكبر .

٥ – أيـــن يتمســـك فـــي خاصة نفسه بالضوابط والقواعد

الإسلامية . وذلك لقوله – تعالى – ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (١)

الثاني : قدرة على البيان والفهم : بأن تكون له قدرة على البيان ، والتوضيح تعصمه من التخبط والزلل ، فاهماً لفقه النص حتى لا يفهم النص على غير وجهه فقد وقع كثيرون في أخطاء عظيمة بسبب عدم فهمهم ، للنص مثل : من وقعوا في فتاوى مضحكة ، فقد صلى أحدهم الوتر بعد الاستنجاء ، من غير إحداث وضوء ، واستدل على ذلك بقوله ﷺ " من استجمر فليوتر " وقد فهم منه صلاة الوتر مع أن المراد منه إيتار الجمار عند الاستنجاء .

كما فهم آخره : من نهي رسول الله ﷺ " لا يسقي الرجل ماءه زرع غيره " ، فقد فهم أن المنع لعدم سقي بساتين وزروع الجيران مع أن النهي في النص عن عدم وطئ الحبالي من السبايا . وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والجهمية والروافض وسائر طوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ، وعن رسول الله ﷺ حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام ، وقد أصل النبي ﷺ حتمية فهم النص ، قبل العمل به حتى لا يقع الإنسان في غير المراد ، فحين قال رسول الله ﷺ لنسائه من أمهات المؤمنين :

---

(١) سورة يوسف (آية / ١٠٨) .

" أســرعكن لحوقــاً بــي أطولكن يدا " ، فقد حملنه – رضي الله عنهن – أيتهن أطول يداً ، بل قد جاء في بعض الأحاديث أنهن أخذ " قصبة " لقياس أي الأيدي أطول ؟ والرسول ﷺ لم يقصد ذلك إنما قصــد الــيد في الخير والبذل ، وهذا ما صدقه الواقع وكانت أول نســائه لحوقاً به كما ذكر الإمام السيدة سودة ، وقيل السيدة زينب بنت جحش [1]

ولهذا أمر الله بالتفقه في الدين أي في النص سواء قرآن أو سنة ، قال تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [2]

فقــد دلت هذه الآية أن الواجب على الدعاة أن يتعلموا العلم الشرعي ، ويعلموا معانيه ، ويفقهوا أسراره ليعلموا غيرهم . وفي الآية أيضاً دليل وإرشاد وتنبيه لطيفة [illegible] وهو أن المسلمين ينبغي لهــم أن يعــدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقــوم بها ، ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها . [3]

---

(1) انظر : منهــج الدعــوة (صـ ٩١ – ٩٨) : د / حسيــن خطاب ، منهــج الدعــوة (صـ ١٠١) د / عبد المنعم أبو شعيشع .

(2) سورة التوبة : (آية / ١٣٢) .

(3) راجع تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة / عبد الرحمن المصري (جـ ١ صـ ٤٦٨) .

يقـــول الدكـــتور / عـــبد الكريم زيدان : " فعلى الداعي أن يحـــرص أن يكون دائماً من المتفقهين في الدين ، العلماء بأحكامه المعلميـــن للـــناس الخـــير حـــتى يصـــبه ما نطقت بـــــه الآيات والأحاديث [1] لأن الناظر في قوله تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليـــنذروا قومهـــم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [2] يستنبط منها الأمور الآتية :

١ – أن الله سبحانه وتعالى يريد ألا تخلو فئة مؤمنة قلت أو كـــثرت مـــن دعـــاة بيـــن ظهرانيها يبصرونهم ويعلمونهم مسائله وأحكامه .

٢ – أن لفظة النفرة تدل على أن المقصود في العلم مجالات مـــتعددة ، ومطالب كثيرة في مجال التلقي والإلقاء والتعلم والتعليم معاً ، مع وجود الاستعداد النفسي للتبديل والتغيير في الفهم والتلقي.

٣ – والـــناظر فـــي كتب المعاجم اللغوية لا يرى أن لفظة طائفـــة تخـــدم المجال العددي فحسب ، بل تغدق على طالبي العلم مهـــام وممـــيزات أخرى وفيرة ، ومن بين المعاني التي تدل عليها لفظـــة " طائفـــة " أنه يقول طاف حول الشئ ، وبالشيء يطوف ،

---

(١) أصول الدعوة للدكتور / عبد الكريم زيدان (صـ ٣٢٧) .

(٢) سورة التوبة : (آية / ١٣٢) .

طوفـا ، وتطوافـا ، وطوفانا ، وطاف حول الشيء وبه تطويفا ، وأكثر المشي من حوله ، وطوف الناس ملأوا الأرض كالطوفان ، ورجـل طاف أي كثير الطواف ، وأطاف به الخيال طوفاً ، ألم به فـي النوم ، وأطاف بالأمر أحاط به ، والطوفان المطر ، وهو من كـل شـيء كثيره . [1] فهذه المعاني الكثيرة تدل على ما تحمله الكلمة من الإحاطة بالمسائل والغوص فيها وفهم ما يدور حولها من أمور وعدم الإشباع من التلقي ، والصبر على البحث والتنقيب في متون الكتب وبطون المراجع .

٤ – أن لفظـة (ليتفقهوا) تفيد الاختيار الدقيق للدعاة من أصـحاب المواهـب القويـة والفطـر النقية ، فالدعاة الموهوبون المخلصـون هـم وحدهم الذين يؤثرون على المدعوين ورد الشبه ودحض الفري .

٥ – كما أن لفظة " ليتفقهوا في الدين " تتعدى بنفسها وبحرف الجر فتفيد معنى الفهم والعلم والمغالبة في الجدل والحذق والفطنة ، فيقال فقه الشيء فقهاً فهمه ، وفقه الرجل فقها ، وفقه فقاهة علم ، ويقال فقهـه وأفقهـه علمـه وأفهمه ، والفقه العلم بالشيء والفقه الفطنة والحذق وفقه فلاناً فقهاً غلبه في العلم .

٦ – والـتفقه الـوارد في الآية لا يقتصر على علم الفروع

---

[1] انظر المعجم الوجيز (صـ ٣٩٧) .

وإنمـا يراد به حسب المعنى اللغوي الفهم والعلم في المجال الديني كلـه ، فهـوى عام يشمل فهم الأصول والفروع ، وعلوم الكتاب والسـنة كلهـا ، وما يرتبط بهما من لغة ، وتاريخ ، وعلوم أخرى تحقـق غرض التفقه ثم الدعوة ، فإذا لم يتحقق في الداعية ما سبق فهـوى يصنف في عداد المؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يعد مـن الدعـاة لأن التحصـيل المحدود لا ينقله إلى مرتبة الإرشاد الخاص بأرباب الفقه والدعاة الموهبين . (١) الذين استشهد الله بهم " فـي توحـيده ، وقـرن شـهادتهم بشهادته ، وشهادة الملائكة ، وهـــذه تزكـية لهـم من الله وتعديل وتوثيق لأن الله تعالى لا يستشهد بمجروح " (٢)

قـال تعالى : **﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسم لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .**

ثالثاً : الإيمان العميق : يشترط في الداعية إلى الله أن يكون لـه إيمان عميق ينبض به كيانه كله ، ويسري فيه مسرى الدم ، لا يـتأثر ولا يضعف لأي سبب مهما كان نوعه وطبيعته ، فهو ليس من الذين قال الله فيهم : **﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن**

---

(١) راجع بحث : ولتكن منكم أمة للدكتور / عبد الله يوسف الشاذلي ، بحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا (١٥١ – ١٥٢) . العدد .

(٢) أصول الفقه للدكتور / عبد الكريم زيدان (صـ ٣٢٧) .

أصابه خيرا اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ (١)

فإيمـــان الداعي لابد أن يكون ثابتاً لا يتزعزع مهما صادفته محنة أو شدة، ومهما كانت حالته من ضعف وقلة .

هكـــذا كان إيمان صحابة رسول الله ﷺ ، في جميع أحوالهم يوم كانوا في مكة محاصرين يعذبهم الكفرة ، ويوم هاجروا فارين بدينهم إلى الحبشة ، ويوم هاجروا إلى المدينة ، ويوم انتصروا في بـــدر ، وانكسروا في أحد وحوصروا في الخندق ، إنهم في جميع تلـــك الأحوال التي تقلبوا فيها لم يتزعزع إيمانهم ولم يتسرب إلى قلوبهـــم ذرة من الشك في كونهم على الحق (٢) قال تعالى : ﴿ له دعـــوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباســـط كفـــيه إلـــى المـــاء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (٣)

فائدة الإيمان العميق :

إيمـــان الداعية بدعوته يجعله في حصانة ذاتية ، خاصة في العصـــر الحاضر الذي ازدادت فيه محن المسلمين ، وحال عليهم

---

(١) سورة الحج (آية / ١١) .

(٢) أصول الدعوة : الدكتور / عبد الكريم زيدان (صـ ٣٣٤) .

(٣) سورة الرعد : (آية / ١٤) .

أهــل الباطل وجالوا ، وزادت الشبهات والشكوك كحول الإسلام ، إن الإيمــان العميق للداعي يجعله لا يندهش من هذه المحن ، ولا يبقى مفتوح العينين محدقاً بأهل الباطل إعجابا بهم وإكبارا لهم ، بل بالعكس يزداد إيماناً بأنهم على ضلال مبين لأنه يستحضر في ذهنه ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ، قال حدثنا رسول الله ﷺ يومــاً فقــال " يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ – أرض لا تنبــت لملوحتها – التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل ، وهو خــير الــناس أو من خير الناس ، فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثــنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون ن: لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني الآن ، قال فيريد الدجال أن يقــتله فلا يسلط عليه " [1] يقول الدكتور / عبد الكريم زيدان معلقــا على هذا الحديث : وفي هذا الحديث الشريف فوائد عظيمة جــداً منها – أن هذا المسلم الذي يخرج له لم يشك قط في أنه هو الدجال الكذاب ، ولم تؤثر فيه خواقه ، ولا كثرة أتباعه ، لأن دعوة الدجال باطلة ، ولا يمكن أبداً أن ينقلب الباطل حقاً حتى لو كان مع الــباطل الكثير من خوارق العادات ، ولا يمكن أبداً أن يتقلب الحق

---

(١) صحيح البخاري (جـ ٩ صـ ١٠٩) .

باطلا ، حتى لو لم يؤمن به إلا رجلا واحدا .

لوازم الإيمان العميق :

للإيمـــان العمـــيق الذي يجب أن يتحقق في الداعية إلى الله لوازم كثيرة منها المحبة ، والخوف والرجاء ومن لوازم محبة العبد لربه ما يلي :

أ – المداومـــة على ذكر الله تعالى في كل حين ، فلا يفتر عـــنه لسان الداعي ، ولا يخلو منه قلبه ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وذكر ما يتعلق به ، ومن المقصود بالذكر أيضاً الإكثار من تـــلاوة كـــتابه جل جلاله مع تسبيحه وتقديسه وتنزيهه ، مع أوراد الذكـــر التـــي وردت بهـــا السنة الشريفة عند النوم وعند الخروج والدخول والأكل والشرب واللباس والسفر والإقامة ... الخ .

٢ – يـــأنس بمناجاة الله فهو لا يستوحش ولا يضيق بها بل يعيش في رحابها بين الحين والحين .

٣ – أن يتـــنعم الداعـــية بطاعة الله ولا يستثقلها فإن المحب يـــتلذذ بخدمة محبوبه ، وينشط لها ، ولهذا كانت الصلاة قرة عين الرسول ﷺ دارجة لنفسه الكريمة من شعب الدنيا .

٤ – لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وعن القيام بخدمته

وطاعته .

٥ – يؤثر ما يحبه الله على ما يحبه هو في ظاهره وباطنه ، فإن المحب الصادق يؤثر دائماً ما يحبه محبوبه ، ولا يبالي بالمشاق والأتعاب في هذا الإيثار .

٦ – يحب لقاء الله لأن المحب يحب لقاء الحبيب ، وبالتالي فهو لا يكره الموت إذا جاء لأنه مفتاح اللقاء وطريق الوصول إلى الله .

٧ – الغيرة لله وعلامتها الغضب إذا انتهكت محارم الله فقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لربه إذا انتهكت محارمه .

مراعاة أحوال المدعوين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية :

الدعـــوة الإسلامية هي دين الله المتكامل في أسسه وأصوله وركائـــزه ، تتناول بالإصلاح والتهذيب كافة نواحي الحياة ، بنظام فـــذ فـــريد متوازن بين قوى النفس الحسية ، والمعنوية ، وهي في ذلك تعبير عن تكامل الشخصية الإنسانية التي لا ينفرط عقدها كلما تمســكت بالكتاب والسنة ، وإذا كنا لا نستطيع فصل جسد الإنسان عـــن روحه فإننا بالمثل لا نستطيع فصل الدين عن الدنيا في نظام الإسلام وفي الدعوة إلى الله عز وجل ، فالعبادة فيه مقرونة بالعمل كما تقترن النظرية بالتطبيق ، والإيمان فيه مقرون بالسلوك .

وقـــد خلق الله الناس مختلفين من حيث الصحة والمرض ، والفقـــر ، والغنـــي ، والحضر ، والسفر ، والطباع ، والنزعات ، والخـــير ، والشـــر ، والقدرة ، والعجز ، وغير ذلك من اختلافات وتباينات ، وكل هذه التباينات والاختلافات تحتاج إلى نظام متكامل مـــتوازن ليصـــلح الـــناس في كل أحوالهم وظروفهم ، ويؤثر في المدعو لاستمالته ، وإقناعه .

والـــناظر في الدعوة الإسلامية من خلال الكتاب والسنة يجد أنهـــا قامـــت علـــى نظام محكم فريد ، لأنها راعت أحوال المدعو النفسية ، والبيئية ، والاجتماعية ، والفكرية ، يتضح هذا من خلال ما يأتي :

١ - فى إختيار الرسل - عليهم السلام - :

فمراعاة لأحوال المدعوين فقد اصطفى الله تبارك وتعالى رسله من بين أقوامهم قال تعالى : « عن إرسال نبيه نوح - عليه السلام - : ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين﴾ (١) وقال عز وجل عند ذكر هود - عليه السلام - : ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤) إني لكم رسول أمين﴾ (٢) . وقال تعالى عن صالح - عليه السلام - ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (١٤٢) إني لكم رسول أمين﴾ (٣) وقال عزوجل عن لوط - عليه السلام - ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين﴾ (٤) وقال تعالى : عن شعيب - عليه السلام : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ (٥) وهكذا بعث الله تعالى إلى كل أمة رسولاً منهم ، والحكمة فى ذلك ليكون المدعو أفهم لكلام الرسول المبعوث إليه وأعرف » بحاله فى صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه والتلقى عنه (٦) . وهذا مانراه فى اصطفاء الرسول ﷺ فقد ابتعثه الله من أنفسهم قال تعالى مخاطباً الأمة الإسلامية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (٧)

وعند التأمل فى هذه الآية تتضح لنا الأمور الآتية : -

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠٧ .
(٢) سورة الشعراء آية ١٢٥ .
(٣) سورة الشعراء آية ١٤٣ .
(٤) سورة الشعراء آية ١٦٢ .
(٥) سورة الاعراف جزء من الآية ٨٥ .
(٦) تفسير الكشاف جـ ٢ ١٩٨٦وانظر مراعاة أحوال المخاطبين د . فضل إلهى ص ٩
(٧) سورة التوبة آية رقم ١٢٧ .

أ - قوله سبحانه : ﴿ لقدْ جاءكُمْ ﴾ فيه تكريم للإنسانية ، ورعاية لحقها فى الهداية حيث جاءها الرسول - ﷺ - ساعيا إلى هدايتها داعيا إلى رشدها وكرامتها ، باذلاً أقصى الجهد ليحفظ عليها قيمتها كى لا تتبدد فى ظلام الجهل .. جاءها ليحقق لها من وسائل العيش الكريم ودواعى الأمن والسلام ومقتضيات الكرامة والعزة ماهى فى أمس الحاجة إليه .

ب - أن كلمة رسول توحى أن منهج العمل الحضارى لايتسق إلا إذا قام على منهج ربانى وليس منهجاً من صنع البشر أو وضع البشر .

كما توحى الكلمة أيضاً بالبصيرة فى الإصلاح لأن منهج الله لابد أن يستوعب كل احتياجات البشر مهما تعددت .

جـ - إن قوله تعالى ﴿ من أنفسكم ﴾ توحى بالرفق والعطاء ، وحقيقة القيادة وأخلاقها التى يتم الأخذ عنها ، كما أن هذه الحقيقة تجذب قلوب المدعوين نحوه - ﷺ يقول الشيخ سيد قطب : « وفى جو السورة على العموم ، أيتين تتحدث إحداهما عن الصلة بين الرسول وقومه ، وعن حرصه عليهم ورحمته بهم .. لم يقل جاءكم رسول منكم . ولكن قال : «من أنفسكم » وهى أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الوشيجة التى تربطهم به . فهو بضعة من أنفسهم . تتصل بهم صلة النفس بالنفس ، وهى أعمق وأحس .. لايلقى بكم فى المهالك ، ولا يدفع بكم إلى المهاوى » (١) .

ويقول العلامه الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر « يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبى الأمى الذى من أنفسهم ، يعرفون حاله

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب جـ ٣ ص ١٧٤٣

ويتمكنون من الأخذ عنه ، ولا يأنفون عن الانقياد له ، وهو - ﷺ - في غاية النصح لهم ، والسعى فى مصالحهم ... يحب لهم الخير ، ويسعى جهده فى إيصاله إليهم ، ويحرص على هدايتهم للإيمان ، ويكره لهم الشر، ويسعى جهده فى تنفيرهم عنه - ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق» (١).

د - أن قوله تعالى : « من أنفَسكُم » توحى أيضا على قراءة فتح الفاء من النفاسة أى أن الرسول من أنفس القوم وأفضلهم وأشرفهم كما توحى بأن أصول القيادة لابد أن تكون قدوة لتتعلق بها القلوب ، وتألفها النفوس وتتمثلها فى العمل والسلوك .

ولعل هذا هو السر فى إخفاق القيادات البشرية - من غير الرسل - لأنها لم تكن قدوة يوماً ما .

هـ - أن قوله سبحانه « عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » أن هذه كلها صفات تحمل فى مطاويها صدق الداعية وإخلاصه فى هداية قومه ، وحرصه على إيمانهم ورحمته بهم .

والرسول - ﷺ - بهذا التصوير الرائع يحمل من العواطف الكريمة للبشرية ما يجعلة دائماً خائفا عليها من الحرج ، وأنه يحول بينها وبين المشقة ولا يدفع بها إلى المهالك والحروب ليتخلص منها كما تفعل الدول الحديثة اليوم ، بل كان فى مقدمة المجاهدين عند الجهاد ، ويكلف بأمور أكثر مشقة مما فرض على أمته .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى جـ ١ ص ٦٩٤ .

و - يوحى قوله تعالى « ما عنتم » أن الرسول - ﷺ - كان حريصا على استنقاذ البشرية من العنت (١) والإرهاق والمذلة وبهذا استطاع - ﷺ - أن يخرج من مدرسته قيادات أصبحوا خلقاً جديداً بعد أن صبهم الرسول المربى فى قالب القرآن وخلق منهم شخصيات عالمية لا يستعصى عليهم شئ من شئون الدين والدنيا فهم زهاد عباد، وقادة، وعلماء، وفقهاء، ومحدثون، وسياسيون ومحاربون، لا تعدم فيهم صفة من صفات الجلال والعظمة، وكانوا قبل الإسلام لاشئ. أصبح أبو بكر وعمر وعلى والزبير وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة، وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وبلال وعمار وغيرهم خلقا آخر بالإسلام. لقد أصبح أبو بكر مثلاً يحتذى به فى كل شئ فى الحكم والإدارة وتوجيه الجيوش وتأمين الحدود وقمع التمرد.

وهاهو عمر بن الخطاب الذى كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب وينهره ويمضى بين أقرانه فلا يعملون له أى حساب .. ويبدد قوته فى العصبية والخمر إذا به بعد تربية النبوة يفجأ العالم بنظام جديد فى الحكم فيؤسس من النظم ما كان خافياً على العالم حتى إلى عصر قريب ويقهر كسرى وقيصر ويحقق العدالة المطلقة ويسير الجيوش ويخطط لها. لقد كانت هذه المواهب بسبب نظام الإسلام الفريد القائم على كتاب الله وسنة رسوله.

وأصبح خالد بن الوليد بالإسلام سيفا لامعاً من سيوف الله لايقوم أمامه شئ إلا حصده - ورأى التاريخ منه عجائب القيادة العسكرية .. فسجل له أروع الصفحات.

---

(١) انظر الاستاذ توفيق محمد سبع. قيم حضارية من القرآن الكريم ص ٢٦ - ٢٨ بتصرف

وبلال الحبشي .. يبلغ في الفضل مبلغا يجعل عمر بن الخطاب يلقبه بالسيد .. ويصبح وزير إعلام الإسلام . فيصدع بصوته من فوق الكعبة مؤذناً بنهاية عهد الجاهلية وابتداء عهد الإسلام . وهذا « سالم » مولى أبى حذيفة ، يتمنى عمر وهو يجود بأنفاسه أن لو كان حيا ليستخلفه فيقول : لو كان سالم حيا لاستخلفته .

وغيرهم وغيرهم وهم فى الفضل سواء بفضل المنهج الإلهى والاقتداء بالنبى ﷺ أصبحوا أمثلة ونماذج للإقتداء، دلالة على ما أعطاه اختيار الله لرسوله من هداية ورحمة فى كل شئ .

ثانياً : فى ترتيب نزول القرآن الكريم : -

من معالم النظم الإسلامية أنها لاتتوافق مع الباطل ولاتهادنه - كما فعلت النظم الأخرى - ولكنها تصارعه حتى يزهق قال تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ (١) . ولذا أنزل الله تعالى أول ما أنزل آيات التوحيد ، وبعد أن فهم المدعو خصيصة التوحيد ، وعرف معالمها ، نزلت آيات الأحكام ، فآيات الخمر بمراحلها الأربعة ، ثم آيات تحريم الزنا وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة فى نزول القرآن الكريم . فقد روى الإمام البخارى بسنده عن يوسف ابن ماهك قال : « إنى عند عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - إذ جاءها عراقى فقال : أى الكفن خير قالت : ويحك ومايضرك قال : يا أم المؤمنين أرنى مصفحك .

قالت : لم ؟ قال لعلى أؤلف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير المؤلف قالت

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٨١ .

وما يضرك أية كلام ساقط قرأت قبل . إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل (١) .

فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شئ : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل : لا تزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد - ﷺ - وإنى لجارية ألعب « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده . قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور » (٢) قال ابن حجر تعليقاً على ما ذكرته أم المؤمنين عائشة : « أشارت إلى الحكمة الإلهية فى ترتيب التنزيل ، وأنه أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد ، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصى بالنار . فلما إطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام ، ولهذا قالت « ولو نزل أول شئ : لا تشربوا الخمر لقالوا لاندعها » وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف » (٣) ثم قال ابن حجر : « فهذا يدل على أن ترتيب السور على ماهو فى المصحف الآن كان فى عهد النبى - ﷺ - (٤) .

ودلالة الحديث أن الله أنزل كتابه على رسوله - ﷺ - مرتباً منظماً مراعاة لأحوال المخاطبين حتى تنتظم أمورهم مع منهج الله فى الأمر والنهى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن . باب تأليف القرآن حديث رقم ٤٩٩٣ جـ ٩ ص ٣٩ .

(٢) فتح البارى لابن حجر جـ ٩ صـ ٤٠ .

(٣) المصدر السابق صـ ٤٣ .

ثالثاً : فى تشريع الرخص :

المكلفون بأداء الفرائض تختلف أحوالهم بين الصحيح والمريض والمسافر والمقيم ، والقادر على الأداء وغير القادر ولما كانت الفرائض من لدن حكيم خبير فقد راع الله أمور عباده فى كل شئ ، فعلى سبيل المثال أمر الله تعالى بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، وراعى سبحانه حالتى المرض وفقدان الماء فشرع فيهما التيمم . قال تعالى : ﴿ وإن كُنتُم مَرضَىٰ أو علىٰ سفرٍ أو جاء أحدٌ منكُم مِّن الْغائط أوْ لامسْتُمُ النّساء فلمْ تجدُوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوُجُوهكُمْ وأيْديكُمْ إنّ الله كان عفُوًا غفُورا ﴾ (١) هكذا نجد النظام الإلهى المحكم فى رفع الضرر عن المريض أو من كان معه ماء لا يكفيه للوضوء أو عند فقد الماء فكل هؤلاء لا يحرمون من نعمته أداء الفرض .

بل إن الله سبحانه وتعالى رخص للمسافر من خلال فعل النبى - ﷺ - بالجمع بين صلاتى الظهر والعصر وبين صلاتى المغرب والعشاء وشرع قصر الصلاة الرباعية وقد روى الإمام البخارى : « عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « كان رسول الله ﷺ - يجمع بين صلاة الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير ، ويجمع بين المغرب والعشاء (٢) وفى تنظيم قصر الصلاة قال تعالى : ﴿ وإذا ضربْتُمْ في الأرْضِ فليْس عليكُمْ جناحٌ أن تقصرُوا

---

(١) الآية سورة النساء آية رقم ٤٣ .

(٢) صحيح الإمام البخارى : كتاب تقصير الصلاة - باب الجمع فى السفر حديث رقم ١١٠٦ جـ ٢ ص ٥٧٩ .

من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » (١) .

وفى تنظيم فريضة الصيام رخص الله تعالى للمريض والمسافر الإفطار فى شهر رمضان مع القضاء فى أيام أخر قال تعالى : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر يُريدُ اللهُ بكُمُ اليُسر ولا يريدُ بكُم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكُمْ ولعلّكُمْ تشكُرون » (٢) . وبهذا ارتبط المخاطبون بفرائض الاسلام أيما ارتباط لأنها متسقة معهم فى كل أحوالهم وظروفهم .

(١) سورة النسا . آية رقم ١٠١
(٢) سورة البقرة آية ١٨٥

رابعاً : فى حالتى الإكراة والإضطرار :

راعى الله أحوال الناس وظروفهم فوضع لهم نظاماً يتماشى مع ما يتعرضون له من ضغوط القهر والتسلط إن تعرضوا لها وقد دلت عدة نصوص على هذا التنظيم منها ، أن من أكره على أن يتلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فقد رفع الله عنه الإثم والحرج قال تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان ﴾ (١) كما رفع الله الإثم فى حالة الإكراه على الزنا قال سبحانه : ﴿ ولا تُكْرِهُوا فتياتكُمْ على البغاء إنْ أردْن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكْرِههُنَّ فإنَّ الله من بعد إكْراههنَّ غفُورٌ رحيم ﴾ (٢) ولهذا رتب الإمام البخارى فى صحيحه باباً سماه « باب إذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها » (٣) .

كما وضع الله نظاما لعباده فى حالات الإضطرار حتى لايهلكوا بسبب ما حرِّم عليهم فرفع عنهم الأثم وأبدلهم مغفرة ورحمة قال تعالى : ﴿ إنما حرم عليكُمُ الميتة والدَّم ولحْم الْخنزير وما أُهلَ به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إنَّ الله غفُورٌ رَّحيمٌ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٣ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الاكراه جـ ١٢ ص ٣٢١ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٧٣ .

خامساً : التفريق بين الخطأ والعمد :

مما يدل على تنظيم التشريع أنه فرق بين حالتى الخطأ والعمد مراعاة لأحوال الناس وظروفهم فعلى سبيل المثال . حرَّم الإسلام الأكل والشرب فى نهار رمضان للصائم لكن من آكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فقد اطعمه الله وسقاه فقد روى الإمام البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه : عن النبى - ﷺ قال : « إذا نسى فأكل وشرب فليتم صوم فإنما أطعمه الله وسقاه » (١) أما فى حالة العمد فقد وضعت الشريعة لذلك حكماً آخر وهو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكيناً كما فرقت الشريعة بين القتل الخطأ والعمد قال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلاَّ خطئا ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلَّمةٌ إلىٰ أهْله إلاَّ أن يصَّدَّقُوا ﴾ (٢) . أما فى حالة العمد فقد قال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا مُتعمدًا فجزاؤُهُ جهنَّم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ لهُ عذابا عظيما ﴾ (٣)

سادساً : تعدد درجات الاحتساب :

من النظم التى جاءت بها الشريعة الاسلامية نظام الحية وقد نظمه الإسلام على درجات أو مراحل عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من ذلك قوله - ﷺ - « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (٤)

---

(١) صحيح البخارى حديث رقم ١٩٣٣ جـ ٤ صـ ١٥٥
(٢) سورة النساء ايه رقم ٩٢
(٣) سورة النساء اية رقم ٩٣
(٤) صحيح الامام مسلم جـ

كما وضع الله نظاماً حكيماً فى الصلح بين الناس قال تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (١) .

ففى هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى درجتين للاحتساب هما :

١ ـ الإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين

٢ ـ قتال الطائفة الباغية .

ولم يأمر باستخدام الدرجة الثانية وهى القتال إلا عند ظهور عدم جدوى الدرجة الأولى (٢) : ـ

كما بين ـ ﷺ ـ تنوع درجات الاحتساب فى تربية الأبناء فعن عمر ابن شعيب عن أمين عن جده قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مـــروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربرهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع » (٣) . ففى هذا الحديث ذكر النبى ـ ﷺ ـ درجتين من درجات الاحتساب وهما : ـ

١ ـ الأمر بالصلاة .

٢ ـ الضرب على تركها .

وهذا التنوع يدل على أهمية التنظيم ومراعاته فى الدعوة إلى الله تعالى

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ٩ .

(٢) راجع دكتور فضل إلا هى مراعاه أحوال المخاطبين ط ٢ ١٩٩٨م صـ ٣٤ ـ ٣٦ بتصرف

(٣) سنن أبى داود كتاب الصلاة حديث رقم ٤٩١ جـ ٢ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

سابعاً : التنويع والتخيير فى الكفارات : -

طهر الله عباده من الآثام والذنوب من خلال تشريع الكفارات ووضع القواعد المنظمة لكيفية الكفارات بتشريع التنويع والتخيير فيمن وجبت عليه الكفارة .

فعلى سبيل المثال شرع الله كفارة الأيمان ، فخير العباد بين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهن أو تحرير رقيقة وإذا تعذر عليهم أحد هذه الأمور الثلاثة (١) أذن لهم بصوم ثلاثة أيام وبهذا التشريع ربط الله جميع العباد بواحدة من أربعة أمور .. « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم » (٢) .

كذلك وضع الله القواعد المنظمة للقتل الخطأ ، وفى قتل المحرم للصيد متعمداً ، ففى القتل الخطأ قال تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ﴾ (٣) .

ففى هذه الآية وضح الله كيفية الكفارة كما يلى : -

---

(١) انظر : مراعاة أحوال المخاطبين للدكتور فضل إلهى ص ٢٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٣) سورة النساء آية ٩٢ .

١ - أن من قتل مؤمناً خطأ فكفارته بتحرير رقبة مؤمنة ودفع دية الى أهل المقتول إلا أن يتنازلوا .

٢ - إذا كان المقتول من قوم بينهم وبين المسلمين عداوة وهو مؤمن فكفارته تحرير رقبة .

٣ - إذا كان المقتول من قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق فكفارته دية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة فإن لم يجد رقبه ولا اتسع ماله لشرائها فعليه صيام شهرين متتابعين إضافة للدية (١) .

كما نظم الله كفارة قتل المحرم لصيد الحرم متعمداً بين الهدى والطعام والصيام قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عنا سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو إنتقام ﴾ (٢) .

كما نظم الله كفارة الظهار فجاءت على هذا الترتيب :

١ - تحرير رقبة .

٢ - صيام شهرين متتابعين لمن لم يستطع العتق .

٣ - إطعام ستين مسكيناً لمن لم يستطع الصوم . كما قال تعالى ﴿ الَّذين يظاهرُون منكم مِن نَسائهم مَّا هُنَّ أُمَّهاتهم إنْ أُمَّهاتُهُمْ إلاَّ اللائي ولدنهم وإنَّهم ليقولون مُنكرا مِّن الْقَوْل وزُورًا وإنَّ اللَّه لعفُوٌّ غفُورٌ (٢) والَّذين يظاهرُون من نسائهم ثُم يعُودُون لما قَالُوا فتحْرِيرُ رقَبة مِّن قبْل أن يتماسَّا ذلكُمْ تُوعظُون به والله بما تعْملُون خبِيرٌ (٣) فمن لَّمْ يجدْ فصِيامُ شهْرَيْن مُتتابعين من قبل أن يتماسا فمن لَّم يستطع فإطْعامُ ستين مسْكينا . . ﴾ (٢) .

---

(١) راجع الجامع لاحكام القرآن جـ ٥ ص ٣٢٧ .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٣ - ٤ .

ثامنا : إعادة الكلام فى الدعوة والتعليم (١) :

من القواعد التنظيمية التى وضعها رسول الله - ﷺ - فى الدعوة والتعليم تكرير الكلمة ثلاث مرات ، واستخدام وسائل الإيضاح من خلال الإشارة أو رسم الخطوط أو ضرب الأمثال وبيان ذلك كما يلى :

١ - من النظام الذى وضعه رسول الله - ﷺ - لتفهيم السامعين أنه كان يكرر كلامه ويعيده . فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً (٢) وفى رواية الإمام الترمذى قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها « كان يتكلم بكلام يبينه فصل ، يحفظه من جلس إليه » (٣) .

كما كان يكرر كلامه - ﷺ أيضاً للتأكيد ولترسيخ المعانى فعن عبد الله : بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما » عن النبى - ﷺ قال : - « لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد » (٤) .

ومنه ما روى عن أنس رضي الله عنه أن النبى - ﷺ - كان يقول : « إستووا ، استووا ، إستووا ، فو الذى نفسى بيده إنى لأراكم من خلفى كما أراكم من بين يدى » (٥) وعن النعمان بن بشير قال سمعت النبى ﷺ يخطب فقال

---

(١) انظر : مراعاة أحوال المخاطبين للدكتور فضل إلهى ص ٤٦ .

(٢) صحيح البخارى كتاب العلم : باب من أعامه الحديث ثلاثاً ليفهم من حديث رقم ٩٤ جـ ١ ص ١٨٨ .

(٣) جامع الترمذى حديث رقم ٣٨٨٣ جـ ١٠ صـ ٨٥ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الصيام باب النهى عن صوم الدهر رقم الحديث ١٨٦ .

(٥) سنن النسائى : كتاب الامامة كم مرة يقول استوا جـ ٢ ص ٩١ والحديث صحيح كما قال عن الشيخ الألبانى .

أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار » فما زال يقولها حتى لو كان فى مكانى هذا لسمعه أهل السوق .. » (١) .

٢ ـ من النظام الذى وضعه رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوجية والتعليم إستخدام وسيلة الإيضاح من ذلك ما رواه الإمام البخارى عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : « خط النبى ـ ﷺ ـ خطاً مربعاً ، وخط خطاً فى الوسط خارجاً منه ، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط وقال : « هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذى هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار الأعراض ـ أى الآفات العارضة له ـ فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا » (٢) .

وأيضا ما رواه أحمد والنسائى عن عبد الله إبن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال خط لنا رسول الله ـ ﷺ ـ خطاً ثم قال : هذه سبيل الله .

ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال : هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه (٣) ، ثم قرأ : ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكُمْ عَن سَبيله ذَلكُمْ وصَّاكُم به لعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ (٤) .

٣ ـ ومن القواعد التى وضعها رسول الله ـ ﷺ ـ لتفهيم السامعين وتقريب المعانى إلى أفهامهم استخدام ضرب الأمثال من ذلك ما رواه الإمام البخارى عن أبى وموسى ـ رضي الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ ﷺ ـ مثل الذى

---

(١) سنن الدارمى رقم ٢٨١٥ جـ ٢ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الرقان : باب الأمل وطوله حديث رقم ٦٤١٧ جـ١١ ص ٢٣٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٤٣٥ والمستدرك على الصحيحين جـ ، ٢٣٩ .

(٤) سورة الانعام جزء من الآية ١٥٣ .

يذكر ربه والذى لايذكر ربه مثل الحى والميت » (١) . وأيضاً ما رواه جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال النبى - ﷺ : « مثلى ومثل الانبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة - فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنه » (٢) .

وأيضاً ما رواه الإمام مسلم : عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - قال رسول الله - ﷺ - : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (٣) .

٤ - من القواعد التنظيمة التى وضعها رسول الله ﷺ للدعاة أن يفهموا الخلفية النفسية والحياتية للمدعوين حتى يعالجوا ما لديهم من أمراض خفية فقد طلب أبو سعيد الخدرى - رضي الله عنه - من رسول الله - ﷺ - أن يوصيه فقال « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شئ ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الاسلام .. » (٤) .

وأتاه ﷺ رجل أخر فقال : « أوصنى فأوصاه بقولة « لاتغضب » فردد الرجل مرارا فلم يزد عليه الصلاة والسلام على قوله : « لا تغضب » (٥)

---

(١) صحيح الامام البخارى كتاب الدعوات : باب فضل ذكر الله عز وجل حديث رقم ٦٤٠٧ جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب : باب خاتم النبيين رقم ٣٥٣ جـ ٦ ص ٥٥٨ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والأداب حديث : ٢٥٨٦ جـ ٤

(٤) مجمع الزوائد جـ ٤ : ٢١٥ .

(٥) صحيح البخارى : كتاب الأدب حديث رقم ٦١١٦ جـ ١٠ ص ٥١٩ .

وجاءه ﷺ - الجرموز الهجيمى رضي الله عنه فقال : « يارسول الله أوصنى » قال عليه الصلاة والسلام : « أوصيك أن لا تكون لعانا » (١) .

وطلب منه - ﷺ - رجل آخر الوصية بقوله : « يا رسول الله أوصينى وأوجز فقال له « عليك بالإياس مما فى أيدى الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر . وصل صلاتك وأنت مودع ، وإياك وما تعتذر منه »

تاسعاً : ترك بعض المخالفات مؤقتاً : -

من القواعد التنظيمة التى وضعها - رسول الله صلى الله - للدعاة المصلحين فى قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دفع أعظم المفسدتين بإحتمال أيسرهما من ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال : « بينما نحن فى المسجد مع رسول الله - ﷺ إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحاب رسول الله لامه .

قال : قال رسول - ﷺ - : لاتزرموه دعوه ، فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله - ﷺ - دعاه فقال له : إن هذه المساجد لاتصلح لشئ من هذا البول والقذر إنما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن . قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه ... » (٢) يقول الإمام النووى معلقاً « فيه الرفق بالجاهل وتعليم ما يلزم من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت

---

(١) رواه احمد والطبرانى ورجاله ثقات أنظر : مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٧٢

(٢) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات جـ ٣ صـ ١٩١ حديث رقم ٢٨٥ ، وانظر : مراعاة أحوال المخاطبين للدكتور : فضل إلهى ص ٩٦

بالمخالفة إستخفافاً أو عناداً وفيه دفع أعظم الضررين بإحتمال أخفهما لقوله - ﷺ - دعوه . قال العلماء : كان قوله - ﷺ - دعوه لمصلحتين إحداهما أنه لو قطع عليه بوله تضرر وأصل التنجيس قد حصل فكان إحتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به والثانية أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد (١) .

---

(١) صحيح مسلم : بشرح الإمام النووى جـ ٣ صـ ١٩١ .

مصادر النظم الإسلامية

أولاً : القرآن الكريم :

تعريفه : « اتفق العلماء من متكلمين ، وأصوليين وفقهاء ، ولغويين على تعريف للقرآن صاغوه من مجموع الصفات الخاصة به، كالإنزال والاعجاز ، والنقل بالتواتر والتدوين فى المصاحف والتعبد بتلاوته فقالوا : « هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ للهداية والاعجاز ، والمنقول إلينا بالتواتر ، المدون فى المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس المتعبد بتلاوته » (١) .

فهذا التعريف جمع بين الاعجاز والتنزيل على النبى : ، والكتابة فى المصاحف والنقل بالتواتر ، والتعبد بتلاوته ، وهى الخصائص العظمى التى أمتاز بها القرآن وإن كان أمتاز بكثر سواها .

كيفية نزول القرآن الكريم : ـ

لم ينزل القرآن الكريم على النبى - ﷺ - دفعة واحدة بل نزل من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر جملة واحدة إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، ثم نزل من السماء الدنيا إلى قلب النبى ﷺ - منجماً مفرقاً مع الحوادث والوقائع فتارة تنزل عليه ﷺ بضع آيات كأول سورة العلق ، وتارة تنزل السورة بأكملها كسورة الفاتحة وغيرها ، وتارة تنزل آية واحدة حتى نزلت آخر آية وهى « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (٢) . قبيل وفاته ﷺ يتسع ليال فكانت المدة التى نزل

---

(١) راجع دراسات حول القرآن الكريم للدكتور اسماعيل الطحان ص ١٤ .

(٢) سورة البقرة اية رقم ٢٨١ .

فيها القران إثنين وعشرين سنة وخمسة أشهر تقريباً (١)

ونزول القرآن بهذه الطريقة كان مخالفاً لما عرف من نزول الكتب السابقة مما كان يثير عجب الكفار حتى أنهم قالوا كما حكى القرآن ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القُرآنُ جُملةً واحدةً .. ﴾ (٢) . ولكن إقتضت حكمة الله أن يتميز هذا الكتاب عما سبقه من كتب ، فى منهجه وفى ديمومته فإذا كانت الكتب السابقة قد أنزلت دفعة واحدة فلينزل القرآن الكريم منجماً حسب الحوادث والحاجات متجاوباً مع النبى - ﷺ - فى حياته ، مواكباً لقافلة الإيمان الأولى ، يُصحح مسيرتها ويقوم إعوجاجها .

الحكمة من تنزيل القرآن الكريم منجماً :

نزل القرآن الكريم منجماً لحكم كثيرة نذكر منها :-

١ - **تثبيت النبى - ﷺ -** : فطريق الدعوة إلى الله طويل وشاق ومعالجة نفوس البشر مهمة صعبة لايقدر عليها إلا أصحاب العزائم القوية، والإنسان كبشر يصيبه الوهن والضعف ، ولما كان الرسول ﷺ سيلاقى فى مهمته كل الصعاب التى تضعف العزائم وتخضع الرقاب، فاقتضت حكمة الله أن يتوالى نزول القرآن على النبى ﷺ طوال مدة دعوته لتثبيته وتقويته، وشد أزره (٣). قال تعالى :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كذلك لنثبت به فُؤادك ورتَّلْناه ترتيلاً ﴾ (٤). وقد كان للتثبيت عدة أشكال

---

(١) إنظر المصحف الشريف ابحاث فى تاريخه وأحكامه للشيخ عبد الفتاح القاضى ط ١٩٦٨م ص ١٧ .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٣٢ .

(٣) انظر . حيدر قفة . مع القرآن الكريم دراسات وأحكام صـ ٢٠

(٤) سورة الفرقان اية رقم ٣٢

متنوعة . فتارة يتخذ التثبيت شكل التذكير بالرسل السابقين وما قاسوه مع أقوامهم وكيف كانت العاقبة لهم قال تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ (١) .

وتارة يأتى التثبيت على شكل التخفيف عنه وتهوين لأمر عليه حتى لايضيق صدره بحالهم قال تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٢) .

وتارة يقتضى التثبيت تبشيره - ﷺ - بالنصر فى النهاية ، كما نصر الرسل من قبل فتلك سنة الله فى خلقه ، يتصارع الخير والشر فيكبر الشر حتى يخيل لقصار النظر ومحدودى الإدراك أنه لا مكان بعد اليوم للخير فيأتى أمر الله فيصرع الشر وحزبه وأعوانه كما قال تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ (٣)

وهكذا يكون فى توالى نزول الآيات على قلب النبى ﷺ مايثبت فؤاده ويشد من أذره ويقوى عزيمته .

٢ - **سهوله حفظه** : لما كانت الأمة العربية عند نزول القرآن الكريم أمة غير قارئة وكان النبى ﷺ أمياً وكان القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذى له

---

(١) سورة هود آية رقم ١٢٠ .
(٢) سورة الحجر آية رقم : ٩٧ : ٩٩ .
(٣) يوسف آية رقم ١١٠ .

خطره وأثره وما يراد له من قيادة البشرية منذ نزوله إلى قيام الساعه اقتضت حكمة الله أن ينزل القرآن مفرقاً حتى يسهل على المسلمين حفظه لاسيما إذا علمنا أن تلقى المسلمين للقرآن لايعنى حفظه مجرد استظهاره عن ظهر قلب بل حفظه بمعنى تطبيقه والالتزام به والتعبد بتلاوة آياته (١)، وهذا ما أراده الله من المسلمين حتى لا يكونوا كاليهود الذين فهموا أن التوراة الفاظ تلاك دون تطبيق أو إلتزام قال تعالى : ﴿ مثلُ الَّذين حملوا التَوراةَ ثم لم يحْملُوها كمثل الْحمار يحْملُ أسْفاراً بئْس مثل الْقوْم الَّذين كذبوا بآيات الله واللهُ لا يهدي الْقوم الظَّالمين ﴾ (٢)

ومن هنا كان وعى الصحابة رضوان الله عليهم لحفظ القرآن لحفظه فى الصدور . وتطبيقه فى حياتهم اسوة برسولهم الذى كان « خُلقه القرآن »

يقول عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بهن » . وقال الإمام أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرؤننا أنهم كانوا يستقرون من النبى ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يتركوها حتى يعملوا بما فيها . فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً » (٣) .

٣ - **التدرج فى التشريع : -**

نزل القــرآن الكريم على النبى - ﷺ - ليخلص المجتمع الجاهلى من أمراضه ، ويرقى به إلى شفافية الإسلام ونقائه وهذا لا يكون إلا من خلال التدرج فى تشريعاته وأحكامه .

---

(١) حيدر فقه : مع القرآن الكريم دراسات واحكام ص ٢٨

(٢) سورة الجمعة آية رقم ٥

(٣) رجع المصحف الشريف : للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٣٢

روى الامام البخارى بسنده : أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت « إنما نزل أول ما نزل منه سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثب الناس إلى الاسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ لاشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبدا ، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد - ﷺ - وإنى لجارية ألعب "بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ... » (١) .

نجد هذا التدرج فى مسألة الخمر مثلا ، حيث أنها لم تنزل إلا بعد مضى ستة عشر عاما من بداية البعثة النبوية ، بعد تدرج مرحلى سَّهل عليهم تركها ، **فالمرحلة الأولى** نزل فيها قول الله تعالى ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعقلون ﴾ (٢) . فهذه الآية هيئة نفوسهم بأن الرزق الحسن غير السكر وهم يعرفون نتائج السكر ومضاره ، **فالمرحلة الأولى** اعتمدت على التلميح دون التصريح ، تاركة لعقولهم التفكير .. ثم كانت المرحلة الثانية التى نزل فيها قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للنَّاس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (٣) ففى هذه الآية مقارنة واضحة بين مافى الخمر والميسر من إثم عظيم عند الله ، وبين مافيهما من منافع تجارية فى زعم البعض فكف فريق من الناس عن شرب الخمر لمجرد هذه المقارنة .

---

(١) صحيح الامام البخارى جـ ٦ ص ٢٢٨ .

(٢) سورة النحل أية رقم ٦٧ .

(٣) سورة البقرة أية رقم ٢١٩

ثم كانت **المرحلة الثالثة** فى قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتمُ سُكارىٰ حتىٰ تعلمُوا ما تقُولُون » (١) . وفى هذه المرحلة أخذ القرآن الكريم بأيدى الذين يريدون الخلاص منها ، فلابد لمن يريد الخلاص منها أن يمتنع عنها قبل الصلاة بوقت كاف حتى يذهب أثرها عن العقل . وهذا يقتضى الامتناع عن شربها ساعات طويلة ثم جاءت **المرحلة الرابعة** والاخيرة عندما نزل قوله تعالى : « يا أيُّها الَّذين آمنُوا إنَّما الْخمرُ والميسرُ والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوهُ لعلَّكُم تُفلحون (٩٠) إنما يريد الشَّيْطانُ أن يُوقع بينكُمُ الْعداوة والْبغْضاء في الْخمْر والْميْسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة فهلْ أنتم مُّنتهُون » (٢) فامتنع الناس عن شربها ، وحرمت تحريما قطعيا لا مجال للشك فيه بدلالة الأمر فى قوله « فاجتنبوه » .

وقد امتثل الصحابة رضى الله عنهم للأمر ، فعن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح وأبى دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت مناديا ينادى ألا إن الخمر قد حرمت . قال :فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم، ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ - يقرأ : « يا أيها الَّذين آمنُوا إنَّما الْخمرُ والميسر . . . » (٣)

ثم جاء تحريم السنة لها ولعن من يقترب منها فعن أنس بن مالك - ﷺ

---

(١) سورة النساء آية رقم : ٤٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٠ - ٩١ .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى واللفظ له والترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٥

- قال لعن رسول الله - ﷺ - فى الخمر عشرة عاصرها ومعتقرها وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليهوساقيها وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشترى له » (١)

٤ - **لتربية الرعيل الأول** : لقد كان من حكم نزول القرآن الكريم منجما أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يربى الرعيل الأول الذى سيحمل الدعوة الإسلاميه ، ولقد بلغ الأمر بالصحابة - رضوان الله عليهم فى استعدادهم النفسى لقبول التبديل والتغيير أنهم كانوا إذا سئلوا عن أى أمر من البديهيات توقفوا عن الإجابة خوفا من أن يكون الأمر بُدِلَ أو غير من قبل الله عز وجل **روى البخارى** بسنده عن أبى بكرة - رضي الله عنه - قال : خطبنا النبى - ﷺ - يوم النحر قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه .

قال : قال أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس ذو الحجة ... » الحديث (٢) فهذا يدل على مدى استغدادهم النفسى لقبول ما يريده الله ورسوله . ولهذا نلمس أسلوب التربية للرعيل الأول فى عدة نواح منها :

أولاً : تغيير المفاهيم : - لقد غير القرآن الكريم المفاهيم الموروثة من الآباء والأجداد التى ظنوا أنها هى شرع الله من ذلك ما يلى :

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .

أولاً : الحاق أبناء بآباء ليسوا من أصلا بهم مع إعطائهم الحقوق الإجتماعية والإقتصادية وفى هذا تعد على حقوق الأبناء الأصليين فرد الله الأمور إلى نصابها بادئً برسول الله - ﷺ - فى قصة متبناه زيد ابن حارثة حتى يكون القدوة لغيره من المسلمين فلا تأنف النفوس عن هذ الإنقلاب الجذرى فى مفهوم الأبوة والنبوة .

كذلك لقد ورث الجاهليون تقاليد خاطئة تحكمت فى سلوكهم وفى تقسيم الرزق أوفى إباحة لحوم الحيوانات أو قتل الأولاد وغيرها من الأمور، فنعى القرآن الكريم عليهم هذا التصور وتلك التصرفات كما جاء فى سورة الأنعام .

ثانياً : فى الأقضية :

كان الجاهليون لايفهمون النظام القضائى والعدل فيه ويتناصرون بدافع القرابة ولو كانوا على الباطل ، فلما جاء الإسلام بدأ يسوس هذه النفوس النافرة لتعيش بالحق وحده ، وقد كان أصحاب النبى - ﷺ - على قمة تطبيق النظام الجديد بعد أن نزلت ايات على رسول الله - ﷺ - تبرأ ساحة يهودى على أحد المنافقين فى قصة « طعمة ابن أبيرق » عندما سرق درعاً من جاره وخبأها عند رجل من اليهود يقال له « زيد ابن الثمين » ، وكان بريئاً من السرقة وهمَّ قوم طعمة أن يتهموا زيد ابن الثمين فى الدرع وكلموا الرسول ﷺ فى ذلك فنزل قول الله عز وجل : ﴿ إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بيْن النَّاس بما أراك اللَّهُ ولا تكُن لِّلْخائنين خصيما (١٠٥) واستغفر الله إن الله كان غفُورا رَّحيما (١٠٦) ولا تجادل عن الَّذين يختانون أنفسهم إنَّ اللَّه لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٥ - ١٠٨

ثالثاً : تصحيح مسيرة المؤمنين :

من حكم تنزيل القرآن منجماً وتربية الرعيل الأول من المسلمين تصحيح مسيرتهم لمعالجة الأخطاء التى تقد تقع من بعضهم . فعندما مر رجل بغنمه على نفر من المسلمين وألقى عليهم السلام وقام أسامة بن زيد بقتله عند ذلك تتنزل الآيات لنبين هذا الخطأ الفادح قال تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا إذا ضربْتُمْ في سبِيلِ اللَّه فتبيَّنُوا ولا تقُولوا لمن ألقى إليْكُمُ السَّلام لسْت مؤْمنا تبْتغُون عرض الْحياةِ الدُّنْيا فعند اللَّه مغانمُ كثِيرةٌ كذلك كُنتُم من قبْلُ فمن اللَّهُ عليْكُمْ فتبيَّنُوا إنَّ اللَّه كان بِما تعْملُون خبِيرا ﴾ (١) .

وعندما تقول المنافقون على أم المؤمنين عائشة ورموها بالإفك والبهتان نزلت آيات القرآن الكريم تبين هذا الإفك المفترى وتدافع عن بيت النبى - ﷺ - وترد المؤمنين إلى جادة الصواب . قال تعالى ﴿ إنَّ الَّذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًا لَّكم بلْ هُو خيْرٌ . . ﴾ (٢) .

وعندما خان يهود بنى قريظة معاهدتهم مع الرسولﷺ وأعانوا الكفار على المسلمين فى عزوة الخندق وانصرف إليهم النبى وحاصرهم فطلبوا منه أن يستشيروا أحد حلفائهم وهو الصحابى الجليل « أبو لباب الأوس الأنصارى » وكان مؤمناً صادقاً، فلما سألوه هب ينزلون على رأى محمد ، ورأى بكاء النساء والصبيان فمالت عاطفته فأجابهم :أن نعم ولكنه أشار بيده إلى حلقه أى أن النزول على ما يطلبه رسول الله - ﷺ - يعنى الذبح لم

---

(١) سورة النسا، اية رقم ٩٤ .

(٢) سورة النور اية رقم ١١

، وعندها شعر أنه خان الله ورسوله فندم وربط نفسه فى سارية المسجد حتى يتوب الله عليه ونزل قول الله كما قال ابن اسحاق : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنُوا لا تخُونُوا اللّه والرَّسول وتخونوا أماناتكُمْ وأنتُمْ تعلمُون ﴾ (٢) .

* **وعندما** أخطأ « حاطب بن أبى » بلتعة فى إرساله لأهل مكة ليعلمهم بمسير الرسول إليهم ، وأخبر الله تعالى نبيه بالأمر واعترف حاطب بذنبه وقبل ﷺ اعتذاره نزل القرآن يعالج هذه الواقعة قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ (٣) .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٢ .
(٢) سورة الانفال آية رقم ٢٧ .
(٣) سورة الحشر آية رقم ١ .

رابعاً : تنظيم الزواج ومقاومة عادات الجاهلية فيه : -

من العادات التى استحكمت فى الجاهلية فى نظام الزواج عدم الزواج من زوجة الابن المتبنى، والزواج من زوجة الأب ، ونكاح الإستبضاع « أو الزواج الجماعى » وعندما توفى « أبو قيس إبن الأسلت » وكان من الأنصار فخطب ابنه قيس إمرأته - أى أرملة أبيه - فقالت له : إنما أعدك ولداً وأنت من صالح قومك ، ثم ذهبت إلى رسول الله - ﷺ - فقالت : ان أبى قيس توفى ، فقال : خيراً : ثم قالت إن ابنه قيس خطبنى وهو من صالح قومه ، وإنما كنت أعده ولداً فماذا ترى ؟ فقال لها - ﷺ - إرجعى إلى بيتك ونزل ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤُكُم مَن النّساء إلاَّ ما قَدْ سلف إنَّهُ كَان فَاحشة ومقتا وساء سبيلا ﴾ (١) .

وهكذا استطاع القرآن الكريم بهذا التدرج وبنزوله مفرقاً منجماً أن ينظم الحياة ويعالج أدواء ذلك الجيل من المسلمين ويصوغه صياغة جديدة ، ويصنعه على عين الله .

---

(١) سورة النساء آية رقم ٢٢ .

أحكام القرآن الكريم :

أنواع الاحكام التى جاء بها القران الكريم ثلاثة

١ - **الأحكام الاعتقادية** : وهى التى تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

٢ - **الأحكام الخلقية** : وهى التى تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى بها من الفضائل ، والرذائل التى يجب على المسلم أن يبتعد عنها .

٣ - **الأحكام العملية** : وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات .

وهذا النوع من الاحكام يتنوع إلى : -

أ - **أحكام تتعلق بالعبادات** : وهى التى تنظم علاقة الانسان بخالقه وتقربه منه كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

ب - **أحكام تتعلق بالمعاملات** : وهى التى تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الانسان بالمجتمع وعلاقة الأمة بالأمم الاخرى .

جـ - **أحكام تتعلق بالعقوبات** : وهى الأحكام المتعلقة بالجرائم وما يترتب عليها من عقوبات كعقوبة الزنا واللواط والقذف واللعان وعقوبة الخمر والسرقة وقطع الطريق والمرتد والبغى والديات والكفارات والتغديرات

دلالة آياته :

نصوص القرآن الكريم جميعها قطعية من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن الرسول إلينا

وأما نصوصه من جهة دلالتها على ماتضمنته من الأحكام فتنقسم إلى قسمين : -

١ ـ نص قطعى الدلالة على حكمه .

٢ ـ نص ظنى الدلالة على حكمه .

* فالنص القطعى الدلالة على حكمه هو ما دل على معنى متعين فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ، ولا مجال لفهم معنى غيره منه مثل قوله تعالى : ﴿ ولكم نصفُ ما ترك أَزْواجُكُمْ إن لَّمْ يكُن لَّهُنَّ ولَدٌ ﴾ (١) فهذا قطعى الدلالة على أن فرضُ الزوج فى هذه الحال النصف لا غير . ومثل قوله تعالى :﴿ وأَحلَّ اللَّهُ الْبيْعَ وحرَّمَ الرِّبا ﴾ (٢) فهو نص قطعى على أن البيع حلال والربا حرام ، وهذا النص لايدل على غير ذلك .

* وأما النص الظنى الدلالة فهو ما دل على معنى ولكن يحتمل أن يؤول ويصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره مثل قوله تعالى :﴿ والْمُطلَّقاتُ يتربَّصْن بأنفُسهِنَّ ثلاثة قُرُوءٍ ﴾ (٣) .

فلفظ القرء يطلق لغة على الطهر ، ويطلق على الحيض ، والنص دل على أن المطلقات يتربصن ثلاثة قروء ، فيحتمل أن يراد ثلاثة أطهار ، ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات ، فهو ليس قطعى الدلالة على معنى واحد من المعنيين .. » (٤) . ومثل قوله تعالى ﴿ وامْسحُوا برءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكعْبيْنِ ﴾ (٥) فهذه الآية الكريمة لم تبين مقدار المسح هل كل الرأس أو بعضها ومن ثم كانت دلالتها على مقدار المسح ظنيه ، فمن قال أن الباء للإلصاق كالإمام مالك . عليه رحمة الله ـ أوجب مسح كل الرأس ، ومن اعتبر ان الباء للتبعيض قال بمسح بعض الرأس . ويترتب على الدلالة القطعية أنها بمنزلة العقائد ، ومنكرها كافر خارج عن الملة ، وأنها واجبة الإتباع على كل الناس بخلاف النصوص الظنية .

---

(١) سورة النساء آية : ١٢ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥

(٣) راجع علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاص ص ٢١: ٢٢ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦

حجية القرآن الكريم :

أجمعت الأمة الإسلامية كلها على أن القرآن الكريم هو حجة الله البالغة وهو المصدر الأول للتشريع فإذا نص على حكم وجب العمل به والأخذ بمقتضاه والقرآن الكريم فضلاً عن أنه هو المصدر الأول للتشريع هو كذلك الأصل الوحيد لكل المصادر الأخرى ، فمن القرآن الكريم علمنا أن السنة مصدر للتشريع لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (١) ومن القرآن أيضا علمنا أن الإجماع والقياس وفتوى الصحابة والمصالحة المرسلة ، والعرف من المصادر التى تدور فى فلك النص سواء قرآن أو سنة .

المصدر الثانى للنظم الإسلامية : السنة

تعريف السنة لغة : السنة لغة هى الطريقة والسيرة المتبعة أو المثال المحتذى وقيل أنها من قولهم سن الماء إذا والى صبه ، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب لتوالى أجزائه على نهج موحد والسنة بمعنى الطريقة كلمة قديمة ومعروفة فى لسان العرب سواء كانت طريقة خير أو طريقة شر .

إطلاقات القرآن للكلمة :

استعملت كلمة السنة فى القرآن الكريم فى عدة مواطن أريد بها الطريقة

---

(١) سورة الحشر آية ٧

المتبعة والعادة المألوفة المستمرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قدْ خلتْ من قبلكم سُنَنٌ فسيرُوا في الأرْضِ ﴾ (١)

وقوله سبحانه : ﴿ سُنَّة من قدْ أرْسَلْنَا قَبْلَك من رُسُلنا ولا تجدُ لسُنَّتنا تحْويلاً ﴾ (٢) وقوله ﴿ سُنَة اللَّه الَّتي قدْ خلتْ من قَبلُ ولن تجد لسنَة اللَّه تبْديلاً ﴾ (٣) وقوله عز وجل : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ في الَّذين خلوْا من قَبْلُ وكَان أمرُ اللَّه قدرا مَّقْدُوراً ﴾ (٤) إلى غير ذلك من الآيات

إطلاقات السنة لكلمة : ـ

استعملت الكلمة فى السنة النبوية قريبة من الإستعمال القرآنى من ذلك قول الرسول (ﷺ) « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » (٥) وقوله ﷺ فى حجة الوداع : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدهما أبداً كتاب الله وسنة نبيه » (٦) وقوله ﷺ : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فلن أجرها وأجر من عمل بها بعد من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزاهم شئ » (٧) .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٣٧ .
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٧٧ .
(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٣ .
(٤) سورة الاحزاب آية رقم ٣٨ .
(٥) أخرجه أبو داود والترمذى .
(٦) رواه مسلم
(٧) رواه مسلم

تعريف السنة فى الإصطلاح

السنة فى اصطلاح علماء الأصول هى : « ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير » فالقول مثل قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ مانوى » (١) ومثل قوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » (٢) .

والفعل مثل التصرفات التى كان يقوم بها ﷺ وفى دائرة العمل التشريعى ومن أمثلة ذلك ما ورد من تعليم الصحابة كيفية الصلاة ومناسك الحج ولذلك كان يقول : « صلوا كلما رأيتمونى أصلى » (٣) وقوله « خذوا عنى مناسككم » (٤) وأما التقرير : مثل أن يقر ﷺ أمراً رآه من أحد الصحابة فى حضرته أو بلغه عنه قول أو فعل، وسكت عنه مع دلالة الرضا أو بإظهار استحسان وقبول ، فلو كان الأمر غير مشروع ما أقره عليه الصلاة والسلام لأنه أمين على الرسالة التى يبلغها للناس .

حجية السنة :

يراد بحجية السنة اعتبارها مصدراً من مصادر التشريع التى يستنبط منها الأحكام الشرعية . وقد أجمع المسلمون على أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع .

فأما الكتاب فمنه قوله تعالى . ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا أطِيعُوا الله وأطيعوا

---

(١) رواه البخارى ومسلم رواية عمر بن الخطاب

(٢) رواه أحمد وابن ماجه

(٣) رواه البخارى

(٤) رواه أحمد ومسلم عن النسائى

الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٤) .

وأما السنة :

فمنها قوله ـ ﷺ ـ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدهما أبداً كتاب الله وسنتى » وأيضا اقراره ﷺ لمعاذ ، حين بعثه إلى اليمن فقال كيف تقضى إذا عغرض لك القضاء قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد قال بسنة رسول الله قال : ..... »

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة منذ عهد الرسول ﷺ على وجوب اتباع سنته والإستدلال بها ومضى على ذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم قولاً وعملاً ومن الأمثلة : إن سيدنا ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ استدل على حجية السنة عندما سمع أن بعض الناس يقرءون آية من القرآن ويفهونها على غير وجهها ، فصحح لهم الخطأ بما سمعه من رسول الله ﷺ . فقد روى الامام أحمد فى مسنده عن قيس قال : قام ابو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية على غير وجهها « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اذا هتديتم » وإنما سمعنا رسول الله ﷺ يقول « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (٥)

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة النساء آية رقم ٦٥ .
(٣) سورة النحل آية ٤٤
(٤) سورة الحشر آية رقم ٧ .

علاقة السنة بالقرآن :-

القرآن الكريم هو المصدر للتشريع وهو كلام الله ، المعجز والسنة النبوية هى المفسرة والموضحة والمبينة والمقيدة والمطلقة لما جاء فى القرآن الكريم وهى لاتعدوا أن تكون واحدة من أمور .

١ - إما أن تكون السنة مقررة ومؤكدة حكماً جاء فى القرآن فيكون الحكم له مصدران وعليه دليلان : ، دليل مثبت من القرآن ودليل مؤيد ، ومن هذه الأحكام الأمر بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والنهى عن الشرك بالله وشهادة الزور وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق وغير ذلك من المأمورات والمنهيات التى دلت عليها آيات القرآن وأيدتها سنةً الرسول - ﷺ - .

٢ - وإما أن تكون سنة مفصلة ومفسرة لما جاء فى القرآن مجملاً أو مقّيدة ما جاء فيه مطلقاً ، أو مخصصة ما جاء فيه عاما ، فيكون هذا التفسير أو التقييد أو التخصيص الذى وردت به السنة تبياناً للمراد الذى جاء فى القرآن الكريم ، لأن الله سبحانه منح رسوله ﷺ حق التبين لنصوص القرآن لقوله عز شأنه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١) من ذلك الأحاديث التى فصلت إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت لأن القرآن أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت ولم يفصل عدد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة ولا مناسك الحج ، والسنة العملية والقولية هى التى بينت هذا الإجمال ، وهى التى بينت صحيح البيع وفاسده وأنواع الربا المحرم وغير ذلك من الأمور التى جاءت مجملة فى القرآن الكريم .

---

(١) سورة النحل آية ٤٤ .

٣ ـ وإما أن تكون سنة مثبتة ومنشأة حكماً سكت عنه القرآن . فيكون هذا الحكم ثابتا بالسنة ولا يدل عليه لفظ القرآن ، ومن هذا تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال ، وما جاء فى الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

وجوب العمل بالسنة فى كل أمر :

ذهب البعض إلى إنكار حجية السنة بدعوى الاقتصار على القرآن لأن فيه بيان كل شئ مستدلين بأدلة واهية ، ناسين أن كل من قال بهذا فقد كفر بالقرآن ، وكفر بالسنة ، لأن الإتباع كما يكون لأحكام القرآن يكون لأحكام السنة دون فرق وتخصيص ودليل ذلك ما يلى : ـ

١ ـ قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) فهذه الآية دلت على أن عذاب الله يصيب كل من يعرض عن الإمتثال لأوامر الرسول .

٢ ـ وقال سبحانه :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢) .

فالله تعالى قضى بجهنم لكل من يخالف الرسول ويتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين ـ ومن المعلوم أن جمهور الأمة الاسلامية تعتقد بحجية السنة

---

(١) سورة النور آية ٦٣ .

(٢) سورة النساء آية ١١٥.

وباستقلالها بالتشريع منذ زمن الرسول وإلى يومنا هذا فلو اتخذ أحد سبيلاً غير سبيل الأمة وأنكر حجية السنة لاستحق هذا الوعيد .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (١) فهذه الآية خطاب لجميع المسلمين سواء كانوا فى عصره أو بعده للاقتداء به فى كل حركة وسكون وقيام وقعود .

إن هذه الآيات القرانية وغيرها تدل بوضوح تام على أن طاعة الرسول واجبة على كل مسلم فى جميع أمور الدين (٢) . ولا يدخل فى وجوب الطاعة التى يستدل بها على الأحكام التشريعية ما صدر منه ﷺ بمقتضى خبرته وتجارية الدنيوية كالأفعال الخاصة بالزراعة وأمور الحرب مثل تأبير النخل ، ومثل ما كان فى غزوة بدر عندما أشار رسول الله ﷺ ـ على الجيش بأن ينزل فى موضع معين . فتقدم إليه الحباب بن المنذر فقال يا رسول الله : أهذا منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال ﷺ : بل هو الرأى والحرب والمكيدة : فأشار الحباب بالنزول فى موضع آخر قريبا من مورد الماء . فأخذ برأى الحباب بن المنذر ، وتنازل عن رأيه لأنه ليس أمر تشريعيا .

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) السنه النبوية المصدر الثانى للتشريع بحث مقدم للمؤتمر العالمى الثالث للسنه والسيرة النبوية ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

المصدر الثالث الاجماع :-

المصدر الثالث للنظم الإسلامية الإجماع :- وسوف نتكلم عن تعريفه وأركانه وحجية .

تعريفه : لغة : العزم على الشئ ، والتصميم عليه ، ويطلق على الاتفاق قال صاحب المعجم الوجيز « أجمع القوم على كذا : اتفقوا عليه ، والإجماع اتفاق الخاصة أو العامة على أمر من الأمور ، والاجماع فى علم الأصول إتفاق المجتهدين فى عصر على أمر دينى » (١) . الإجماع فى اصطلاح الأصوليين : هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين فى عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم شرعى فى واقعة (٢) .

أركانه : أركان الإجماع التى لاينعقد شرعاً إلا بتحققها أربعة

الأول : أن يوجد فى عصر وقوع الحادثه عدد من المجتهدين لأن الإتفاق لايتصور إلا فى عدة آراء يوافق كل رأى منها سائرها .

الثانى : أن يتفق على الحكم الشرعى فى الواقعة جميع المجتهدين من المسلمين فى وقت وقوعها بصرف النظر عن بلدهم أو جنسهم أو طائفتهم .

الثالث : أن يكون إتفاقهم بإبداء كل واحد منهم رأيه صريحاً فى الواقعة سواء كان إبداء الواحد منهم رأية قولاً أو فعلاً ، وسواء أبدى كل واحد منهم رأيه على انفراد أم أبدوا آرائهم مجتمعين :

الرابع : أن يتحقق الإتفاق من جميع المجتهدين على الحكم فلو اتفق أكثرهم لاينعقد باتفاق الأكثر اجتماعاً .

---

(١) انظر : المعجم الوجيز : اعداد المجمع اللغوى ص ١١٦ والقاموس المحيط جـ ١ ٣ ص ١٥ .

(٢) إنظر الاحكام للآمدى جـ ١ ص ١٤٨ .

ويرى بعض العلماء مثل الطبرى وأحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين أن اتفاق أكثر المجتهدين مع ندرة المخالف كواحد أو اثنين يعتبر اجتماعاً لأن الظاهر إصابة السواد الأعظم (١) وقال مالك يعقد الاجماع باتفاق أهل المدينة وذلك لأن المدينة هى الجامعة للعلماء (٢) .

حجية الإجماع : ذهب جمهور العلماء من أهل السنة أن الإجماع الصريح حجة مطلقا يجب العمل ، إذا تحققت أركانه واتفقت آراء المجتهدين جميعاً على حكم واحد فى واقعة كان هذا الحكم المتفق عليه قانوناً شرعياً واجباً اتباعه ولا يجوز مخالفته .

الأدلة على حجيّة الاجماع :

استدل الجمهور على حجية الاجماع بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن الأدلة العقلية: فمن الكتاب :

١ - قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا أَطيعُوا اللَّه وأطيعُوا الرَّسُول وأُولي الأمر منكُم فإن تنازعتُم في شيء فرُدُّوهُ إلى اللَّه والرَّسُول إن كُنتم تؤمنون بالله والْيوْم الآخر ذلك خيْرٌ وأحْسنُ تأويلاً ﴾ (٣) فهذه الآية صريحة فى إيجاب طاعة أولى الأمر ، والأمر عام يشمل أمر الدين وأمر الدنيا ، فإذا أجمع ولاة الأمر الدينى وهم المجتهدون على رأى وجب اتباعه بنص القرآن ، ولا يكون هذا الإجماع واجب الإتباع إلا إذا كان حجة .

---

(١) انظر مسلم الثبوت جـ ٢ ص ٢٢١

(٢) راجع المستصفى للغزالى جـ ١ ص ١٧٨

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩

٢ - قوله تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ (١)

يقول الإمام الزمخشرى فى تفسيره لهذه الآية : « هو السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيف القويم وهو دليل على أن الإجماع حجة لاتجوز مخالفتها ، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة ، لأن الله عز وجل جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول ﷺ فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجباً » (٢)

ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : « تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم إتفاقهم عليه تحقيقا فإنه قد ضمنت لهم العصمة فى إجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظما لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى ذلك . . والذى عول عليه الشافعى - رحمه الله فى الاحتجاج فى كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروى والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها » (٣) .

مما سبق يتضح لنا أن حجية الاجماع ثابتة بالقرآن الكريم وأن ما أجمع عليه علماء الأمة من الواجبات الشرعية .

٢ - **من السنة النبوية :** قوله ﷺ : « ان الله لايجمع أمتى على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ فى النار » وفى رواية « إن الله لايجمع

---

(١) سورة النساء آية رقم : ١١٥ .

(٢) انظر : تفسير الزمخشرى جـ ١ ص ٥٦٣ .

(٣) راجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٥٥٥ .

هذه الأمة على ضلالة أبدا ، وأن يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإن من شذ شذ فى النار » (١) .

فهذا الحديث دل على أن الأمة الاسلامية لاتجتمع على ضلالة أبدا . وما دامت لاتجتمع على ضلالة ، فإجتماعها لايكون إلا على الحق .

المصدر الرابع : القياس

القياس لغة هو التقدير يقال قست الثوب بالمتر وقست الأرض بالزراع أى قدرتهما بها وفى اصطلاح الأصوليين : هو إلحاق واقعة لانص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها ، فى الحكم الذى ورد به النص ، لتساوى الواقعتين فى علة هذا الحكم (٢) .

وقيل هو إلحاق فرع بأصل فى حكمه للتساوى بينهما فى العلة . ومثال ذلك أن شرب الخمر واقعة ثبت بالنص حكمها وهو التحريم الذى دل عليه قوله تعالى : ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ والأَنصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عمل الشَّيْطان فاجْتَنِبُوهُ﴾ (٣) العلة هى الإسكار ، فكل نبيذ توجد فيه هذه العلة يسوى بالخمر فى حكمه وتحريم شربه .

أركان القياس : يتبين من التعريف السابق أن للقياس أربعة أركان هى :

---

(١) رواه الترمذي بعدة الفاظ عن ابن عمر وقال فى بعضها غرابه .

(٢) إنظر علم أصول الفقيه للشيخ عبد الوهاب خلافى ص ٥٢ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ٩٠ .

الأول : الأصل وهو ما ورد بحكمه نص ، ويسمى المقيس عليه والمحمول عليه والمشبه به

الثانى : الفرع وهو مالم يرد بحكمه نص ، ويراد تسويته بالأصل فى حكمه ويسمى المقيس والمحمول والمشبه .

الثالث : حكم الأصل وهو الحكم الشرعى الذى ورد به النص فى الأصل ويراد أن يكون حكماً للفرع .

الرابع : العلة وهى الوصف الذى بنى عليه حكم الأصل وبناءً على وجوده فى الفرع يسوى بالأصل فى حكمه .

حجية القياس : مذهب جمهور علماء المسلمين أن القياس حجة شرعية على الأحكام العملية ، وأنه فى المرتبة الرابعة من الحجج الأصلية . والأدلة على حجية القياس من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ (١) فقد أمر بالاعتبار، والاعتبار هو الإنتقال من الشئ إلى غيره، وهذا متحقق فى القياس حيث أن فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع. وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٢) . فهذا أمر من الله سبحانه برد الأمر المتنازع عليه إلى الله ورسوله ، ولا شك أن قياس هذا الأمر على أمر قد جاء حكمه من الله

---

(١) سورة النساء آية رقم :

(٢) سورة النساء ٥٩

ورسوله لتساويهما فى العلة التى انبنى عليها الحكم وهذا هو مفهوم القياس . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ .. ﴾ (١) جواب لمن قال : ﴿ من يُحيي العِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ووجه الاستدلال بهذه الآية ، أن الله سبحانه إستدل على ما أنكره منكروا البعث بقياس إعادة المخلوقات بعد فنائها على بدء خلقها وإنشائها أول مرة لإقناع الجاحدين بأن من قدر على بدء خلق الشئ وانشائه أول مرة قادر على أن يعيده . بل إن هذا أهون عليه .

وأما من السنة فقد روى أن رسول الله ﷺ : قال لمعاذ حين أرسله إلى اليمن : « بما تقضى قال بكتاب الله قال فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله قال : فإن لم تحد قال : أجتهد رأيى ولا ألو ، فضرب رسول الله - ﷺ - على صدر معاذ بيده الشريفة وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله » (٢) هذا وقد أجمع الصحابة على الاحتجاج بالقياس فىّ الوقائع التى لانص فيها دون نكير من أحد منهم ، فقد إختاروا ابا بكر خليفة لرسول الله - ﷺ - وقاسوا الأمامة الدنيوية على الإمامة الدينية فى الصلاة الثابتة لأبى بكر بإنابة الرسول له فيها وقالوا :« رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا » وهاهو أبو بكر يقول فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمتى واستغفر الله » (٣) .

وقال سيدنا عمر - رضي الله عنه - لأبى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء : « الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولاسنة ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها عند الله وأشبهها بالحق » (٤) .

---

(١) سورة يسن آية رقم : ٧٩ .
(٢) سنن الترمذى جـ ٢ رقم الحديث ١٣٢٧ .
(٣) راجع إعلام الموقعين جـ ١ ص ٧٠ .
(٤) راجع : أصول الفقه لأبى زهرة ص ٢٢٣

المصالح المرسلة

تعريفها : أى المطلقة عن دليل يدل على اعتبارها أو إلغائها وتعرف بأنها « المعانى التى يحصل من ربط الحكم بها وبنائه عليها جلب منفعة أو دفع مفسدة ولم يقم دليل معين يدل على اعتبارها أو الغائها » (١) .

ويتضح من هذا التعريف أن المصالح المرسلة لاتكون إلا فى الوقائع التى سكت الشارع عن بيان حكمها وليس لها أصل معين تقاس عليه ويوجد فيها معنى مناسب يصلح أن يكون مناطا لحكم شرعى يحكم به بناء على ذلك المعنى المناسب . وكان فى تشريع هذا الحكم تحقيق مصلحة للناس بجلب النفع لهم أو بدفع الضرر عنهم .

أنواع المصالح المرسلة :

١ ـ **مصالح ضرورية** : أى الاساسية والجوهرية وهى : الأمور التى تقوم عليها حياة الناس بحيث إذا تخلفت اختل نظام الحياة وشاعت الفوضى وعمت الفتنة والفساد » وهذه الأمور ترجع إلى المحافظة على خمسة أشياء هى : الدين والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال . وقد شرع لكل نوع من هذه الأنواع مايضمن المحافظة علية .

ـ فقد شرع للمحافظة على الدين : وجوب الجهاد دفاعا عن العقيدة ومحاربة من يفتنون المسلمين عن عقيدتهم ، وكذا معاقبة من يرتد عن دينه .

ـ وشرع للمحافظة على النفس : وجوب القصاص أو الدية على من يعتدى عليها ، وشرع للمحافظة على العقل : تحريم شرب الخمر وغيرها من

---

(١) انظر : أصول الفقه الاسلامى للدكتور : زكى الدين شعبان ص ١٦٢ والدكتور : محمد على محجوب : المدخل لدراسة التشريع الاسلامى ص ٢٨٨ .

أنواع المسكرات ومعاقبة من يشربها. وشرع للمحافظة على النسل تحريم الزنا ومعاقبة الزانى أو الزانية ـ كما شرع للمحافظة على المال : تحريم السرقة ومعاقبة السارق بقطع يده وكذا تحريم الربا وإلزام من يعتدى على مال الغير بتعويضه عنه .

٢ ـ **المصالح الحاجية :** وهى الأمور التى يحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم بحيث إذا فقدت هذه الأمور لم يختل نظام الحياة ، ولا تعم الفوضى والفساد ، وإنما تبقى الحياة بدونها ولكن مع الحرج والمشقة .

وقد عالجت الشريعة الإسلامية هذا النوع من المصالح بأحكام شرعتها لرفع الحرج عن الناس والتخفيف عنهم وذلك من خلال الرخص التى جاء بها الاسلام لتيسير أمر التكليف على الناس وذلك كإباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض ، وقصر الصلاة الرباعيه بالنسبة للمسافر . ورفع الحرج عن الناس أساس من أسس التشريع الاسلامى قال تعالى : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (١) . وقوله سبحانه : ﴿ يريد الله بكم الميسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٢) .

٣ ـ المصالح التحسينية : وهى الأمور التى ترجع إلى المروءة والاخلاق ومحاسن العادات . بحيث إذا فقدت لم يختل نظام الحياة كما هو الحال فى الأمور الضرورية الأساسية ، ولم يقع الناس فى ضيق أو حرج . ومن الأمثلة التى تقتضيها هذه المصالح ما شرعه الإسلام من آداب المآكل والمشرب ولبس الجديد فى أيام الجمع والأعياد . وقد بينت النصوص أن

---

(١) سورة البقرة :

(٢) سورة البقرة آية رقم

هذه الأمور الكمالية مقصودة للشارع الحكيم تحقيقا لقوله تعالى « ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » (١) .

حجية المصالح المرسلة : اختلف العلماء فى حجية المصالح المرسلة إلى فريقين الفريق الأول : يقولون ان المصالح المرسلة حجة شرعية ويعتد بها ، لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - قد أجمعوا على الاحتجاج بالمصلحة المرسلة من ذلك : أن عمر بن الخطاب أبقى الأراضى المفتوحة فى أيدى أهلها، ولم يوزعها على الفاتحين ، ووضع الخراج على أهلها ليكون مورداً للأمة الإسلامية ، ينتفع به سائر المسلمين ، وقد وافقه الصحابة على ذلك بعد أن تبيّن لهم وجه المصلحة فيه ، وأيضا فإن عثمان بن عفان أمر بكتابة المصاحف وتوزيعها على الأمصار ، وجمع الناس على مصحف واحد وتحريض ماعداة من الصحف المنتشرة فى سائر المدن ، وهو عمل قائم على مصلحة ، وهى وضع حد للخلاف بين المسلمين فى قراءة القرآن الكريم .

أما الفريق الثانى : فيرى أن المصالح المرسلة ليست بحجة ولا يصح أن يبنى عليها حكم من الأحكام الشرعية التى يعتد بها ، وذلك لأن الشريعة والنظم الإسلامية قد جاءت بما يحقق جميع مصالح الناس إما بالنصوص ، وإما بالقياس على ماجاء حكمه فى هذه النصوص .

بشروط العمل بالمصالح المرسلة : يشترط للعمل بالمصالح المرسلة عند من يقول بحجتها توافر الشروط الآتية :

١ - ان تكون المصلحة من المصالح التى لم يقم دليل شرعى معين على إلغائها - أما إذا قام دليل شرعى على الالغاء لم يصح العمل بها - مثال ذلك عدم اعتبار المصلحة لمن يقول بجواز الاستسلام للعدو وعدم محاربته لأن

المصلحة التى تترتب على الإستسلام له هى حفظ النفوس من القتل والأسر والأموال من التلف والضياع . لأن الدليل الشرعى قام على إلغائها وأمر بالجهاد والدفاع عن الدين والوطن .

٢ ـ أن تكون المصلحة من المصالح المحققة ، أما إذا كانت من المصالح المتوهمة فلا يجوز العمل بها ـ مثال ذلك : سلب الزوج حق تطليق زوجته وجعله بيد القاضى . فإن هذه مصلحة متوهمة بل إن الضرر الذى يترتب على ذلك يفوق المنفعة المترتبة على اعتبارها ، وهو (١) تجريد الرجل من القوامة ، وضياع سلطاته التى لاتستقيم الحياة الزوجية بدونها .

٣ ـ أن تكون المصلحة من المصالح العامة ، أى أنها تحقق منفعة لأكبر عدد من الناس ، أو بدفع الضرر عنهم أما إذا كانت المصلحة خاصة فلا يعمل بها .

٤ ـ أن تكون المصلحة معقولة فى ذاتها بحيث لو عرضت على أهل العقول السليمة تلقوها بالقبول .

أمثلة لمصالح مرسلة :

١ ـ تحريم ذبح أناث الحيوانات الصغيرة محافظة على الثروة الحيوانية .

٢ ـ ايجاب زراعة نسبة من الأراضى ببعض المحاصيل الزراعية فى أيام الحروب والأزمات حتى تتوفر حاجة الناس إلى طعام .

٣ ـ وضع قواعد خاصة للمرور فى الطرقات العامه .

٤ ـ إلزام الأفراد بحمل البطاقات الشخصية أو العائلة وكل هذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الاسلام يتدخل فى تنظيم كل مناحى الحياة العامة والخاصة .

---

(١) انظر : المصدر السابق ص ٢٩١ .

مدخـــل : لقد بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – والعالم يموج بالفوضى في كل شيء لدرجة أن العقل البشري أصبح عاجزا عن الحكم فيما بين الناس ، بـــل اصبـــح مطيـــة لتعبير الباطل وتزييف الحق ، والعبث بميراث النبيين من بعد إبراهيم وموسى وعيسى – عليهم السلام – فاليهود افسدوا تعاليم موسى – عليه السلام – وبدلوها بأفكـــار وثنيـــة فضربت عليهم الذلة والمسكنة ،

والنصارى استسلموا للإمبراطورية الرومانية الوثنية في تخريب الرسالة التـــي جاء بها نبي الله عيسى – عليه السلام – واستبدلوها بالوثنية الرومانية ·

والمجوس احتكموا إلى الأساطير التي فرضت عليهم أن للوجود إلهان ، إله الخير وإله الشر ، وان كليهما ينازع النفس الإنسانية والكون وما فيه والعرب كانوا يعيشـــون في وسط هذا الفساد العقائدي وكانت أرضهم ملاذا لأصحاب الديانات الذين فـــروا مـــن الاضطهاد فأوت اليهودية والنصرانية إلى أرضهم وانتشرت في ارض الجزيرة خاصـــة في ارض اليمن كما انتشرت في نجران على يد بعض الرهبان ودخلت مكة فتنصر بعض المكيين وسقطت العقول في وهدة مزرية من الخرافة والجهالة والشرك بالله ،

وأمسى الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض أصبح هذا الإنسان عابدا للنجـــوم والكواكب والأفلاك في السماء والأشجار والأخشاب والأحجار في شكل أصنام وأوثـــان وقدسوا العجول والأبقار في الأرض وأصبح الأمر كما قال رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – في خطبته ذات يوم ·

" ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مال نحلتـــه عبدا حلال وإنه قال : إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به ســـلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم [1] فكان هذا إيذانا ببعث رسول ينقـــذ البشرية من الضلالة ويهديها إلى الصراط المستقيم فأرسل الله سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – هاديا وبشيرا ونذيرا قال تعالى " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشـــرا ونذيرا " [2] إلى الناس كافة كما قال سبحانه " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا

---

[1] - رواة الإمام مسلم بسنده عن عياض بن حمار المجاشعي جـــ١٧ صـــ١٩٧ بشرح الإمام النووي

[2] - ســـورة الأحزاب اية رقـــم : ٤٥

[١] وبين سبحانه أنه لا نبي بعده – صلى الله عليه وسلم – فهو خاتم النبيين قال تعالى : ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " [٢] وبين سبحانه أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده فقال سبحانه " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " [٣] .

وأن القرآن الكريم هو وحي الله الذي أنزله على رسوله والتصديق بما فيه وتنفيذ ما جاء به من أوامر ونواهي من مقتضيات الإيمان برسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى " وأوحى إلي هذا القران لأنذركم به ومن بلغ " [٤] .

والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام هو دين الله إلى جميع الأمم والشعوب والأجيال إلى يوم القيامة ومن ثم فتبليغه إلى الناس كافة من واجب الأمة الإسلامية ، وذلك لان الدعوة الإسلامية تتميز بعدة خصائص لا تتوافر لغيرها من الدعوات .

<u>خصائص الدعوة الإسلاميـــة :</u>

<u>أولا من حيث المصدر</u> : تتميز بمصدرها الذي لا يأتيه الباطل ولا يأتي منه الباطل فهي دعوة سماوية جاء بها الوحي الشريف معصومة من الخطأ والتناقض والتحريف والزلل والهدم قال تعالى " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " [٥] وقال سبحانه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " [٦] فمهما كانت شدة الاضطهاد فإنها لن تتطرق أبدا إلى مصدر الإسلام .

<u>ثانيا من حيث المضمون</u> : أما مضمون هذه الدعوة فهو كمال مطلق وتمام واف تضمنت بيان المبدأ و المصير ، لا يتطرق إليها الشك والريب ولا تحتاج إلى زيادة قال سبحانه " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا " [٧] .

---

١ – سورة سبأ آية رقم : ٢٨

٢ – سورة الأحزاب آية رقم : ٤٠

٣ – سورة آل عمران آية رقم ٨٥ ·

٤ – سورة الأنعام آية رقم : ١٩

٥ – سورة الحجر آية رقم ٩

٦ – سورة المائدة آية رقم ٢

ثالثا من حيث الغاية : فدعوة الإسلام غايتها أمران :

١ – توحيد الخالق سبحانه وتعالى وإفراده بالخضوع والعبودية له وحده ورفض كل وثنية في الفكر كانت أو في السلوك .

٢ – تحرير الإنسان من رق العبودية لمخلوق مثله أيا كان هذا المخلوق صنما ، أو بشرا ، أو هوى ، أو شهوة . ليعيش الإنسان سيدا في هذه الحياة التي سخرها الله لعباده .

رابعا من حيث الوسيلة فالدعوة الإسلامية وسيلتها لتحقيق غايتها :

١ – إقناع العقل وطمأنينة القلب وإقامة الحجة فلا إكراه ، ولا قهر ، ولا تسلط قال سبحانه " لا إكراه في الدين " [1] وقال سبحانه " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " [2] والإسلام في فتحه للبلاد والدول لم يجبر أحدا على اعتناقه وإنما كان يترك الناس وما هم عليه من دين يقيمون شعائرهم كما تشاء لهم عقيدتهم ولم يقع في تاريخ الدعوة الإسلامية حرب إسلامية بقصد إجبار الناس على قبول الدعوة أو إبادتهم كما حدث في الحروب الصليبية ضد الإسلام وكما حدث للمسلمين في أسبانيا وغيرها حتى الآن .

٢ – حماية الدعوة من الفتنة بدفع الشر بالجهاد عند الضرورة فالجهاد في الإسلام شرع لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله قال تعالى " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " [3] وقال سبحانه " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين " [4] فالجهاد في الإسلام لحماية الدعوة الإسلامية وللقضاء على الفتنة ومجاهدة الصد عن دين الله " [5] .

---

١ – سورة البقرة أية رقم : ٢٥٦

٢ – سورة الكهف أية رقم : ٢٩

٣ – سورة البقرة أية رقم : ١٩

٤ – سورة البقرة أية رقم : ١٩٣

٥ – انظر الأستاذ : السيد عبد الحافظ عبد ربه – فلسفة الجهاد في الإسلام طبعة ١٩٨٢ ، دار الكتب اللبنانية صـ ٨٤

٣- الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة فأوامر الإسلام ونواهيه لا تمنع المسلم عـــن كسبه ولا تحرمه من التمتع به بشرط القصد والاعتدال وحسن النية .

خامسا البقاء والخلود : من خصائص الدعوة الإسلامية ومميزاتها أنها لكـــل زمان ولكل مكان فهي مضمونة الحفظ والبقاء مؤمنة الخلود من الله تبارك الله وتعالى فليست مرهونة بوقت محدد أو جيل من الناس أو قوم من الأقوام تزول بزوالهم بل هي باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهي للناس كافة ولكل البيئات عامة . قال تعالىٰ " اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فـــلا تخشـــوهم وأخشون ".وهذا البقاء يتضمن ما يلي [1] :

١- جعل الله عقيدتها وشرائعها من الصلاحية بحيث تلائم كل زمان ومكان وجيل .

٢- ضمن الله حفظ كتابها الخالد فلا يعتريه تبديل ولا تمْتَد إليه عوامل الزمان بتغيير ولا يد الإنسان بتحريف قال تعالىٰ " إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [2] فلم يصبه ولن يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع الســند حيث لم يتكفل الله بحفظها بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى " ... والربـانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله " [3] أي بما طلب إليهم حفظه وكان المصير على أيدي الناس يحرفون الكلم من بعد مواضعه " [4] .

٣- ضمن الله حفظ رسولها أن يغتال أو يحال بينه وبين بلوغها كاملة فمـــا فـــارق رسول الله الدنيا حتى بلغ أمانتها كاملة وقد ضمن الله له حماية شخصية حتـــى يبلغ رسالة ربه فقال سبحانه " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لـــم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " [5]

---

[1] - الدكتور : حسن عيسى عبد الظاهر : فصول في الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى ١٩٨٥ - دار الثقافة قطر صـــ٦٨-٧١ بتصرف

[2] - ســورة الحجر آية رقــم : ٩

[3] - ســورة المائدة آية رقــم : ٤٤

[4] - ســورة المائدة آية رقــم : ٤١

[5] - ســورة المائدة آية رقــم : ٦٧

٤- ضمن الله حفظ الامه التى جاءبها هذه الدعوة من عذاب الاستئصال الذي عـذب الله به الأمم السابقه فقال سبحانه " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كـان الله معذبهم وهم يستغفرون " [١] وضمن الله لهذه الأمة ألا تجتمع على ضلالـــة وأن يبقى فيها إلى قيام الساعة من يقوم على الحق استمساكا به ودعوة إليـه وفـي هذا يقول القران الكريم " وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " [٢] .

*سادسا : الشمـول :-*من مميزات وخصائص الدعوة الإسلامية أنها شاملة لكـل شؤون الحياة فهي تهدي الإنسان في كل ظروفه وأحواله ، الإنسـان روحـا وعقلا وجسما ، الإنسان وليدا ورضيعا ، وشابا وشيخا كبيرا ، الإنسان فـردا في أسرة وفي مجتمع ، الإنسان عابدا في محرابه ، عاملا لدنيـاه ، الإنسـان حاكما أو محكوما ، غنيا أو فقيرا . فهل تجاوبت عقول أهل مكة وأهل الكتـاب من اليهود والنصارى مع هذ ه الدعوة الخالدة وما تضمنتـه مـن خصـائص ومميزاتَ تفردت بها ؟ أم أنهم وقفوا ضدها واضطهدوها وحاربوها ، هذا مـا سوف نعرفه في الفصول القادمة إن شاء الله .

---

١ سـورة الأنفال أية رقـم ٣٣

٢ سـورة الأعراف أية رقـم ١٨١

الفصل الأول

اضطهاد كفار مكة للرسول وأصحابه

المبحث الأول : أســـــباب اضطهاد كفار مكة للرســــــــــــول وأصحابه

المبحث الثاني : أنواع اضطهاد كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم –

المبحث الثالث : أثــــر اضطهـــاد كفـــار مكـــة للرســــــــــول وللدعوة

المبحث الأول

أسباب اضطهاد كفار مكة للرسول وأصحابه

تمهيد :

عندما يتأمل الباحث في أسباب اضطهاد كفار مكة للرسول (صلى الله عليه وسلم) فإن الباحث يجب عليه أن يضع هذا السؤال الافتراضي أولاً : هل رفضت قريش دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عن اعتقاد في عدم صحتها ؟ أم إنها رفضتها لأسباب وعلل أخرى ؟ وإذا أردنا أن نجيب على السؤال الأول : فإننا نجد أنها لم ترفض الدعوة اعتقاداً في عدم صحتها فالوليد بن المغيرة يشهد ويقسم فيقول بعد أن أستمع إلى الرسول " والله إن له لحلاوة وأن أصله لعزق [1] وإن فرعة لجناة " [2] . ويقول عتبة بن ربيعة : سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم [3] .

إذاً فقريش رفضت الدعوة واضطهدت الرسول لا عن اعتقاد في عدم صحتها ، ولا عن اعتقاد في عدم صدقه ، وإنما لأسباب وعلل أخرى يمكن تركيزها في الأسباب الرئيسية التالية :

١ - الاستعلاء والاستكبار :

لقد كان الاستعلاء والاستكبار والترفع عن اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – بالذات واستخفافهم لشأنه ، وغيظهم من اختصاصه بالرسالة الإلهية من دونهم من الأسباب المباشرة لاضطهاد كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حيث إنهم يرون أنفسهم أعظم مركزاً وأضخم وأعرض جاهاً وأبعد نفوذاً منه ، ومن ثم فهم أحق بهذه الرسالة . يقول تعالى موضحاً هذا السبب : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير

---

١ - العزق بالفتح · النخلة يشبهه بالنخلة التي نبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .

٢ - ابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - ص ٢٧٠ .

٣ - نفس المصدر - جـ ١ ص ٢٩٤ .

ليكونن أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " . [١]

وقال تعالى : " ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون " . [٢]

إن هذه الآيات توضح لنا أن أسباب كفرهم واضطهادهم كان ترفعا منهم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بالذات . قال ابن اسحق : "أن أبا سفيان بن حرب ؛ وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو – خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا : فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا : .. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . فقال : يا أبا ثعلبه والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجازينا [٣] على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا " منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه . والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه "[٤] .

١- سورة فاطر آية رقم (٤٢ - ٤٣) .

٢- سورة الزخرف آية رقم (٣٠ – ٣٢) .

٣- تجازي بمعنى أقعى وقالوا الجازي والجاثي سواء .

٤- ابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - ص (٣١٥ ، ٣١٦)

٢ - *الخوف من سلب امتيازاتهم :*

من دوافع اضطهاد أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم ، أنهم خـــافوا على مكان لهم من امتيازات على العرب ، وما كان يعود عليهم من منـــافع عظيمة من هذه الامتيازات التي كانت لهم بسبب وجود الكعبـــة ومناســك الحج في مكة ، وبسبب أن منطقة البيت الحرام هي المنطقة الآمنة لقولـــه تعالى " وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون " (١) فهذه الآية تفيد أن زعماء مكة تصوروا أن متابعتهم للنبي صلى الله عليــه وسلم ستؤدي إلى إلغاء ما كان لهم من الامتيازات ، ورأوا في ذلـــك فقـــد أسباب معاشهم ومظاهر عزتهم ، وتعريضهم للخطر وجعلهم أكلة ســـائغة للآكلين . ولعل هذا من أهم ما استغلوه في تخويف سواد مكة من متابعـــة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

٣ - *التنافس القبلي :*

من أسباب دوافع تكذيب أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم التنـــافس العائلي ، فقد وردت آيات قرآنية توضح هذا الدافع ، فأبو سفيان الأمـــوي كان قائد قريش قبل الإسلام ، بل بمثابة رئيسها فخشي على مركز أســرته من بروز أسرة بني هاشم تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم فكان مـــن جملة قادة المعارضين الكبار . يلمح هذا من نشاطه ونشاط أخته أم جميـــل زوجـــة عبد العزى بن عبد المطلب الملقب في القـــرآن الكريم بأبي لـــهب – وهو عم النبي – وقد كان من أثر نشاطها أن جعلت زوجها يقـــف فـــي صف المناوئ والمعاند والمكذب ، قال تعالى : " تبت يدا أبي لهب وتب مـــا أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطـــب في جيدها حبل من مسد " . (٢)

١- سورة القصص الآية رقم (٥٧) .

٢- سورة المسد .

ولما نزلت سورة المسد بلغ الغيظ منها مبلغاً جعلها أن تجمع الحجارة لترجم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أخذ مبصرها . يقول ابن إسحاق : " أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يديها فهر من حجارة فلما وقفت عليها أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهرفاه ، أما والله إني لشاعرة ثم قالت : مذمماً عصينا ، وأمره أبينا ، ودينه قلينا . ثم انصرفت : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ فقال ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني " [1]

٤ - *عصبية التقاليد :*

كانت عصبية التقاليد شديدة الرسوخ في أهل مكة ، ولم يكن من السهل التغلب عليها حتى لقد كان ذلك سبب تمسك معظم أقارب النبي بدين الأباء مع حماسهم لنصرته ودفع الأذى عنه ، وإذا تليت عليهم آيات الله قالوا : " ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم " [2] وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا " [3] " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا " [4] . لقد كان أهل مكة يتعللون دائماً بهذه التقاليد البالية . قال تعالى " بل قالوا أنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون " [5] .

لقد كانت هذه التقاليد سبباً في أن تؤدي بهم إلى التهلكة والدمار حيث أنهم ماتوا على الكفر بسبب عنادهم .

---

١ - ابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - جـ ٢ ص ٦ .

٢- سورة سبأ الآية رقم (٤٣) .

٣- سورة الأعراف الآية رقم (٢٨) .

٤- سورة لقمان الآية رقم (٢١) .

٥- سورة الزخرف الآية رقم (٢٢) .

٥ - إنكارهم للبعث والخوف على الآباء :

لقد ظن كثيراً من المشركين أن الإنسان لن يبعث بعد موته لكي يثاب المحسن على إحسانه ، ويجازي المسيء على إساءته ، " وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " [١] ولذلك اضطهدوا الرسول – صلى الله عليه وسلم وكذبوه لأنه أخبرهم أن الله سيحييهم مرة ثانية بعد الموت " وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد " [٢] كان الحديث عن اليوم الأخر وما فيه من عذاب شديد للكافرين تزعج قلب الرجل المكي لأنه مرتبط في تدينه الوثني بما كان عليه الآباء والأجداد ، كانت الآيات التي تتحدث عن مصير الذي مضوا على الكفر تزلزل عقله ، وهي مغالطة سوّل الشيطان بها أن يجابهوا الدعوة ويكذبوها حتى يسلم آباؤهم من هذا الوعيد الشديد " [٣] لقد كانت المشاعر المنحرفة والعقلية الساذجة تريد أن تقاوم الدعوة بهذا الفقه الأعرج الأعمى لتقنع نفسها أن آباءهم الذين مضوا كانوا على شيء من الدين .

لقد برروا لأنفسهم الكفر ومجابهة الدعوة لينقذوا آباءهم من يوم القيامة ، وما أعد فيه للكافرين فضروا أنفسهم بذلك وكان مصيرهم النار وصدق الله العظيم إذ يقول : " فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون " [٤] لقد كان من أسباب اضطهادهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – استبعادهم قدرة الله على البعث ، ولهذا " جاء أبي بن خلف – لعنه الله – إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذروه في الهواء

١- سورة الجاثية آية رقم (٢٤) .

٢- سورة سبأ الآية رقم (٧) .

٣- الدكتور / رءوف شلبي – الدعوة الإسلامية في عهدها المكي بتصرف يسير – الطبعة الثانية – دار القلم بالكويت سنة ١٩٨٢م – ص (٤٢٢ ، ٤٢٣)

٤- سورة سبأ الآية رقم (٤٢)

وهو يقول يا محمد أتزعم ان الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار " [1] .

لقد نسى الكفار أن الذي خلق السموات والأرض بمن فيهن ، لا يُعجز عن إعادة الأجسام بعد أن تصبح رميماً ، لقد نسى هؤلاء الكفار أن الله خلقهم من العدم إلى الوجود ، وأن الذي خلق من العدم قادر على الإعادة من الوجود مرة ثانية ، وأن الإنسان لم يخلق في هذه الدنيا سدى ، وإنما خلقه الله لعبادته قال تعالى : " أيحسب الإنسان أن يترك سدى " [2] وقال سبحانه : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون " [3] .

١- تفسير بن كثير جـ ٣ ص (٥٨١)

٢- سورة القيامة الآية رقم (٣٦) .

٣- سورة المؤمنون الآية رقم (١١٥)

المبحث الثاني

أنواع اضطهاد كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه

تمهيد :

يتضح للباحث أن كفار مكة اتخذوا كل وسائل الاضطهاد ضد النبي – صلى الله عليه وسلم – من أول يوم دعاهم فيه إلى توحيد الله وعبادته اضطهدوه بوسائل وأساليب شتى من ذلك أسلوب الإغراء ، وأسلوب المساومة ، وأسلوب الاضطهاد القولي فالاتهام بالكذب والجنون والسحر ، والسخرية والاستهزاء ، وأسلوب الاضطهاد البدني كإلقاء القاذورات والرمي بالحجارة ، والبصق والخنق ، وأسلوب الضغط الاقتصادي ، والاضطهاد الفكري. وقد لقي رسول الله أنواع الاضطهاد وهو ثابت على الحق ، صابر على المكروه ، لم يجزع ولم يمل ، وكيف لا وهو الذي خاطبه الله بقوله " فأصبر كمّا صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون " [1] وفي هذا المبحث بيان لبعض أساليب الاضطهاد .

أولاً : اضطهاد كفار مكة للرسول بواسطة الأغراء :

من أساليب الاضطهاد والتي سلكها كفار مكة ضد النبي – صلى الله عليه وسلم – أسلوب الإغراء ، وقد استعملوا هذا الأسلوب بطرق متعددة وملتوية من ذلك محاولة إغرائهم أبو طالب الذي كان يدافع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد استعملوا هذا الأسلوب أكثر من مرة من ذلك .

١ – في المرة الأولى :

حاولوا كسب أبو طالب لصفهم وأفهموه وأن قضيتهم تهمه هو الأخر يقول ابن هشام " قالوا : [2] يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب

١- سورة الأحقاف الآية رقم (٣٥) .

٢- الذين قالوا هذا لعمه هم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو البحتري بن هشام والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ونبه ابنا الحجاج

ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب : قولاً جميلاً وردهم رداً رقيقاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه [1] فهذه القضية تبين لنا أنهم حاولوا إغراء أبو طالب عن طريق الدفاع عن عقيدته ولذلك قالوا : له فإنك على مثل ما نحن عليه "

<u>٢ – في المرة الثانية :</u>

حاولوا إغراء أبو طالب عن طريق الانضمام إلى الفريق الذي لا يغلب ، وأن هذا أفضل له من محاربتهم جميعاً ولذلك مشى إليه زعماء مكة وقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الطرفين ، ثم انصرفوا " [2] ومعنى هذا أنهم أغروه بالانضمام إلى مطالبهم أو فعليه أن يتحمل ما يصيبه من اضطهاد وأذى ولذلك بعث إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأعلمه بما قالت قريش ، وقال له " أبعد عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق فرد عليه – صلى الله عليه وسلم – رداً قوياً يوضح له أن ما جاء به لا يباع ولا يشترى ، وأن كل شيء يهون في سبيله . فقال له : " والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته . فقال له أبو طالب " أذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبداً " [3] .

١- راجع : ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ١ (ص ٢٦٥) – ومحمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – جـ ١ (ص١٩١) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ١ (ص ٢٦٥) – ومحمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م – جـ ١ (ص١٩٢)

٣- راجع : تاريخ الطبري جـ ٢ (ص ٣٢٣ ، ٣٢٧) والكامل في التاريخ جـ ٢ (ص ٦٤) وابن هشام جـ (ص ٢٦٦) .

٣- الإغراء الثالث :

جاءوا إلى أبي طالب ، ومعهم عمارة بن الوليد ، فقالوا يا أبا طالب : هذا عمارة بن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم فخذه فلك عقله ، ونضرته ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك ، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم فنقلته فإنما هو رجل برجل : فقال : والله لبئس ما تسومونني ، أتعطوننى ابنكم أغذيه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون أبدا " [1]

بهذا المنطق الفاسد الذي لا يقبله أي عاقل حاول كفار مكة أن يتلمسوا الحيل للخلاص من النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما يئسوا من إجابة مطلبهم انتقلوا إلى وسلية أخرى من وسائل الاضطهاد .

ثانيا : اضطهاد كفار مكة للرسول من خلال المساومة :

من أساليب الاضطهاد التي سلكها كفار مكة أسلوب المساومة ظنا منهم أن ما جاء به – صلى الله عليه وسلم – يهدف من ورائه عرض من أعراض الحياةالدينا ، في مال أو جاه أو سلطان ، ولذلك بعد أن فشلوا في أسلوب الإغراء اتبعوا أسلوب المساومة معه – صلى الله عليه وسلم – وهو أسلوب فتاك مغري قد ينخدع به كثيرا من الناس ، وبعض الدعاة لا سيما الذي يريدون الدنيا وزينتها .

تذكر كتب السيرة والتفسير أن نفرا [2] من زعماء قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سريعا وهو يظن أن قد بدا

١- الإمام الطبري – تاريخ الطبري جـ ٢ (ص ٣٢٧) والكامل في التاريخ جـ ٢ (ص ٦٥) وابن هشام جـ ١ (ص ٢٦٧) .

٢- ذكر ابن هشام أن هؤلاء النفر هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البحتري بن هشام والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية ، والعاص بن وائل ، راجع السيرة لابن هشام جـ ١ (ص ٢٩٥)

لهم في ما كلمهم فيه بـ وكان حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا له : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وأن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب نبرئك منه أو نعذر فيك [1] فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لهم : " ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " [2]. لقد حاول كفار مكة أن يساوموا النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن خاب مسعاهم ، لأنه – صلى الله عليه وسلم – ما جاء ليأخذ من الناس أموالهم وهو الذي أنزل الله عليه قوله تعالى " قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وَهُوَ عَلَى كل شيء شهيد " [3] " قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين " [4] . لقد حاول كثير من الطواغيت إغراء بعض الدعاة بالمال والجاه والسلطان ، وما محاولة اليهود للسلطان عبد الحميد بمبالغ طائلة للدولة ولجيبه الخاص عنا ببعيد .

١- انظر : علي بن برهان الدين الحلبي – السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م – جـ ١ (ص ٣٤٠) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥م – جـ (ص ٢٩٥)

٣- سورة سبأ الآية رقم (٤٧) .

٤- سورة ص الآية رقم (٨٦) .

ثالثاً : اضطهاد كفار مكة من خلال الاضطهادات القولية :

كانت الاضطهادات القولية من كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – كثيرة ومتنوعة وكانوا يقصدون من الاضطهادات القولية عدة أهداف منها :-

١ - تشكيك الناس في صدق دعوته ، وفقد ثقتهم به ، ومن ثم معاداتهم له .

٢ - تنفير الناس منه ومن دعوته ، وتشويه صورته خاصة عند الذين لا يعرفونه .

٣ - إبقاء الناس على أوضاعهم السائدة ، وهي أوضاع ظالمة ومستبدة وذلك لتحقيق أطماعهم ، ولذلك اتهموا الرسول بقولهم له " ما بقي أمر قبيح إلا قد جئته " [١] وقديما قال فرعون " ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد " [٢] وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف كانت الاضطهادات القولية من كفار مكة للرسول صلى الله عليه وسلم – شديدة وقاسية وكثيرة ومتنوعة من هذه الاضطهادات ما يلي : -

١ - الاتهام بالكذب [٣] :

من صورة الاضطهاد التي سلكها كفار مكة ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – اتهامه بالكذب والافتراء والاختلاق ، والقرآن الكريم حافل بكثير من الآيات التي توضح مسلك المجرمين لهذا الأسلوب مع رسول الله من

١- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية – جـ ١ (ص ٢٩٥) .

٢- سورة غافر الآية رقم (٢٦) .

٣- للرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأدلة الكثيرة المتوافرة ، والبراهين العديدة الباهرة ما يدل على صدقه – صلى الله عليه وسلم – في دعوته وعموم رسالته بما تعجز الأقلام عن تعدادها وحصرها ، أدلة يقينية بلغت من الوضوح والسمو على صدقه مبلغا تخضع له العقول الراجحة والألباب السليمة ، بحث لا يعتريها ريب ولا يرقى إليها شك . فقد اشتهر رسول الله بحسن السيرة والسريرة والاتصاف بكل فضيلة ، والتجرد من كل نقيصة ورذيلة ، فقد كان منذ طفولته حتى بلغ الأربعين أوحد الناس عفة ، وأشرفهم قصدا ، وأفصحهم كلاما ، وأصدقهم حديثا ، وأسماهم أمانة وسيرة ، وأرجحهم عقلا وأسماهم بدا فإذا كان قبل الوحي وفي سن الصبا والشباب موصوفا بتلك الأوصاف الطاهرة والسيرة العطرة ، فبعد النبوة من باب أولى ، لأنه معصوم كسائر الأنبياء والمرسلين .

انظر : أحمد بن حجر آل طامي – الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب – الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ (ص ٢٤ . ٢٨)

ذلك أن الكافرين من قوم نوح – عليه السلام – حاولوا جاهدين أن يعزلوا الناس عنه وعن دعوته من خلال اتهامه بالكذب قال تعالى : " فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل بن نظنكم كاذبين " (١) .

وفرعون يتهم موسى – عليه السلام – بالكذب ليصرف الناس عنه قال تعالى : " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب " (٢) وكفار مكة اتهموا النبي – صلى الله عليه وسلم – بنفس التهمة قال تعالى عنهم " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " (٣) .

إن الاتهام بالكذب من أشد أساليب الاضطهاد التي تعرض لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه اتهام باطل ، وهم يعلمون أنه باطل مكذوب ، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رض الله عنهما – قال لما نزل قوله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين " خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صحباه فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا عليه فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم ، قال أبو لهب : تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا .. ثم قام فنزلت " تبت يدا أبي لهب وتب " (٤) فهذا النص يوضح أنهم اعترفوا بصدقه في حاضره وماضيه ، وهذا يستدعي تصديق في كل ما يقول : ولكنهم ناوأوه واضطهدوه وكذبوه لدرجة أنهم كانوا يسيرون خلفه ويقولون للناس لا تسمعوا له إنه كذاب .

١- سورة هود آية رقم (٢٧) .

٢- سورة غافر آية رقم (٢٣) .

٣- سورة ص آية رقم (٤)

٤- حديث صحيح : أخرجه البخاري جـ ٨ (ص ٠ ٤ ـ ٤ ، ٩ ٠ ٥ ٠ ٠ ١ ٥)

قال ابن إسحاق : " حدثني حسين بن عبد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال : إني لغلام شاب مع أبي ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : " يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به " قال : وخلفه رجل أحول وضئ ، له غديرتان ، عليه حلة عدنية . فإذا فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قوله وما دعى إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب " [1] .

إن أبا لهب من المتهالكين على مصالحهم من غير نظر إلى حق وباطل وصدق وكذب ، فأي عمل يعرض مصالحة للبوار أو يخدش ما لإسمه من منزلة يهيج ثائرته ، ويدفعه لاقتراف الحماقات .

ولكن ما قيمة حماقة أبي لهب أو قريش أو العرب أو الدنيا كلها ، بإزاء رجل يحل رسالة من الله الذي له ملك السموات والأرض ، يريد أن يعيد بها الرشد لعالم فقد رشده ، وأن يمحو بها الأوهام ، في حياة مرغتها الأوهام في الرغام ، ولهذا فلن تجد تحركات أبي لهب وغيره في تكذيب من أيدته السماء ، فالطحالب العائمة لن تستطيع أبداً أن توقف السفن الماخرة [2] .

- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ٢ (ص ٥٠) والقرطبي – تفسير القرطبي – جـ (ص ٧٨٥١) وابن سعيد – الطبقات الكبرى – جـ ١ (ص ٢٠١) .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – فقه السيرة – طبعة دار إحياء التراث الإسلامي بقطر بتصرف – (ص ١١١) .

٢ - *الاتهام بالجنون :*

من أساليب الاضطهاد التي شنها كفار مكة ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – اتهامه بالجنون وقد سجل القرآن الكريم هذا الأسلوب في آيات كثيرة . قال تعالى : " وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون " [١] وقال سبحانه : " ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون " [٢] وقال تعالى : " أن يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون " [٣]

إن اتهام صاحب العقل الراجح ، والرأي السديد ، والفكر الصائب في قدراته العقلية ، واتهامه بالجنون من أشد أنواع الاضطهاد ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

لقد اعدّ الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – قبل الرسالة إعداداً كاملاً في كل شيء فكان أفضل الناس خلقاً ، وأكمل الناس عقلاً ، وأحسنهم خلقاً ، ولهذا دحض القرآن الكريم فريتهم القبيحة هذه بأن دعاهم إلى التدبر فيما يقولون قال تعالى : " قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد " [٤] .

٣ - *الاتهام بالسحر :*

من الاضطهادات القولية التي افتراها كفار مكة اتهامهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – بالسحر وزعموا أن ما يأتي به الرسول من عند الله تعالى ، إنما هو سحر وخداع وضلال ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحكي هذه التهمة من ذلك قوله تعالى : " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب " [٥] وفي سورة الأنعام " ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس

١- سورة الحجر الآية رقم (٦) .

٢- سورة الدخان الآية رقم (١٤) .

٣- سورة المؤمنون الآية رقم (٧٠) .

٤- سورة سبأ الآية رقم (٤٦) .

٥- سورة ص الآية رقم (٤) .

فلمسوه بأيديهم لقال الذي كفروا إن هذا إلا سحر مبين " [1] . وفي سورة سبأ : " وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين " [2] وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا " [3] وفي سورة المدثر يقول تعالى عن الوليد بن المغيرة : " إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر " [4] يقول ابن هشام : " اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغير ، وقالوا له قل لنا فيه قولا . قال بل أنتم فقولوا اسمع ، قالوا : نقول : كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . قالوا : نقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : ساحر قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق [5] ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر أحد الا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل الله هذه الآيات من سورة المدثر [6] إن هذا الأثر يوضح لنا أن قريشا كانت لا تمل

١- سورة الأنعام الآية رقم (٧) .

٢- سورة سبأ الآية رقم (٤٣) .

٣- سورة الفرقان الآية رقم (٨) .

٤- سورة المدثر الآية رقم (١٨ ، ٢٥) .

٥- العذق : بالفتح النخلة ، فهو يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي ، وطاب فرعها إذا جنى . انظر : حاشية سيرة ابن هشام حـ ١ (ص ٢٧٠) .

٦- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – حـ ١ (ص ٢٧٠ ، ٢٧١) .

ولا تكل من اضطهاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإنها كانت تبذل كل ما تستطيع لإلحاق الأذى به ، وإبعاد الناس عنه .

٤ – *الاستهزاء والسخرية :*

من صورة الاضطهاد التي سلكها كفار مكة ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – الاستهزاء والسخرية ، وكان هدفهم من هذا تنفير الناس منه ومن دعوته ، ولذلك كانت تتخذ طابع الاحتفاء . وقد بين لنا القرآن الكريم هذه الصورة في أكثر من آية من ذلك : قوله تعالى : " وإذا رآك الذين كفورا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون " [١] .

وقال تعالى : " وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا " [٢] فأي صورة أقبح وأبشع وأشد على النفس من هذا الاضطهاد الذي بلغ في حدته أن يهزأ الوضيع بالشريف ، وأن يسخر السفيه بالعاقل .

إن كفار مكة تواصوا فيما بينهم أن يسخروا من النبي صلى الله عليه وسلم – والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن سخريتهم لم تقف عند حد فقد سخروا من شخص الرسول ، وسخروا من القرآن المنزل عليه ، وسخروا من الملائكة ، وسخروا من المؤمنين من ذلك ما يلي :-

أ – *سخريتهم بالقرآن :*

قال تعالى : " وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين " [٣] يقول الأمام القرطبي : " إن المشركين من أهل مكة .. إذا رأوا معجزة من معجزات هذا الدين سخروا منها ، واستهزأوا بها ، وأخذوها هزوا ، وتمادوا في ذلك فقالوا إن هذا القرآن الذي يأتي بهذه المعجزات مجرد سحر خادع وتخيل لا حقيقة فيه [٤] .

١- سورة الأنبياء الآية رقم (٣٦) .

٢- سورة الفرقان الآية رقم (٤١) .

٣- سورة الصافات الآية رقم (١٥ ، ١٦) .

٤- تفسير القرطبي – جـ ١٥ (ص ٧٦) .

ب - *سخرية أبي جهل للرسول وأصحابه :*

كان أبو جهل شديد الاضطهاد للرسول ولأصحابه وكان يستهزئ به ، ويسخر من القرآن الكريم من ذلك " لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم ، قال متهكما ساخرا " يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : عجوة يثرب بالزبد ! والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها [1] تزقما ، فأنزل الله تعالى فيه : " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل [2] يغلي في البطون كغلي الحميم [3] " أي ليس كما يقول " [6] .

ج - *سخرية الكافرين بالملائكة :*

إن سخرية الكافرين لم تقف عند حد هذا الحد ، بل سخروا من الملائكة ، فكان أبو جهل لعنه الله - يقول يا معشر قريش ، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عددا ، وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم [7] .

إن البحث لا يتسع لسرد أساليب السخرية والاستهزاء . ولكن ما نريد توضيحه أنه أسلوب قديم سلكه جميع الطواغيت مع الرسل والدعاة للنيل منهم وتحطيمهم قال تعالى : " وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون " . [8]

وأنه لم يتوقف في عالمنا المعاصر مع الدعاة إلى الله ، وما ينشر في بعض الصحف والمجلات ، وما يبث في الإذاعات والتلفاز ، وسائر وسائل الإعلام من نكت وطرائف تسخر من الدعاة عنا ببعيد .

١- تزقم الشيء : ابتلعه .

٢- المهل : كل ما يصهر من نحاس أو حديد .

٣- سورة الدخان الآية رقم (٤٣ ، ٤٦) .

٦- ابن كثير - السيرة النبوية - جـ ٢ (ص ٥٥) وابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - جـ ١(ص ٣٦٢) .

٧- ابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - جـ ١ (ص ٣١٣) .

٨- سورة الزخرف الآية رقم (٦ ، ٧) .

رابعا : اضطهاد كفار مكة للرسول بواسطة الضغط الاقتصادي :

بعد أن فشل كفار مكة في اقتلاع الإسلام ، وإبادة المسلمين عن طريق الاضطهادات القولية والبدنية ، عند ذلك بدأوا يفكرون في اضطهاد الرسول وأهل بيته وأصحابه بواسطة الضغط الاقتصادي . وذلك بعد أن رأوا انتشار الإسلام وخروجه من النطاق العربي ، إلى النطاق العالمي حيث هاجر المسلمون إلى الحبشة واستقبلهم النجاشي بروح طيبة ، ورد سعاية قريش حافية القدمين ، عند ذلك جن جنونهم خاصة بعد إسلام عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب .

يقول ابن الأثير في الكامل : " ولما رأت قريش الإسلام يفشو ويزيد وأن المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من عند النجاشي بما يكرهون من منع المسلمين عنهم وأمنهم عنده ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على : ألا ينكحوا بني هاشم وبن المطلب .. ولا ينكحوا إليهم .. ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئا .. فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم ، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب ، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بن قصي وآخرون من سواهم ، وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما فيها من عهد وميثاق [1] .

لقد كان هذا الحصار شديد على المسلمين ، حتى انهم كانوا يأكلون ورق الشجر ، قال سعد بن أبي وقاص عن فترة الحصار ولقد جعت حتى

١- ابن الأثير - الكامل في التاريخ - حـ ٢ (ص ٨٧) والسيرة لابن هشام حـ ١ (ص ٣٥٠)

وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعته في فمي وبلعته ، ولا أدري ما هو حتى الآن " [1] .

لقد كان حصار كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – نوع من أنواع الحرب الاقتصادية الفاجرة ، فقد كان بكاء أطفالهم لا ينقطع من شدة الجوع قال السهيلي : " كانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة ، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام قوتا لعياله فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – حتى لا يدركوا معكم شيئا ، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن لا خسارة عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع . وليس في يده شيء يطعمهم . ويغدوا التجار على أبي لهب فيريحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا " [2] .

لقد ظن كفار مكة أنهم سيقضون على الإسلام بهذه الوسيلة ونسوا أن هذا الحصار كان خيرا للدعوة الإسلامية كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي : " إن الاضطهاد لا يقتل الدعوات بل يزيد جذورها عمقا ، وفروعها امتدادا ، وقد كسب الإسلام أنصارا في هذه المرحلة ، وكسب – إلى جانب ذلك – أن المشركين قد بدأوا ينقسمون على أنفسهم ويتساءلون عن صواب ما فعلوا ، وشرع فريق منهم يعمل على إبطال هذه المقاطعة ونقض الصحيفة التي تضمنتها [3] .

---

١ – محمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – جـ ١ (ص ١٩٦) .

٢- فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – فقه السيرة – طبع إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – بدون تاريخ ورقم للطبعة (ص ١٢٩) .

٣- فضيلة الشيخ / محمد الغزالي -- فقه السيرة – طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – بدون تاريخ ورقم للطبعة (ص ١٣١ ، ١٣٢) .

خامسا : اضطهادهم للرسول بواسطة أسئلة التحدي والتعجيز :

لما دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهل مكة إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان ، تلقى الكفار هذه الدعوة بالاستغراب والتعجب والمكابرة والاستنكار والسخرية ، ووقفوا منها موقفا شديدا . وأخذوا يمكرون ويضطهدون ويكيدون للدعوة بشتى الطرق والأساليب للحيلولة دون نجاحها والاستجابة إليها ، لذلك هداهم تفكيرهم الضال أن يطلبوا من الرسول – صلى الله عليه وسلم – مطالب ليس الغرض منها التأكد من صدق نبوته ولكن بغرض التعنت والإعجاز مثل أن يفجر لهم الأرض عيونا جارية من الماء ، أو تكون له جنة من نخيل وأعناب ، أو أن تسقط عليهم السماء كسفا أو يأتي بالله والملائكة ، أو يكون له بيت من زخرف ، أو يرقى في السماء يقول ابن هشام : " قالوا يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن في من يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : " ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تر دوه عليَّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك : سل أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم وتلتمس المعاشر كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم فقال

... رسول الله – صلى الله عليه وسلم " ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه ... (١)

يبدو مما قاله ابن هشام تطاول الكافرين على رسول الله وتحديهم لـه ، وطلبهم إليه بأمور تعجيزية ، ولهذا سجل عليهم القرآن الكريم هذا المسلك العدواني قال تعالى : " ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا " (٢) .

سادسا : اضطهاد كفار مكة للصحابة :

بعد أن فشلت قريش في وقف النبي عن دعوته اتجهت في اضطهادها لأصحابه واتباعه ، فاضطهدوهم شر اضطهاد وأوقعوا بهم سوء العذاب . يقول ابن هشام واصفا هذا العذاب : –

" ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع النبي – صلى الله عليه وسلم – من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتدت الحر ، من استضعفوا منهم ، يَفْتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفْتن من شدّة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يَصْلُب لهم ويَعْصمه الله منهم "(٣) إن كفار مكة تخلوا عن إنسانيتهم وآدميتهم في معاملتهم للصحابة واعتبروا الواحد منهم كأنه قطعة خشب ينشرونه إلى نصفين أو يمشطونه بأمشاط من حديد تنزع لحمه عن عظمه ، من هؤلاء الصحابة الذين اضطهدهم كفار مكة ما يلي : –

---

١ – انظر : ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ١ (ص ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

٢ – سورة الإسراء الآية رقم (٩٠ ، ٩٣) .

٣ – ابن هشام – السيرة النبوية – جـ ١ (ص ٣١٧) وانظر : السيرة الحلبية جـ ١ (ص ٣٣٤) وانظر : ابن كثير – السيرة لابن كثير – جـ ١ (ص ٤٩٣)

١ – بلال بن رباح[1] :

كان مملوكا لأمية بن خلف . وكان من السابقين إلى الإسلام . وقد سئل صلى الله عليه وسلم : من آمن بك أولا ؟ فقال : اثنان : حر وعبد ، أما الحر فكان أبو بكر وأما العبد فهو بلال بن رباح [2] فلم علم أمية بإسلامه شرع يأخذه إذا اشتدت حرارة الشمس في الظهيرة فيجرده من ثيابه ، ويلقى به على الرمال الساخنة ، ثم لا يكتفي بذلك بل يضع صخرة ثقيلة فوق ظهره أو يلبسه الدرع من الحديد الملتهب ، ويلقى به على الرمال . يقول ابن هشام " كان أمية بن خلف بن وهب بن حزافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد " [3] . وعن ابن مسعود رضى الله عنه – قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر ، وعمار وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله – صلىَ الله عليه وسلم – فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد آتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه . فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد " [4] وقال عمرو بن العاص : مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء ، لو أن بضعة لحم وضعت لنضجت ، وهو يقول " أنا كافر باللات والعزى " وأمية بن خلف مغتاظ

---

١ – هو بلال بن رباح الحبشي وأمه جارية حبشية اسمها حماق ، كان مولده في بني جمح من أشراف قريش .

٢ – صحيح الإمام البخاري – فتح الباري جـ ١٥ (ص ٣٨٤) ، وانظر : الأستاذ / محمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – طبعة أولى ١٩٨٦م – جـ ١ (ص ١١٥) .

٣ – ابن هشام – السيرة النبوية – جـ ١ – تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد اللطيف شلبي – دار إحياء التراث العربي – (ص ٣١٨) .

٤ – أخرجه أحمد الحكام جـ ٣ (ص ٢٨٤) – وقال : صحيح الإسناد ، وقال الذهبي صحيح ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية جـ ١ (ص ١٤٩) ، وابن أبي الجاشية في الكتر جـ ٧ (ص ١٤) ، وابن عبد البر في الاستيعاب جـ ١ (ص ١٤١) من حديث ابن مسعود – وانظر : حياة الصحابة للكاندهلوي جـ ١ (ص٢٦٩) .

عليه فيزيده عذاباً " [1] ظل بلال – رضى الله عنه – في هذا العذاب ، وهو ثابت على دينه ، صادق في إيمانه ، وهو لا يجد أفضل ولا أعذب من قوله : أحد أحد . فمر عليه ورقة بن نوفل فقال له : الله يا بلال ، ثم يذهب ورقة بن نوفل إلى أمية بن خلف فيقول : والله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً . [2] ظل هكذا حتى مرّ عليه أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ ثم خلصه من أميه بن خلف ، واشتراه بسبع أواق فأعتقه ، واعتق معه ستة آخرين ، فكان أبو بكر الصديق لبلال غوثاً ، حتى لقب الصديق بعتيق النار ، ومعتق أهل الإيمان " [3] .

٢ – اضطهادهم لأبي بكر :

لقد اضطهد كفار مكة أبو بكر [4] – رضي الله عنه – اضطهاداً شديداً ، وضربوه ضرباً مبرحاً ، من شدة ضربهم له تورم جسده حتى لم يعد يعوف وجهه من أنفه . وهو صابر محتسب . فعن عائشة – رضى الله عنها قالت : لما اجتمع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ألح أبو بكر على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الظهور فقال : يا أبا بكر إنا قليل . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وثار المشركون على

١- انسياب الأشراف – جـ ١ (ص ١٨٥) .

٢- أي لأجعلن قبره موضوع حنان : أي عطف ورحمة .

٣- الإمام / محمد أبو زهرة – خاتم النبيين – جـ ١ (ص ٢٩٤) والسيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص٣١٨

٤- هو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان أبو قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي لقب بالصديق لأنه أول من بادر إلى تصديق الرسول فيما كان يخبر به وهو أول من أسلم من الرجال ولم له كبوة وتردد عندما عرض عليه الإسلام ، أسلم وله من العمر سبعة وثلاثون سنة ، أنزل الله بحقه الآيات لكثرة عتقه للعبيد ، كان شجاعاً قوياً شهد الغزوات كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة بعد وفاته وسار على نهج النبي صلى الله عليه وسلم ، توفى في السنة الثالثة للهجرة عن عمر يناهز الثالثة والستين . انظر : الاصطفا في سيرة المصطفى – جـ ١ (ص ١١٠ ، ١١٢)

أبي بكر ، وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ، ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخسوفتين ، ويجرفهما لوجهه ونزا [1] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى ادخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو هاشم فدخلوا المسجد وقالوا : " والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .. " [2] لقد ضاقت أرض مكة على أبي بكر من شدة اضطهاد الكفار له فخرج مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ " برك الغماد " [3] لقيه ابن الدغنة – سيد الأحابيش – فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ابن الدغنة إن مثلك لا يخرج يا أبا بكر ، فوالله لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ، ارجع فإنك في جواري ، فرجع معه حتى إذا دخل مكة طاف ابن الدغنة على أشراف قريش وقال : إني قد أجرت ابن أبي قحافة فما يعرض له أحد إلا بخير . ولكن بعد فترة أرسل كفار مكة إلى ابن الدغنة وقالوا له : إنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بسبب عبادته لله ، فقال له ابن الدغنة : إني لم أجرك لتؤذي قومك .. فقال له أبو بكر : أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . فرد عليه جواره [4] .

هكذا كانت شجاعة الصديق – رضي الله عنه – وقوة إيمانه وصدق يقينه ، لقد وقف أمام المشركين وجها لوجه يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ولم

١- أي وثب عليه .

٢- محمد يوسف الكاندهلوي – حياة الصحابة للكاندهلوي – طبعة مكتبة دار التراث بالقاهرة – بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ١ (ص ٢٦٠ ، ٢٦١) .

٣- برك الغماد : بفتح الباء وكسرها اسم لموضع باليمن ، وقيل : هو موضع وراء مكة بخمس ليال .

٤- محمد يوسف الكاندهلوي – حياة الصحابة للكاندهلوي – طبعة مكتبة دار التراث بالقاهرة – بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ١ (ص ٢٦٤) .

يبال بكثرتهم وقوتهم ، وعرض حياته للخطر فأصيب بشر ما يصاب به إنسان .

٣ - اضطهاد كفار مكة لآل ياسر [١] :

ممن اضطهدوا في سبيل الدعوة الإسلامية ، ياسر بن عامر وزوجته سمية ، وابنه عمار بن ياسر وهم من السابقين للإسلام ، فقد أسلم عمار وصهيب في يوم واحد ، ورسول الله في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلا [٢] وفي اليوم الثاني عرض عمار الإسلام على أبيه وأمه فأسلما وكان أبوه حليفالبني مخزوم ، فلما علمت بنو مخزوم بذلك ، فلم ينكر " عمار " ولا أهله ، بل أعلنوا إسلامهم بدون خوف أو وجل ، وانقبض بنو مخزوم على آل ياسر يذيقونهم أشد العذاب ليفتنوهم عن دينهم ، وفي بطحاء مكة حيث ترسل الشمس شواظا من اللهب عذبوهم عذابا نكرا ، أخرج ابن عساكر عن عثمان – رضي الله عنه – قال : " بينما أنا أمشي مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالبطحاء إذا بعمار ، وأبوه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام . فقال أبو عمار : يا رسول الله ! الدهر هكذا ! فقال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " صبرا آل ياسر ! اللهم أغفر لآل ياسر " [٣] ، وعن عبد الله بن جعفر – رضي الله عنه – قال : مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى ، فقال لهم : " صبرا آل ياسر ! صبرا يا آل

١- ياسر والد عمار قحطاني قدم مكة مع أخوين له ، أحدهما يقال له الحارث والثاني مالك في طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكة فحالف أبو حذيفة بن المغيرة بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا ، فأعتقه أبو حذيفة انظر : ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ١ (ص ٢٦١) .

٢- محمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – جـ ١ (ص ١٥٧) .

٣- أخرجه أحمد والبيهقي والعقيلي وأبو نعيم وغيرهم بمعناه عن عثمان رضي الله عنه كما في الكنز جـ ٧ (ص ٧٢) وأخرجه ابن سعد في الطبقات جـ ٣ (ص ١٣٣) انظر : حياة الصحابة جـ ١ (ص ٢٧٢) ومسند الإمام أحمد جـ ١ (ص ٦٢)

ياسر فإن موعدكم الجنة "[1] لقد سكنت نفس ياسر مما سمعه من النبي – صلى الله عليه وسلم – وتحمل العذاب بنفس أبية حتى مات من شدة العذاب ، واشتد العذاب على سمية زوجة ياسر وابنها عمار وأبو جهل يهزأ منهما ويسخر ، فأغلظت سمية له القول فطعنها في مكان الشرف منها بحربة فماتت ، فكانت أول شهيدة في الإسلام ، وشددوا العذاب على عمار بالجر تارة ، وبوضع الصخر في شدة الحر على صدره تارة أخرى ، وبالخنق في الماء تارة ثالثة ، ولم يتركوه حتى نال من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وذكر آلهتهم بخير ، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم -- يبكي فقال : ما رواءك يا عمار ؟ فقال شر يا رسول الله ! كان الأمر كذا وكذا . فقال : فكيف تجد قلبك ؟ قال عمار : أجده مطمئنا بالإيمان فقال – صلى الله عليه وسلم : يا عمار ! إن عادوا فعد . فأنزل الله تعالى قوله : " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " [2] .

ولما عم أذى قريش بالمسلمين ، واشتد بطشها بهم ، أذن النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم بالهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم ، فكان عمار معهم يدفعه إلى ذلك حرصه الشديد على أن لا يفتن في دينه وإيمانه ، وأن لا يقع فريسة للعذاب بين أيدي الجبارين التي لا ترحم ، وقلوبهم التي لا تلين ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشارك مع الرسول في بناء المسجد ، وشهد المشاهد والغزوات كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبلى بلاء حسنا . ثم انضم عمار مع جيش الصديق لمحاربة المرتدين ، وأبلى عمار في حربهم ، ونادى المسلمين من على صخرة قائلا : " يا معشر المسلمين من الجنة تفرون ، أنا عمار بن ياسر هلموا إلي " وقد قطعت أذنه والدم يسيل وهو يحارب حتى انتصر عليهم . وظل هكذا حتى استشهد في صفين . فرضي الله عن ياسر وسمية وعمار ، وجعل الجنة مثواهم ومأواهم .

١- رواه ابن الكلبي عن ابن عباس انظر : الإصابة جـ ٣ (ص ٦٤٧) والبداية جـ ٣ (ص ٥٩) وحياة الصحابه جـ (ص ٢٧٢) ومسند الإمام أحمد جـ ٢ (ص ٣٥٥) .

٢- أخرجه ابن سعد جـ ٣ (ص ١٧٨) وحياة الصحابة جـ ١ (ص ٢٧٢)

٤- اضطهاد كفار مكة لخباب بن الأرت :

من الذين تحملوا الاضطهاد والأذى في سبيل الله خباب بن الأرت [1] ، فقد عذبه كفار مكة بكل أنواع العذاب ، وحاولوا أن يفتنوه عن دينه فما أفتتن ، كان – رضي الله عنه – سادس ستة في الإسلام . قال مجاهد : " أول من أظهر إسلامه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر ، وخباب ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، وأم عمار ، أما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الآخرون فألبسوهم أدرع الحديد ، ثم أصهروهم في الشمس ، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله من حر الشمس والحديد . قال الشعبي : سأل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خبابا عما لقي من المشركين ؟ فقال خباب : يا أمير المؤمنين ، انظر إلى ظهري ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم ظهر رجل ، قال خباب : لقد أوقدت نار وسجيت عليها فما أطفأها إلا ورك ظهري أي دهنه. [2] .

وأخرج ابن سعد " أن خباب – رضي الله عنه – قال : كنت رجلا غنيا ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه . فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد – صلى الله عليه وسلم – حتى تموت ثم تبعث . قال : فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ، ولي ثم مال وولد فأعطيك [3] . فأنزل الله تعالى : " أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا .. إلى قوله " ويأتينا فردا " [4] وأخرج البخاري عن خباب – رضي الله عنه – يقول : أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة ، ولقد لقينا من المشركين شدة : فقلت: ألا تدع الله فقعد – وهو محمر الوجه – فقال : قد كان الرجل من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه عن

١- هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن زيد بن مناه بن تميم فهو تميمي .

٢- محمد يوسف الكاندهلوي – حياة الصحابة – طبعة مكتبة دار التراث بالقاهرة – بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ١ (ص ٢٧٣)

٣- المصدر السابق – جـ ١ (ص ٢٧٤)

٤- سورة مريم الآية رقم (٧٧ ٨)

يمسك بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " (١) .

نستنتج مما سبق أن الاضطهادات التي لحقت به كثيرة الأنواع ، وأنه عذب في الله بواسطة الإحراق بالنار والإلقاء فيها وأكل أمواله ، وأنه احتسب هذا كله عند الله ، لقد كانت اضطهادات كفار مكة للرسول وأصحابه كثيرة وطويلة ومتنوعة ولا يتسع البحث لسردها .

لقد حاولوا من خلال هذه الاضطهادات أن يبيدوا الإسلام والمسلمين . أخرج ابن إسحاق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله . إن كانوا ليضربوا أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به " (٢) ولكنهم مع كل هذا العذاب ظلوا ثابتين على الحق ، متمسكين بدينهم لا يخافون في الله لومة لائم حتى كانت الجنة مثواهم .

سابعا : أسلوب الاضطهاد البدني للنبي – صلى الله عليه وسلم :

لقد قرر المشركون ألا يألوا جهدا في اضطهاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين بشتى أساليب الاضطهاد ، لدرجة أنهم زلزلوا الأرض من تحت أقدامهم واستباحوا في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، فبعد وصفهم للرسول بالكذب ، والجنون والسحر ، والاستهزاء والسخرية ، انقلبت اضطهاداتهم إلى أفعال شرسة لدرجة أنهم كانوا يترقبون النبي – صلى الله عليه وسلم – في غدوه ورواحه ، في عبادته ، في ركوعه وسجوده لله ، وقد أشار القرآن إلى هذه الاضطهادات قال تعالى : " أرأيت الذي ينهى . عبدا إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع

١- صحيح البخاري : جـ ٥ (ص ١٣٢) ، حديث رقم ٣٣٤ والبداية والنهاية جـ ٣ (ص ٥٩) .

٢- ابن كثير – البداية والنهاية – جـ ٣ (ص ٥٩) وحياة الصحابة جـ ١ (ص ٢٨٥) .

ناديه سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب " [1] إن هذه الآيات تصـــور لنا صورة من الاضطهاد الذي تعددت أشكاله وأنواعه ومنه ما يلي :-

١ – *الصد عن الصلاة وإلقاء القاذورات :*

كانت مواقف كفار مكة من النبي – صلى الله عليه وسلم – مواقف عدوانيـــة لكل شيء يفعله – صلى الله عليه وســـلم – لكي يتراجع عما عليـــه مـــن الحق ، من ذلك ما رواه الإمام الترمذي : عن ابـــن عبـــاس – رضـــي الله عنهما – قال : " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي ، فجـــاء أبـــو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عـــن هـــذا ؟ فانصرف النبي – صلى الله عليه وسلم – فزبره [2] . فقال أبو جهل : إنـــك لتعلم ما بها ناد أكثر مني ، فأنزل الله " فليدع ناديه سندع الزبانية " فقـــال ابن عباس : فو الله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله " [3] .

لم تقف اضطهادات أهل مكة عند هذا الحد بل إنهم اتفقوا على إيذائه بوضع القاذورات المنتنة على كتفه وهو ساجد فقد روى الإمام مسلم بإسناد عـــن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : " بينما رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحر جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبـــي – صلى الله عليه وسلم – وضعه بين كتفيه . قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة طرحتـــه عـــن ظـــهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والنبي – صلـــى الله عليـــه وســـلم – ساجد ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمـــة ، فجـــاءت وهـــي جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم . فلما قضى النبي – صلـــى الله عليه وسلم – صلاته ، ورفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعـــا

---

[1] - سورة العلق الآية رقم (٩ ١٩)

[2] - زبره : أي هره ، أغلظ في القو[ل]

[3] - الترمذي : الجامع الصحيح ج ٥ ص

ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال : " اللهم عليك بقريش " ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ، ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، ثم قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط – وذكر السابع ولم أحفظه – فو الذي بعث محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر " (١) .

٢ – *اضطهاد الرسول بواسطة رميه بالحجارة :*

من وسائل الاضطهاد البدني التي سلكها المجرمون ضد الرسل – عليهم السلام – رميهم بالحجارة أو رجمهم وقد ذكر لنا القرآن الكريم أن الكافرين استعملوا هذه الوسيلة مع أكثر من نبي من ذلك : أن قوم نوح هددوه إذا استمر في دعوته إلى التوحيد بالرجم قال تعالى : " قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " (٢) .

وقد تعرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضوان الله عليهم – للضرب بالحجارة ، من ذلك أنه بعد أن وجد أن أهل مكة لم يستجيب منهم إلا القليل وكان معظمهم من الضعفاء والعبيد ، وهم لا يستطيعون حمايته بل ولا حماية أنفسهم ، ولم يكن له نصير إلا ابنته عند ذلك اتجه برسالته إلى أهل الطائف ، واستصحب معه زيد بن حارثة ، وبعد أن وصلها " قصد إلى نفر من رجالاتها الذي ينتهي إليهم أمرها ، ثم كلمهم في الإسلام ودعاهم إلى الله فردوه جميعا ردا منكرا ، وأغلظوا له الجواب ، ومكث عشرة أيام يتردد على منازلهم دون جدوى " (٣) ثم أغروا به صبيانهم وسفهاءهم ومجانينهم يرمونه بالحجارة ، حتى أدموا جسمه الشريف قال ابن عقبة : " وقفوا له صفين على طريقه ، لما مر رسول الله

١- صحيح مسلم بشرح النووي – جـ ١٢ (ص ١٥١ ، ١٥٣) ، وأخرجه البخاري جـ ١ (ص ٢٧٨ ، ١٨٠) والنسائي جـ ١ (ص ٥٨) وأحمد رقم (٢٧٢٢) .

٢- سورة الشعراء الآية رقم (١١٦) .

٣- انظر : حياة الصحابة – جـ ١ (ص ٢٥٦) .

– صلى الله عليه وسلم – بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه " واضطره المطاردون أن يلجأ إلى بستان لعتبة ، وشيبة بن ربيعة حيث جلس في ظل كرمة ثم رفع يديه قائلا : " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني [1] أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك " [2] .

٣– *البصق والخنق :*

حاول كفار مكة أن يستعملوا وسيلة من وسائل الإهانة والإذلال بمحاولة سفيه من السفهاء بالبصق فقد ذكر البلاذري في الأنساب أن عقبة بن أبي معيط قد دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – فلم يلب دعوته حتى شهد أن لا إله إلا الله ، فلقبه أبي بن خلف فأنكر عليه ذلك وكان صديقا ونديما له ، وقال : اتَّبعت دين محمد فقال : لا والله ، ولكني قلت له قولا لم أعتقده ، فقال له : وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به وتتفل في وجهه ، ففعل ، ورجع ما خرج من فيه إلى وجهه [3] فأنزل الله " ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا " [4] وجاء في سبيل الهدى والرشاد : " روى الإمام البخاري وابن المنذر وأبو يعلي والطبراني عن عروة قال : سألت عمرو بن العاص

١– يتجهمني : أي يستقبلني بوجه كريه

٢– تفسير الطبري – جـ ٢ (ص ٢٣٠) وحياة الصحابة – جـ ١ (ص ٢٥٦) وروى هذا الدعاء الطبراني في الكثير من حديث عبد الله بن جعفر .

٣- انظر : أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري - أنساب الأشراف – جـ ١ (ص ١٣٨) تحقيق محمد حميد – طبعة دار المعارض سنة ١٩٥٩م .

٤– سورة الفرقان الآيات (٢٧ – ٢٩) .

فقلت : أخبرني بأشـد شيء صنعه المشركون برسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : بينما النبي – صلى الله عليه وسلم – في حجـر الكعبـة إذا أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه ، فخنقه خنقا شـديدا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : " أتقتلون رجلا أن يقول ربـي الله وقـد جـاءكم بالبينات من ربكم " (١) .

٤- التآمر على قتله – صلى الله عليه وسلم :

من صور الاضطهاد القاسية التآمر على قتله ، فلقد تآمر كفار مكة على قتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى موضحا هـذا التـآمر : " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكـر الله والله خير الماكرين " (٢) لقد بلغ اضطهاد كفار مكة للرسول – صلـى الله عليـه وسلم – أنهم حاولوا قتله أكثر من مرة ، من ذلك أن أبا جهل قـال : " يـا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آباءنـا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن غـدا بحجـر ، مـا أطيق حمله ، أو كما قال . فإذا سجد فـي صلاتـه فضخـت بـه رأسـه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصـنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بـدا لهم ، قالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد .. فلما أصبـح أبـو جهل أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينتظره ، وغدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما كان يغـدو بمكـة وقبلته إلى الشام ، وكان إذا صلى ، صلى بين الركنيـن اليمـاني والحجـر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله يصلي ، وقد غدت قريش وجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتـى

١- سبل الهدى والرشاد – جـ ٢ (ص ٥٧٣) والآية من سورة غافر رقم (٢٨)

٢- سورة الأنفال الآية رقم (٣٠)

إذ [illegible] رجع مهزوماً منتقعاً لونه مرعوبا قد يبست يداه علـــى حجـره حتى قذف بالحجر من يده " [1]

مما سبق يتضح لنا أن الغيظ والحقد والبغضاء بلغ مبلغه في نفسية هـــذا الجهول الذي حاول قتل الرسول – صلى الله عليه وســـلم – ، والـــذي يســـتقرأ الأحداث يجد أن هذا لم يكن تفكيرا خاصا بأبي جهل ، وإنما كان الجميع من كفار مكة يفكرون بنفس هذه الطريقة . فقد أورد ابن جرير عن ابن عباس : أن نفـــرا من قريش من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم .. وأنهم بدأوا يتشاورون في أمره ، فقال قائل منهم احبسوه فـــي وثائق ، ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من كـــان قبلـــه مـــن الشعراء .. فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم برأي .. فقـــال قائل فأخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه .. فقال الشيخ النجدي والله ما هـــذا لكم برأي .. فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعـــد ، ما أرى غيره ! قالوا وما هو ؟ قال : تأخذون من كل قبيلة غلاما وســـيطا شـــاباً نهدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجـــل واحـــد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقـــدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل [2] واسترحنا فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي ، القول ما قال الفتى ، لا أرى غيره ! قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلـــك بـــالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة " الأنفال " يذكره نعمه عليه " وإذ يمكـــر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـــوك ويمكـــرون ويمكـــر الله والله خـــير

١- الإمام محمد بن يوسف الصالحي – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – جـ ٢ (ص ٤٥٤) تحقيق الأستاذين : إبراهيـــم الترزي وعبد الكريم الغرباوي – الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٩م – وابن هشام السيرة النبويـــة – الطبعـــة الثانية – مطبعة مصطفى البابي سنة ١٩٥٥م جـ ١ ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩) .

٢- العقل : أي الدية

الماكرين " (١) يقول القرطبي : " هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في دار الندوة ، فاجتمع رأيهم على قتله ، فبيتوه ، ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج ، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ، ودعا الله أن يعمي عليه أبصارهم فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم تراباً ومضى ، فلما أصبحوا خرج عليهم علي وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نجا " (٢) .

يبدو مما سبق أن اضطهاد كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – قد بلغ إلى أقسى درجات الاضطهاد جعلتهم يأتمرون على تصفيته جسدياً كما حاول الطواغيت مع إبراهيم ، وموسى ، وغيرهم – عليهم السلام .

ثامناً : اضطهاد الكفار للدعاة إلى الله بقتلهم :

اضطهادات المشركين للإسلام والمسلمين كثيرة وعديدة ومتنوعة فقد حاولوا قتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولكن الله حفظه وهاجر من مكة إلى المدينة ، وفيها نصره الله بأسود الأنصار ، يحمون ديارهم ، ويدافعون عن حوزته ، ويمنعونه مما منعوا نساءهم وأولادهم وأنفسهم . وقامت بدر وأحد ، وقتل فيهما من قتل من المشركين ، وهنا ازداد حقد المشركين على الرسول – صلى الله عليه وسلم ولذلك أقبل عليه رهط من قبيلتي " عضل والقارة " يعرضون نصرهم وإسلامهم – كذباً ونفاقاً – فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فاستبشر المسلمون خيراً ، وأرسل الرسول فيهم ستة من أعلام أصحابه من البدريين الذين أيدتهم الملائكة ، ومن السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين وهم " عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخبيب بن عدي الأوسي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير الليثي " وانطلق هذا الوفد المؤمن مغادراً المدينة متجهاً

١- تفسير الطبري – جـ ١٣ (ص ٤٩٤ – ٤٩٦) .
٢- تفسير القرطبي – جـ ٤ (ص ٢٨٣٣) .

إلى عضل والقارة دعاة هداة . إلى الله وإلى الإسلام ، يحملون إليهم آيات الله . وما كانوا يعلمون أن المشركين قد عقدوا النية على قتلهم ، حتى إذا كانوا في الرجيع – بين عسفان ومكة – غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً ، وفوجئ وفد الهداية إلى الإسلام برجال غير الرجال يحيطون بهم من كل جانب ، وبأيديهم السيوف ، يريدون أن يأخذوهم بالغش والخديعة ، كما استنفروهم بها ، فأخذ الصحابة الأطهار سيوفهم ليردوا عن أنفسهم القتل فقال لهم الأعداء " إنا لا نريد قتلكم ، ولكن نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة " فأبى الصحابة أن يقبلوا منهم ، فأما عاصم بن ثابت ومرثد وخالد بن البكير فقالوا والله لا تقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا ، وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من رباطها ، وأخذ سيفه ، فابتعدوا عنه ، وأخذوا يرمونه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظهران – رضي الله عنه – .

وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة فقدموا بهما إلى مكة ، فباعوهما ، فابتاع زيداً صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وأما خبيب فقد ابتاعه بنو الحارث بن عمار بن نوفل ، وكان شراؤهما في شهر ذو القعدة ، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرام ، فقتلوا زيداً ، وأما خبيب فأخذوا يسومونه الخسف والهوان ، ثم اجمعوا على قتله ، فلما خرجوا به من الأشهر الحرام ليقتلوه ، قال : ذروني أصلي ركعتين فتركوه ، فصلى سجدتين ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً * * * على أي جنب كان لله مصرعي [1]

فلما أوثقوه نظر إليهم وقال : " اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً " [2] وهكذا .

١- رجع : محمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – جـ ٢ (ص ١٩٦) ، وخاتم النبيين جـ ٢ (ص ٨٨٠ – ٨٨١) ، وفقه السيرة (ص ٢٨٦) .

٢- رواه البخاري في صحيحه – جـ ٧ (ص ٣٠٣ – ٣٠٨) ، والامام أحمد – جـ ٢ (ص ١٩٤) .

استشهد هؤلاء الأبطال وحزن عليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحزن المسلمون لما أصاب أصحابهم الذين استشهدوا في سبيل الله بغدر من الوثنية المشركة . ورثاهم حسان بن ثابت – رضي الله عنه – ومما قاله :

يا عين جودي بدمع منك ومنسكب * * وابكي خبيباً مع الفتيان لم يؤب [1]

تاسعاً : اضطهاد كفار مكة لقراء القرآن الكريم :

إن الدور الباغي الذي قام به المشركون ضد الدعوة ، وضد الرسول ، وضد الدعاة ، يدل على ما تخبئه الوثنية في ضميرها من الشنن والكيد والبغض والغيظ ، ولهذا تعددت اضطهاداتهم ، من ذلك أن أبا براء عامر بن مالك بن جعفر الملقب بملاعب الأسنة ، قدم المدينة ، فعرض على النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يرسل وفداً من الدعاة ينشرون الإسلام بين قبائل نجد ، فقال له رسول الله : " إني أخشى عليهم أهل نجد . قال أبو براء أنا لهم جار " فاختار النبي – صلى الله عليه وسلم – سبعين صحابياً من خيرة المسلمين يعرفون بالقراء ، وخرجوا من المدينة حتى بلغوا بئر معونة [2] وكانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، ويحيون على هذا النسق الرتيب ، بين جهاد للحياة ورغبة في الآخرة .

فلما أمرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمسيرة لإبلاغ رسالات الله ، خرجوا ، وما كانوا يعرفون أنهم جميعا – يحثون الخطى إلى مصارعهم في أرض انتشر الغادرون في فجاجها :

وحينما انتهى القراء إلى " بئر معونة " بعثوا أحدهم – حرام بن ملحان – إلى عامر بن الطفيل رأس الكفر في هذه البقاع ، فأعطاه كتاب النبي الذي يدعوه فيه إلى الإسلام ، فلم ينظر " عامر " في الكتاب ، وأمر رجلا من أتباعه أن يقتل حرام بن ملحان ، ثم مضى " عامر " في كفره فاستصرخ القبائل المشركة

١- راجع : محمد نبهان – الاصطفا في سيرة المصطفى – طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – جـ ٢ (ص ١٩٩)

٢- راجع : فقه السيرة (ص ٢٨١) ، والاصطفا في سيرة المصطفى جـ ٢ (ص ٢٠٠ – ٢٠١) وخاتم النبيين جـ ٢ (ص ٨٨٥ – ٨٨٦) .

فانضمت إليه قبائل رعل و " ذكوان " و " القارة " فهجم بهم عامر على القراء الآمنين .

وهرع القراء إلى سيوفهم يدافعون عن أنفسهم دون جدوى حتى قتلوا عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمري ، وكعب بن زيد لم يشهدا هذه المأساة . ولما قدم " عمرو " على الرسول وأخبره الخبر ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – للناس " إن أصحابكم أصيبوا ، وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا أننا رضينا عنك ورضيت عنا " [1] وبلغ من حزن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه ظل شهرا كاملا يدعو الله بعد أداء فريضة الصبح ، لينتقم لهم من قتلهم ، وتأثر المسلمون جميعا لهذه الكارثة التي أصابت إخوانهم في الدين .

عاشرا : وقائع من اضطهادات المشركين للمسلمين بعد عصر الرسول :

إن اضطهادات المشركين للإسلام والمسلمين لم تكن في عصر دون عصر وإنما كانت في كل العصور التاريخية كلها ، وذلك لأن الإيمان بالله وحده هو سبب نقمة المشركين ، ومن ثم يضغنون الحقد لكل مؤمن ، ويتبعون هذا المنكر مع كل مسلم آمن بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبرسول الله نبيا ورسولا ، ولهذا قال سحرة فرعون له وهو يتوعدهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل والتقتيل " وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا " [2] وقال سبحانه عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين " وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " [3] .

هكذا كان سبب اضطهاد المشركين للمؤمنين ، وصدق الله العظيم إذ يقول عن المشركين " لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون " [4] ولهذا سجل لنا التاريخ أن موقف المشركين من كل رسول ومن كل رسالة يشابه

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٧ / ٢١٢ من طريق هشام بن عروة عن أبيه مرسلا

٢ – سورة الشعراء الآية رقم (١٢٠)

٣ – سورة البروج الآية رقم (   )

٤ – سورة التوبة الآية رقم (   )

موقف المشركين من رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن رسالته إلى يوم القيامة لهذ سوف أذكر بعض النماذج الدالة على مواقفهم .

النموذج الأول : الوثنيون التتار :

إن المشركين في كل مكان وفي كل زمان لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، فعندما ظهر المشركون التتار على المسلمين في بغداد ووقعت المأساة الدامية وراح ضحيتها الكثير من المسلمين حتى كانت دماؤهم تجري كالأنهار والتي سجلتها الروايات التاريخية وسنكتفي بأحداث عام ٦٥٦ من الهجرة عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ، ودخل كثير من النساء في الآبار ، وأماكن الحشائش ، وقنى الوسخ ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب ، فتفتحها التتار ، بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلونها عليهم فيهربون إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطح ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، ودخلوا عليهم في المساجد والجوامع ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى [1] ومن التجأ إليهم .. وأصبحت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ، ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين ، فقيل ألف ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس – فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما .. وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر ، وعفى قبره ، وكان عمره يومئذ ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر .. وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد .. ثم

---

١ - ذلك أن اليهود والنصارى من أهل الذمة كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الخلافة والنضاء على الإسلام والمسلمين فيها ، وممن دلوا على عورات المدينة وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة واستقبلوا التتار بالترحاب ، ليقضوا لهم على المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية . انظر : في ظلال القرآن جـ ٢ (ص ١٦٠٨) .

قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن .. ثم ولده الأصغر مبارك ، وأسرت بنات الخليفة الثلاث فاطمة وخديجة ومريم .. وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج الجوزي وأولاده الثلاثة .. وجماعة أمراء السنة ، وأكابر البلد .

وكان الرجل يستدعى من دار الخلافة ، فيخرج بأولاده ونسائه ، فيذهب إلى مقبرة الخلال ، فيذبح كما تذبح الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه .. وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجمع مدة شهور .. ولما انقضى الأمر المقدر ، وانقضت الأربعون يوما ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، وأصبحت القتلى في الطرقات كأنها التلال . وقد سقط عليهم المطر ، فتغيرت صورهم ، وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغيير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون [1] .

النموذج الثاني : الوثنيون الهنود :

إذا تركنا التتار وجرمهم وانتقلنا إلى التاريخ الحديث في القرن العشرين وتفحصنا اضطهادات المشركين للمسلمين فإن الوثنيين الهنود ارتكبوا مع المسلمين في داخل الهند ما لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار ، فعند انفصال باكستان خرج ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند ممن أفزعتهم الاضطهادات البربرية المتوحشة على المسلمين في الهند فآثروا الهجرة على البقاء ، فهل استطاعوا الوصول إلى مكان آمن ؟

لقد طلعت عليهم العصابات الهندية الوثنية المنظمة المعروفة للدولة الهندية جيدا ، والتي يهيمن عليها وزراء من الحكومة الهندية ، فذبحوا كالخراف على طول الطريق الواصل بين الهند وباكستان ، وتركت جثثهم نهبا للطير والوحوش بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة ، لقد وصل عدد الذين

١- راجع : الحافظ بن كثير - البداية والنهاية - جـ ١٣

قتلوا وذبحوا كالخراف عددا كبيرا جدا خمسة ملايين حسب تقديرات الهيئات الدولية . إن الوثنيين لم يكتفوا بالملايين الخمسة فضموا إليها جريمة أخرى مروعة للموظفين المسلمين في أنحاء الهند عندما أجبروهم على ركوب القطار ليحملهم إلى باكستان ، واجتمع في هذا القطار خمسون ألف موظف .. ودخل القطار بالخمسين ألف موظف في نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى " ممر خيبر " وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة في القطار !! لقد أوقعت العصابات الهندية الوثنية المدربة القطار في النفق ، ولم تسمح له بالمضي في طريقه إلا بعد أن تحول الخمسين ألف موظف إلى أشلاء ودماء [1] ، وصدق الله إذ يقول : " كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة " [2] .

النموذج الثالث : الوثنيون الروس :

الدين في نظر الوثنيين الروس أفيون الشعوب .. والله خرافة والوحي دجل .. والأنبياء كاذبون ، والإنسان جاء من العدم .. وسيصير إلى عدم .. فلا آخرة ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولهذا أنزلوا بالمسلمين مختلف صنوف العذاب والاضطهاد ، والتشريد والإبادة يتضح هذا الاضطهاد من نص الشكوى التي أرسلها وكيل الجامع الأزهر السابق ورئيس جماعة الكفاح الإسلامي إلى هيئة الأمم المتحدة كي تحقق فيها وتنصف ذويها وأرسلت إلى " مستر تريجفلي " سكرتير الأمم المتحدة " نتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة ، باسم الشعوب الإسلامية التي ترسف في أغلال الذل والعبودية تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي امتدت سلطاته حتى شملت البلاد الواقعة بين جزيرة البلقان والمحيط الهادي . ويقيم على هذه الرقعة أكثر من مائة مليون من المسلمين في أحوال وظروف تفوق في فظاعتها وقسوتها أظلم عصور التاريخ الغابرة .. إننا نجار بالشكوى لدى هيئتكم الموقرة ضد نظام الحكم المفروض بقوة السلاح على هؤلاء الناس .. إن أكثر من مائة مليون من

١- راجع : الشهيد سيد قطب – في ظلال القرآن – جـ ٣ (ص ١٦٠) .

٢- راجع : الشهيد سيد قطب – في ظلال القرآن – جـ ٣ (ص ١٦٠)

المسلمين مهدد كيانهم في بلاد كانت يوما مركزا للحضارة الإسلامية بل الحضارة العالمية جمعاء . وسنوجز هنا الطرق التي دأبت الشيوعية على سلوكها في سبيل اضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم مدعمين كل طريق منها بالأمثلة الحقيقية من الوقائع والحوادث التاريخية

أولا : الإبادة الجماعية :

لقد أبادت الشيوعية ملايين كثيرة من المسلمين ففي ربع قرن أبادت الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية ستة وعشرين مليونا ، وفي يوغسلافيا الشيوعية من المسلمين مليون مسلم بعد الحرب العالمية الثانية ، وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالا ونساء في " مفارم اللحوم " [1] هذا غير الأمور الأخرى والتي منها ما يلي :

أ - في تركستان في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٤ منعوا وصول الطعام إلى ثلاث ملايين مسلم تركستاني حتى ماتوا جوعا بعد استيلاء الروس على محاصيلهم وتقديمها إلى الوثنيين في الصين .

في سنة ١٩٣٤ قتل الشيوعيون في تركستان وحدها مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والزراع فيما بين سنة ١٩٣٩/٣٧ ألقت روسيا الوثنية القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت فريقا منهم ، وأرسلت فريقا آخر إلى مجاهل سيبيريا .

ب - في القرم : في سنة ١٩٢١ أبيد مائة ألف مسلم ، وفي سنة ١٩٤٦ نفوا شعبين إسلاميين كاملين وهما شعب جمهوريتي القرم وتشيس إلى مجاهل سيبيريا وأحلوا محلهم الروس

وفي يوغسلافيا أبادوا ٢٤ ألف مسلم ، ١٥ ألف من مقاطعة توزلا ، ٣ آلاف في مدينة سرايفو ، و٦ آلاف من ماقيدونيا وكسوفا .

ثانيا : هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو :

بلغ مجموع المساجد التي هدمت أوحولت إلى غايات أخرى في تركســـتان وحدها ٦٦٨٢ جامعا ومسجدا منها أعظم المســـاجد الأثريـــة ، أغلقـــوا ٧٠٥٢ مدرسة وكتاب لتحفيظ القرآن الكريم .

ثالثا : قتل رجال الدين :

" قامت روسيا الوثنية بعدة حملات على رجـــال الديـــن المســـلمين فـــي التركستان وغيرها ، فقتلت كثيرا منهم ، وحرقـــوا المصـــاحف الشـــريفة فـــي الميادين العامة .. " [1] هذا هو النص الذي أرسل إلى هيئة الأمم المتحدة التي لم تحرك ساكنا ، لأنها أعجز من أن تتحرك ضد ثاني دولة مشركة في العالم !!.

---

١ - راجع : فضيلة الإمام / محمد الغزالي – الإسلام في وجه الزحف الأحمر – باختصار طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطـــر ، ص ١٤٤ – ١٥١) .

المبحث الثالث

الآثار الإيجابية لاضطهاد كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وللدعوة

كان لاضطهادات كفار مكة للرسول (ص) آثار إيجابية منها ما يلي :-

أولا : تأسيس الدولة الإسلامية :

من الآثار الطيبة لاضطهاد كفار مكة للرسول وللمسلمين أن أذن الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بالهجرة من مكة – بعد أن وقف المشركون ، وعباد الأصنام وأهل البغي والطغيان والفحشاء والمنكر ضد الإسلام ، وضد المسلمين – إلى المدينة المنورة التي فتحت ذراعيها لاستقبال الرسول – صلى الله عليه وسلم – واستقبال دعوته . ولذا كان أول عمل يقوم به الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد وصوله المدينة ، أن أقام للإسلام دولة[(١)] فاضلة ، تقيم الحق وتخفض الباطل ، وتمنع الاضطهاد والظلم ، وتجمع الإنسانية ، وتنشر التعاون بين الناس ، وتمحو كل الفوارق التي تجعل بعض الناس يتحكم في الآخر ، ولأن " قيام الدولة الفاضلة بعمل النبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته ومن بعده فيه تطبيق عملي لتحقيق العدالة والمساواة ، وإذهاب روح التفاوت والعنصرية ، وبث الإيمان ، ولكي يكون ذلك حجة في الأرض على الذين يدعون أن قيام دولة فاضلة على مبادئ الأخلاق ليس حلما لا يتأتى تطبيقه ، ولكنه عمل ثبت تحقيقه ، وقامت في الوجود أعلامه " [(١)] وقد أقام رسول الله هذه الدولة على أسس ودعائم لابد منها لقيام رسالة الإسلام منها ما يلي :-

١ – الدعامة الأولى :

أن القرآن الكريم دستور الأمة ، والسيادة للشرع فالمسلون ليسوا جماعة من الناس تعيش لبطنها وشهواتها وحياتها ، وإنما المسلمون أمة ذات رسالة تعيش وتعمل من أجلها ، لهذا ارتكزت الدولة التي أقامها الرسول على الالتزام بالشرع وتنفيذ أحكامه ، وإفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية

(١)

١- انظر : الإمام / محمد أبو زهره – خاتم النبيين – جـ ٢ (ص ٦٤٥ – ٦٤٦) طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي – قطر .

والقوامة والسلطان والحاكمية " [١] لأن الحكم لله وحده ، وليس لأحد حكم ولا شرع مع حكم الله وشرعه ، وبهذا تتميز الدولة المسلمة عن الدولة الكافرة ، فالشعب الكافر يريد من حكومته أن تحقق له ما يريد ، فإن أراد اليوم عكس ما أراده بالأمس كان على الدولة أن تحققه له ، أما الدولة المسلمة فإنها تبايع شعبها على الالتزام بالكتاب والسنة ، وإلزامه بالكتاب والسنة ، فلا هي تستطيع الخروج عنهما ، ولا تسمح لأحد أن يخرج عنهما .

٢- *الدعامة الثانية : العمل بالشورى :*

من الدعائم التي أقام عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الدولة الإسلامية في المدينة ، تطبيق نظام الشورى لأنها من دعائم الإيمان ، وصفة مميزة لمجتمع الإسلام .

ومن ثم أوجب الله على رسوله أن يستشير الأمة في كثير من الأمور مع أنه ينزل عليه الوحي فقال تعالى : " وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله " [٢] والشورى التي هي دعامة من دعائم المجتمع الإسلامي ، ليست مطلقة ، بل هي مقيدة بنصوص التشريع الإسلامي وروحه ، فما جاء فيه النص فقد قضى فيه النص ، وخرج من اختصاص البشر ، وبهذا تبتعد عن كل باطل ، وعن كل ضلال ، وعن كل سفه ، وعن كل طغيان أو استبداد .

٣- *الدعامة الثالثة : حرية الإنسان العامة وحرية الرأي :*

حرية الإنسان العامة وحرية الرأي – من الدعائم التي جاء بها رسول الله للدولة الإسلامية ، حرية الإنسان العامة ، وحرية الرأي ، لأنه لا يمكن أن تتحقق إنسانية الإنسان دون حريته ، لأن تحكم الآخرين وتدخلهم في شؤونه ، فيه إلغاء لخصائصه ، كخاصية الاختيار ، وتعطيل لنعمة العقل والإدراك .

١- سيد قطب – معالم في الطريق – طبعة ١٩٦٨ - (ص ٤٨)

٢- سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩)

وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " (1) ولأن حرية الإنسان العامة ، وحرية الرأي ، دعوة إلى تحقيق التعاون المثمر بين المؤمنين ، وسبب لتكوين المجتمع الذي يقوم على المشاركة الإيجابية ، وسبب لنشر الثقة بين أفراد الأمة ، ولأن الوضوح يقتل الخفاء ، والمعارضة تقضي على الدس والوقيعة .

ثانياً : وحدة الأمة الإسلامية :

من الآثار الطيبة التي ترتبت على اضطهاد كفار مكة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وللمسلمين ، أن المسلمين بالهجرة أصبحوا أمة واحدة من دون الناس قال تعالى : " وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " (2) وقال سبحانه : " وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون " (3) وقد طبق رسول الله هذه الوحدة بعد وصوله إلى المدينة مباشرة من خلال الإخاء ، بل إنه وضح هذه الوحدة في نص المعاهدة التي عقدها مع اليهود فقد جاء فيها : " هذا كتاب من محمد النبي – صلى الله عليه وسلم – بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، بأنهم أمة واحدة من دون الناس " (4) على اختلاف أجناسهم ، وألوانهم وألسنتهم ، وأماكنهم وأزمانهم أمة واحدة .

ومظاهر وحدة الأمة التي أسسها رسول الله مظاهر كثيرة ومتشابكة ومتداخلة ، حتى يصل الأمر إلى حد الانصهار الكامل ، وهذه بعض مظاهر هذه الوحدة :

أ – وحدة العقيدة :

إن العقيد هي أصل وحدة المسلمين وجوهر هذه العقيدة هي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فكل من قال هذه الشهادة عن يقين كان من هذه الأمة .

ب – وحدة العبادة :

1- سورة يونس الآية رقم (101) .
2- سورة الأنبياء الآية رقم (92) .
3- سورة المؤمنون الآية رقم (52) .
4- الإمام محمد أبو زهرة – خاتم النبيين – جـ 2 (ص 670)

إن الله الذي آمنا به ، بين لنا أنه خلقنا لعبادته فقال سبحانه : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "[1] والعبادة التي فرضت على المسلمين جميعا عبادة واحدة يطالب بها كل مسلم .

جـ- وحدة الآداب والأخلاق :

من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية وحدة الآداب والأخلاق ، فالمسلمون جميعا يأكلون على هيئة واحدة ، وينامون على هيئة واحدة ، آدابهم في السلام واحدة ، في الصحة واحدة ، في المرض واحدة ، في النكاح واحدة فلا يوجد لأي أمة مثل هذه الوحدة في العادات والأخلاق كما هي للأمة الإسلامية .

د - وحدة التاريخ :

إن تاريخ المسلم الذي ينتسب إليه ويعتز به هو تاريخ الإسلام ، تاريخ يرتبط بآدم ونوح وموسى وعيسى وبرسول الله محمد ، وبمن آمن بهم وأسلم معهم لله ، إن تاريخ المسلم هو تاريخ الأمة الإسلامية ، أي تاريخ الرسل جميعا ، وبالجملة فإن المسلمين أمة واحدة بسبب وحدة العقيدة ، والعبادة ، والسلوك ، والتاريخ ، واللغة ، والتشريع ، وحدة تجعل المسلم يرتبط بأمته ، منها يستمد جنسيته ، ولها يسخر طاقاته ، وعلى أساس ذلك يعطي ولاءه لأمته " .

ثالثا : فتح مكة :

من الآثار الإيجابية التي ترتبت على اضطهاد المشركين للرسول ولأصحابه أن الله مكن رسوله من فتح بلده الحرام التي خرج منها بعد أن تعرض للسخرية ، والاستهزاء ، والاضطهاد ، وذلك بعد أن نقضت قريش معاهدة الصلح التي كانت أبرمتها مع رسول الله في الحديبية عندما أعانت قبيلة بكر بالسلاح والرجال ، على قبيلة خزاعة التي كانت قد انضمت إلى الرسول ، فأرسلت خزاعة وفدا على رأسه عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بما حدث من قريش ويبين له أن قريشا نقضت المعاهدة ، ولم تقم وزنا لحرمة البيت ، ولا للعهد الذي بينهم وبين الرسول والمسلمين فرأى

---

[1] سورة الذاريات الآية رقم (٥٦)

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الا يترك لقريش فرصة تمكنهم أن يستعدوا فيها لقتال المسلمين . فأمر النبي – عليه الصلاة والسلام – المسلمين بالاستعداد ، وأخبرهم أنه متجه إلى مكة ، وأوصاهم بكتمان السر حتى لا تتسرب أخبارهم إلى قريش .

وتحرك جيش المسلمين من المدينة في الثامن من رمضان في السنة الثامنة هجرية لفتح مكة ، وليطهر البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وقد بلغ عدد المسلمين عشرة آلاف مجاهد ، وركب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ناقته القصواء ، وأصدر الأوامر إلى قادة الجيش ألا تقاتل إلا إذا اضطرت على القتال ، وساروا حتى دخلوا مكة ، ولم يحدث إلا مناوشات خفيفة .

وبعد أن تم فتح مكة ، واسلم سادتها ، وعلت كلمات الله في جنباتها ، ووقف رسول الله بين قريش وأهل مكة الذي أذوه واضطهدوه ، وقال لهم : " ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال لهم : فإني لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته " قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " [1] اذهبوا فأنتم الطلقاء " [2] وبهذا العفو الفريد انطلق أهل مكة ينشرون راية التوحيد ويحطمون الأصنام .

رابعا : القضاء على عقيدة الشرك :

من الآثار الإيجابية للاضطهاد أن أهل مكة بعد الفتح ، اقبلوا على الإسلام طائعين ، وعلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبايعون ، وأقبلت الوفود من كل جهة على النبي – صلى الله عليه وسلم – تعلن إسلامها ، ودخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكعبة وكان بداخلها وخارجها أصنام تعبدها قريش ، فأخذ يشير إليها ويقول : " قل جاء الحق وزهق الباطل إن

١- سورة يوسف الآية رقم (٩٢) .

٢- رواه ابن اسحاق معضلا كما في ابن هشام ج٢ (ص ٢٧٤) وقد ذكره الغزالي في الإحياء جـ ٣ (ص ١٥٨) من حديث أبو هريرة ورواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف راجع فقه السيرة : محمد الغزالي هامش (ص ٣٩٤)

الباطل كان زهوقا " [1] وأمر بإخراجها وتكسيرها وتطهير البيت الحرام منها . ثم اتجه رسول الله بعد ذلك إلى القبائل المجاورة لمكة يدعوها إلى الإسلام وتحطيم الأصنام . لقد شن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الوثنية والشرك حربا لا هوادة فيها ، فاقتلعها من جذورها بعزم وحزم ، لذا أرسل أصحابه لتحطيم الأصنام والأوثان بعد الفتح مباشرة وذلك على النحو التالي :-

١- خالد بن الوليد يحطم العزى :

بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خالد بن الوليد لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة لهدم العزى في ثلاثين فارسا من أصحابه ، فلما سمع سادنها – وكانت العزى بنخلة على بعد ليلة من مكة – خلا سبيله ، فهدمها خالد – رضي الله عنه [2] .

٢- عمرو بن العاص يحطم صنم سواع :

بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن العاص إلى تحطيم صنم " سواع " وكان لهذيل ، على ثلاث أميال من مكة في نفس الشهر الذي فتح فيه مكة . قال عمرو بن العاص : فانتهيت إليه وعنده سادن فقال ما تريد ؟ قلت : أمرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن أهدمه فقال السادن [3] لا تقدر على ذلك ، فقلت : لم ؟ فقال : تمنع ، فقلت : حتى الآن أنت في الباطل ؟ ويحك وهل يسمع أو يبصر ؟ فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته [4] .

٣- سعد بن زيد يحطم مناة [5] :

بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سعد بن زيد الأنصاري الأسهلي إلى مناة ليهدمها وذلك لست بقين من شهر رمضان ، فخرج في عشرين

١- سورة الإسراء الآية رقم (٨١) .

٢- الإمام محمد أبو زهره – خاتم النبيين جـ ٢ (ص ١٢١٥

٣- السادن : أي الخادم أو الكاهن

٤- الإمام محمد أبو زهرة – خاتم النبيين جـ ٢ (ص ١٢١٦)

٥- الإمام محمد أبو زهرة – خاتم النبيين جـ ٢ (ص ١٢١٧

فارسا ، حتى انتهوا إليها ، وعليها سادن ، فقال السادن : ما تريد ؟ قال : هدم مناة ، قال : أنت وذاك ، فأقبل سعد يمشي إليها ، فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس تدعو بالويل ، وتضرب صدرها ، فضربها فقتلها ، وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانتها شيء .

٤ – المغيرة بن شعبة يحطم اللات :

وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المغيرة بن شعبة إلى صنم اللات بالطائف فهدمها وأحرقها . وبهذا قضى رسول الله على الوثنية قضاءً مبرماً وقضى على كل ما يتشابه مع الوثنية .

خامساً : النهي عن مشابهة المشركين :

من الآثار الطيبة للاضطهاد النهي عن مشابهة المشركين لأن رسالة الإسلام لا تلتقي مع عبادة الوثن والصنم ، ولا تلتقي مع الجهالة والهوى ، ولا مع الإسفاف والهوان ، والإرتكاس في الفساد والتردي في الباطل ، لهذا كله فقد صفى عقيدة المسلم من أي لوثة من لوثات الشرك من ذلك ما يلي :-

١ – النهي عن صناعة التماثيل واقتنائها :

حرم الإسلام صناعة التماثيل أو نحتها سواء كانت للعبادة أو الزينة أو غير ذلك ، لأن فيها مضاهاة لصنع الله ، وتدخل على صانعها وناظرها ما قد يسبب انحرافا إلى الوثنية قولا وعملا . فقد روت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : " قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من سفر وقد سترت سهوة لي – أي فتحة – بحرام فيه تماثيل ، فلما رآه تلون وجهه وقال : يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة نفس يعذب بها في جهنم " [1] فدل هذا على تحريم

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري – المجلد العاشر – رقم ٥٥٨٥ – شرح الكرماني – (ص ١٣٦) .

صناعة الأصنام ونحتها وبيعها واقتنائها وعرضها فـي البيـوت والأسـواق صيانة للعقيدة .

<u>٢ - تحريم ذبائح المشركين :</u>

باعد الإسلام بينه وبين الوثنية في كل شيء ، حتى في الذبائح ، فحرم علـى المسلمين ذبائحهم لأن المشركين يرتكبون في الذبح اعتداء على سـلطان الله فقال تعالى : " ولا تأكلوا مما لم يذكـر اسـم الله عليـه وإنـه لفسـق وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون " (١) فهذا النص " قاطع في أن طاعة المسلم لأي أحد من البشر في جزئيـة مـن جزيئات التشريع التي لا تستمد من شريعة الله ، ولا تعتمد على الاعتراف لـه وحده بالحاكمية ، إن طاعة المسلم في هذه الجزئية تخرجه من الإسـلام لله ، إلى الشركة بالله " (٢) .

<u>٣ - تحريم مناكحتهم :</u>

حرم الإسلام على المسلم أن يتزوج مشركة ، أو يتزوج المشـرك مسـلمة ، مهما كانت حالتهم الاجتماعية والسياسية والحضارية ، لأن العبرة الأساسـية بالعقيدة التي ينطوي عليها قلب الإنسان فقال تعالى : " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشـوكين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمـن خير من مشـرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعـون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياتـه للنـاس لعلـهم يتذكرون " (٣) .

<u>٤ - حرّم الاستغفار لهم بعد المـوت :</u>

قطع الإسـلام عـلاقة أتباعه بالمشركين حتى بعـد موتهم فمنع المسـلم مـن الاسـتغفار لهم أو طلب الرحمة أياً كانت صلته بهم لأنّهم قـد مـاتوا وهم معـادون لله ورسوله فقـال تعـالى : " مـا كان للنبي والذين آمنـوا

١- سورة الأنعام الآية رقم (١٢١) .

٢- في ظلال القرآن الآية رقم (٢٢١) .

٣- سورة البقرة الآية رقم (٢٢١) .

أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم " [١] " وذلك لأن العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية ، فإذا انقطعت وشيجة العقيدة ، انقطعت الأواصر من جذورها " [٢] .

٥- أوصى بجهادهم بقسوة عند القتال :

أمر الإسلام بالشدة عند قتال المشركين فقال سبحانه : " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم " [٣] " بلغ منع أخذ الجزية منهم وجعلهم أمام أحد الخيارين لا ثالث لها إما الإسلام وإقامة أركانه أو القتال " [٤] .

سادساً : شحن الدعاة بالمنهج الحكيم :

من الآثار الإيجابية التي ترتبت على الاضطهاد أنه شحن الدعاة إلى الله تبارك وتعالى بمميزات ومشخصات هيأتهم لحمل مسؤوليات الدعوة ومن ثم اتباعهم المنهج الحكيم المميز بالمعاملة الحسنة لكسب المناوئين والمخالفين وذلك من خلال ما يلي :-

١- تربية الدعاة على الصبر :

من النتائج الطيبة والدروس المستفادة من اضطهاد كفار مكة للرسول وأصحابه ، أننا إذا أردنا أن نخرج الناس من الظلمات إلى النور فلابد لنا من العودة لما كان عليه رسول الله وأصحابه في تحملهم للشدائد ، وصبرهم عليها ، لأن كل من ينهض بتكاليف الدعوة الإسلامية ، ويريد

١- سورة التوبة الآية رقم (١١٣ - ١١٤) .

٢- في ظلال القرآن جـ ٢ (ص ١٧٢١)

٣- سورة التوبة الآية رقم (٥) .

٤- انظر : حسن خالد - بحث موقف النبي من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص ٥٨٨ - ٥٩٤) المقدم للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية .

تحقيق منهج الله سبحانه في الأرض ، لابد له من الابتلاء ، ولابد لـــه مـــن الإيذاء . يقول الشهيد سيد قطب " لابد من هذا البلاء ، ليـــؤدي المؤمنـــون تكاليف العقيدة كي تعز في نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكـــاليف . والتكاليف هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبـــل أن تعز في نفوس الآخرين ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلـــها كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها . كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حيـن يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها . وحين يرون ذلـــك ، ينقلـــب المعارضون للعقيدة باحثين عنها ، مقدرين لها ، مندفعيـــن إليـــها أفواجـــا أفواجا .

ولابد من البلاء كذلك ، ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى فالشدائد عبـــارة عن دروس وعبر وكسب للخبرات . والقيم والموازين والتصورات ما كـــانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبـــش عـــن العيـــون والران عن القلوب [1] .

ومن ثم فالشرور والمحن والأذى أمر عادي بالنسبة للدعاة إلى الله تعـــالى ، لأن في ذلك تربية لنفوسهم ، وترويـــض علـــى تحمـــل الأذى ، واكتســـاب التجارب والخبرات " لأن ابتلاء المؤمن كالدواء له " ولذلك يقول رســول الله – صلى الله عليه وسلم – : " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليـــس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خـــيرا لـــه وإن أصابتـــه ضراء صبر فكان خيرا له " [2] .

ومن ثم فعلى الدعاة إلى الله أن يستبشروا بالخير إذا اشتدت عليهم وســـائل الكيد والفتنة ، وألا يحيدوا عن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحســـنة ، وأن يعلموا أن الصبر والتقوى هما الزاد .

١- الشهيد سيد قطب - في ظلال القرآن - جـ ٢ (ص ١٤٥) بتصرف .

٢- صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ (ص ١٢٥) .

٢- *أن أمر الله لا يتقدم عليه أمر آخر :*

من النتائج الطيبة للاضطهاد ، أنه تمحيص للداعي الذي ينصـــاع إلى أمـــر الله ، وأمر رسوله وينقاد له ، ويرضى به ، وإن كان مؤلماً لنفسه وبدنه ، وولده ، وأهله ، والناس أجمعين ، لأن حب الله يتقدم على حب كل شـــيء ، يتقدم على حب الولد ، وحب النفس ، وحب المال ، وحب الأهـــل ، وحـــب الدنيا كلها ، وعلى الدعاة إلى الله على بصيرة أن يدركوا أن دعوتهم أعـــز عليهم من أنفسهم وأبنائـــهم وأزواجـــهم وآبائـــهم وإخواتـــهم وأموالـــهم ومصالحهم ، وأن يقتدوا بالسلف الصالح الذين افنـــوا حياتـــهم فـــي نشـــر الدعوة والزود عنها بكل استطاعتهم ، وقد أمرنا القرآن الكريم بذلك " قـــل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجـــارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فـــي سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القـــوم الفاســـقين "[١] فهؤلاء هم الثابتون على عقيدتهم ، الذين تحررت أرواحهم من الخوف مـــن كل شيء سوى الله تعالى ، وتحررت من الذل للعباد ، لأن أمر الله لا يتقـــدم عليه أمر سواه ، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " والله لـــو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتـــى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته "[٢] .

٣- *تكفير السيئات ورفع المنزلة :*

من نتائج الاضطهاد أنه تكفير للسيئات ، ورفع لدرجة الداعي عند الله تبارك وتعالى ، لأن المؤمن إذا ابتلاه الله فصبر على البلاء وثبت على عقيدته فإن الله تبارك وتعالى يكفر له سيئاته ويرفع لـــه منزلتـــه ، وخاصـــة إذا كـــان الابتلاء في الدين كما وقع لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل مكة وغيرهم ، فقد تحملوا كل شيء حتى أنهم كانوا يتسابقون للاستشـــهاد في سبيل الله ، ومشاركة الرسول في كل غزواته ، فعن أنس بـــن مـــالك –

١- سورة التوبة الآية رقم (٢٤) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – جـ ١ (ص ٢٦٦) والكامل في التاريخ جـ ٢ (ص ٦٤) .

رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " ما أحد يدخل الجنة يحسب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد . يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة " وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة " [1] .

٤ – *عدم الاكتراث بالتهم الباطلة :*

من النتائج الطيبة التي يتعلمها الدعاة من اضطهاد كفار مكة للرسول وأصحابه ، عدم الاكتراث بالتهم الباطلة ، فلقد وقفت قريش الظالمة تتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتصفه بأوصاف باطلة وهم أعرف الناس ببطلانها ، فقالوا عنه كذاب ، وساحر ، ومجنون ، وشاعر ، وكاهن ، وقد سجل القرآن الكريم هذا كله ، ورحضه ورد عليه في أماكن كثيرة ، ولم تكن هذه التهم وهذه الاضطهادات معوقة لدعوته صلى الله عليه وسلم ومن ثم فعلى الدعاة أن يتقبلوا أي تهم توجه إليهم ، طالما أنها باطلة .

١- رياض الصالحين (ص ٥٠٤) .

الفصل الثاني

اضطهاد اليهود للرسول وللمسلمين

المبحث الأول : أسباب اضطهاد اليهود للرسول وللدعوة

المبحث الثاني : أنواع الاضطهاد اليهودي للرسول وللدعوة

المبحث الثالث : نماذج من الاضطهاد اليهودي للإسلام بعد وفاة الرسول

تمهيد

إن دراسة سيرة اليهود في اضطهادهم للإسلام والمسلمين ضرورية لكل مسلم يغار على إيمانه ودينه وعرضه وشرفه وذلك للتعرف على موقفهم من الإسلام ومن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكي يدرك خطر هؤلاء اليهود على القيم الإيمانية ، والمعاني الإسلامية الخيرة ، فاليهود واجهوا الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى ، التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة . وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة .

وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء ، وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل ، والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا ، وما تزال حتى هذه اللحظة .

لقد عقد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مقدمه إلى المدينة . معاهدة تعايش مع اليهود ، ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة .. ولكنهم لم يفوا بهذا العهد – شأنهم في هذا كشأنهم مع كل عهد قطعوه مع ربهم أو مع أنبيائهم من قبل ، حتى قال الله فيهم : " ولقد أنزلنا إليك أيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون " [1] .

أن التاريخ يخبرنا أن المسلمين قد تعهدوا بتوفير الحرية الدينية وغيرها لليهود ، وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عاملهم المعاملة التي قررها الله عز وجل ، فلاطفهم ، ولان لهم ، فلم يزدهم ذلك إلا غطرسة ، وحقداً ، وتآمروا على المسلمين . فنقضوا ، ونكثوا ، وبغوا وفجروا ، وتعرض رسول الله وأصحابه لأقسى أنواع الاضطهاد منهم .

١- سورة البقرة آية رقم (٩٩ - ١٠١) .

لقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الشر ، فقد استعانوا بالمشركين وألبوهم ضد الرسول وأصحابه ، واستخدموا في اضطهادهم " للإسلام كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية ، من قرون السبي في بابل ، والعبودية في مصر ، والذل في الدولة الرومانية " [1] واستخدموها في اضطهادهم للإسلام ، من الوسائل اليهودية التي تكفي لإيقاف أي دعوة لولا أن الله سبحانه ناصر دينه وحافظ دعوته ولكن قبل الحديث عن الوسائل التي استخدمها اليهود في اضطهاد الإسلام سوف اذكر الأسباب التي دفعتهم لهذا الاضطهاد وذلك في المبحث التالي .

١- انظر : سيد قطب في ظلال القرآن - الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٧م - دار الشروق - جـ٢ (ص٩٦٠) .

المبحث الأول

أسباب اضطهاد اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم –

١ – *السبب الأول : حبهم للعدوان :*

من أسباب اضطهاد اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولدعوته ، حبهم للعدوان فمن سمات الشخصية اليهودية المعروفة لدى علماء النفس أنها شخصية عدوانية ، بل إنها شخصية تمجد العنف لذاته ، واليهود لا يعرفون " غير العنف سبيلاً لتحقيق أهدافهم " [١] ومن ثم " فالتاريخ اليهودي منذ وجودهم تاريخ دموي حربي تغلب عليهم فيه صفة الشراسة والعنف " [٢] والعنف اليهودي ليس لفئة دون فئة ، وإنما يعم كل اليهود دون استثناء كما يؤكد ذلك اليهودي " يعقوب تيمرمان " بقوله " إن التركيب النفسي للشخصية اليهودية غير عادى ، فكل يهودي يحمل في داخله ما يجعله يتشفى من غير اليهودي " [٣] ويقول الكاتب اليهودي " ليون أوريس " إننا لا نستطيع أن نعطيكم غير حياة من الدماء " [٤] ومن غرائب الأمور ومن أشدها هولاً أن يكون العدوان والعنف من الأمور المحببة لدى رجال الدين لدرجة أنهم هم الذين يقودون حملات التعصب والكراهية ضد الناس قاطبة .

ولهذا ضرب الله عليهم الذل والمسكنة بسبب عدوانهم قال تعالى" ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " [٥] .

---

١ – إبراهيم العابد – العنف والسلام دراسة في الاستراتيجية الصهيونية – دراسات فلسطينية – مركز الأبحاث سنة ١٩٦٧م – (ص ٣٠) .

٢ – الدكتور : رشاد عبد الله الشامي – الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – سلسلة عالم المعرفة – طبعة ١٩٨٦م (ص ١٤٠) .

٣– المصدر السابق (ص ١٥٤) .

٤– إبراهيم العابد – العنف والسلام دراسة في الاستراتيجية الصهيونية – (ص ٣٢) .

٥– سورة آل عمران آية رقم (١١٢) .

لقد كانت اضطهادات اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم - بسبب جبلتهم العدوانية ، لقد تطيروا من هجرته الى المدينه ، واستقراره فيها ، وأخذوا ينظرون إليه بعين التوجس خوفا من رسوخ أقدامه وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الذي كانوا من دون ريب يغذونه ويستغلونه في تقوية مركزهم قبل الإسلام .

ومن ثم اشتدت نكايتهم له ولأصحابه من خلال أساليب المكر والكيد والدس والسخرية والتشكيك والتآمر مع المشركين والمنافقين ، حتى أصبحوا من أشد الناس عداوة له متحدين في ذلك مع المشركين قال تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " [1] .

وقد أثبت التاريخ الإسلامي هذه العداوة التي أعلنها القرآن ، فما من مؤامرة ولا مكيدة ضد الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ الإسلامي حتى عصرنا هذا ، إلا كان المكر اليهودي هو صاحب فكرتها ، ومدبر خطتها ، أو الموجه لها ، أو المشارك فيها مشاركة خبيثة فعالة ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يلي : -

١ - مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رض الله عنه .
٢ - الحركة السبئية التي تسترت بمشايعة علي بن أبي طالب .
٣ - الحركة الباطنية التي أقضت مضاجع المسلمين قيادة وشعوبا خلال قرون من التاريخ الإسلامي .
٤ - الأصابع اليهودية في الحروب الصليبية على العالم الإسلامي .
٥ - إسقاط الخلافة الإسلامية .
٦- الحركة الإستشراقية العاملة على هدم الإسلام
٧ - ظهور البهائية الخائنة المتآمرة على الإسلام والمسلمين .

---

(١) المائدة آية ٨٢

٨ الماسونيه والصهيونيه والاشتراكيات والقوميات وغير ذلك من مكايد يهوديه

٢ – *السبب الثاني الحسد والكبر :*

كان اليهود قبل مبعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، يبشرون به وببعثته ، ويعلمون أنه هو الرسول الخاتم الذي بشرت به كتبهم ، ولكنهم بعد بعثته بدءوا يناصبوه العداء والاضطهاد حسداً وكبراً وغروراً وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم – من العرب وليس من اليهود .

تقول صفيه بنت حيي بن أخطب : " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمى أبى ياسر ، لم القهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، قالت فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبى حيي بن أخطب ، وعمى أبو ياسر ابن أخطب مفلسين ، قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت فأتيا كالين كسلانيين ساقطين يمشيان الهوينا . قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع فو الله ما التفت إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت : وسمعت عمى أبا ياسر ، وهو يقول لأبى حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ، قال نعم ؟ قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت " [٢] .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا السبب فقال تعالي : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء " [٣] وقال تعالى : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره أن الله على كل شئ قدير [٤] .

١- راجع : الدكتور : عبد الرحمن حسن حنبكة – مكايد يهودية عبر التاريخ – الطبعة السادسة سنة ١٩٩٢م – دار القلم – بيروت – (ص ٤٥٠) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ٢ – (ص ٥١٨ – ٥١٩) .

٣- سورة البقرة آية رقم (١٠٥) .

٤- سورة البقرة آيه رقم (١٠٩) .

وقال تعالى " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " (1) فقد سجلت هذه الآية أن اليهود قد حسدوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – على النبوة ، وحسدوا أصحابه على الإيمان ، وحسدوا قريشا على أن يكون النبي منهم (2) ، وعادوا جبريل عداوة شديدة لاعتقادهم أن الله أمره أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم . قال مقاتل : قالت اليهود أن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا (3) فأنزل الله هذه الآية :– " من كان عدوا لله ملائكته ورسله وجبريل وميكال فأن الله عدو للكافرين " (4) .

٣ – *السبب الثالث : عداوة اليهود للجنس العربي :*

من أسباب اضطهاد اليهود للنبي – صلى الله عليه وسلم – أنه من العرب وليس من بني إسرائيل ولهذا كانوا ينتصرون به على العرب ، ويبشرون بمبعثه .

روى البيهقي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله عنهم – قالوا : " كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم وكانوا يجدون محمد – صلى الله عليه وسلم – في التوراة فيسألون الله تعالى أن يبعثه – أي منهم – فيقاتلون معه العرب ، فلما جاءهم كفروا به حين لم يكن من بني إسرائيل " (5) .

فهذا يدل على أن اليهود كانوا يظنون أن النبي الذي بشرت به التوراة ليس من العرب علما بأنهم يعرفونه باسمه وصفته ، فلما جاءهم ، ووجدوه من

١– سورة النساء آية رقم (٥٤) .

٢– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري – الجامع لأحكام القرآن – الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية – دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧هـ – جـ ٥ (ص ٢٥١) .

٣– أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي – أسباب النزول – تحقيق السيد أحمد صقر – الطبعة الأولى – دار الكتاب الجديد – (ص ٢٨) .

٤– سورة البقرة آية رقم (٩٨) .

٥– الإمام محمد بن يوسف الصالحي – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – جـ ٣ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٥م – (ص ٥٤٨) .

العرب كفروا به واضطهدوه . قال تعالي : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لم معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " [1] وقد أشار القرآن الكريم إلى أن اليهود أنكروا نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكذبوه واضطهدوه " بسبب عروبته ، فقد ادعوا أن الله اختص بنى إسرائيل دون سائر الأجناس بالولاية والنبوة ، وأنكروا نبوته لأنه ليس من بنى إسرائيل " [2] .

لذلك ردّ الله عليهم ، أنه لا حرج على فضله ، وأنه مطلق الإرادة يختص بفضله من يشاء ، وبهذا الفضل وبهذه الإرادة منّ على الأميين العرب فبعث منهم رسولاً يهديهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وبين الله أن اليهود قوم مكابرون في دعواهم وإنكارهم ، وأنهم يعرفون الحق ويكتمونه ، وأن مكابرتهم ، تدل على أنهم ينقضون توراتهم ، وأنهم لا يقومون بما أوجبته عليهم من الفهم والفقه فقال تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين " [3] .

إن اليهود لم يقوموا بما أوجبته عليهم التوراة من الفهم ، ولهذا ناصبوا الرسول العداء والاضطهاد بسبب أنه من العرب وأصبحت عداوتهم للعرب تنبع مما في نفوسهم من عداوة للرسول – صلى الله عليه وسلم – لدرجة أنهم استباحوا الأنفس والأعراض والأموال التي للعرب خاصة وفي ذلك نزل قول الحق : " ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب .

١- سورة البقرة الآية رقم (٨٩) .

٢- محمد عزت دروزه – تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم . طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م – (ص ٤٦٩) .

٣- سورة الجمعة آية (٢ - ٥) .

تقول ؟ [1] فأنزل الله تعالى فيهما " يسألونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربي " [2] .

الخلاصة :

والذي نستخلصه من أسئلة التعنت التي وجهها اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – أنهم كانوا يريدون أن يكيدوا للمسلمين ويبثوا الريب في قلوبهم ، رجاء أن يجدوا ثغرة في الرسالة فيطيرون بها فرحاً . ولكن الله تعالى أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن يجادلهم بالحسنى فقال تعالي : " وجادلهم بالتي هي أحسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " [3] ولهذا قال له جبريل عليه السلام – خفض عليك يا محمد ، ثم جاءه بالجواب من الله .

رابعاً : اضطهاد اليهود للرسول من خلال أسئلة الإحراج :

لقد كان من وسائل الاضطهاد التي اتخذها اليهود ضد الرسول – عليه الصلاة والسلام – وضد دعوته ، محاولة استدراجه بالأسئلة الحرجة ، لعله في ظنهم – أن يخطئ أو يجيب بإجابة باطلة تكون لهم وسيلة وحجة ضده ، يستطيعون من خلالها التشهير به ، وصد المسلمين عن اتباعه ، من هذه الأسئلة التي حفظ الله فيها نبيه من مكرهم وكيدهم – ما يلي :

١ - ادعاؤهم أنهم على الحق :

فقد قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – أربعة من اليهود وهم : رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حرملة ، فقالوا يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من عند الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أمرتم

١- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ للطبعة – جـ ٢ (ص ٥٧٢ – ٥٦٩) .
٢- سورة الأعراف آية رقم (١٨٧) .
٣- سورة النحل آية رقم (١٢٥) .

أن تبينوه للناس ، فبرئت من أحداثكم قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق " [١] .

لقد كان هدف أحبار اليهود من هذه الأسئلة إحراجه من ناحية ، ومن ناحية ثانية " أن يقتصر في رسالته على دعوة مشركي العرب إلى الإسلام ، وأن يكف عن دعوة اليهود إليه ويجعلهم بمعزل عنه ، ويعتبرهم على الحق ، ويسلم لهم بجميع ما هم عليه ، ويتركهم وشأنهم يعبثون في دين الله ، ويعيثون في الأرض فساداً " [٢] لقد علم النبي – صلى الله عليه وسلم – ما في أسئلتهم من مكر وخبث فقال لهم : بلى أي أني على ملة إبراهيم ودينه ، وأؤمن بالتوارة ، وأشهد بأنها من الله حق ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها ، أي غيرتم وبدلتم وحرفتم فيها من عند أنفسكم ، وبالتالي فلستم على الهدى ولا على الحق ، ثم أنزل عليه قوله تعالي " قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين " [٣] .

٢ – _إنكارهم نبوة عيسى – عليه السلام :_

جاء نفر من اليهود ، وهم أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار بن أبي إزار ، وابشع ، فسألوه عليه السلام – عمن يؤمن به من الرسل فقال لهم : " نؤمن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ، ولا بمن آمن به [٤] .

---

١ – ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – حـ ٢ (ص ٥٦٨) .

٢ – عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني – مكايد يهودية عبر التاريخ – الطبعة السادسة – دار القلم – دمشق سنة ١٩٩٢م (ص ٦٧) .

٣ – سورة المائدة آية رقم (٦٨) .

٤ – ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي حـ ٢ (ص ١٤٥) .

٥ - السبب الخامس : اعتقادهم أنهم شعب الله المختار :

من أسباب اضطهاد اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولدعوته ، اعتقادهم أن الله اصطفاهم وفضلهم على سائر الناس ، وميزهم عن باقي شعوب الأرض بأن جعلهم شعبه المختار .

ولهذا يعجب القرآن الكريم من هؤلاء الذين يزعمون هذا الزعم ويثنون على أنفسهم فقال تعالى : " ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ، ولا يظلمون فتيلاً . أنظر كيف يفترون على الله الكذب . وكفى به إثما مبينا " (١) أن اليهود يزعمون أنهم هم المؤمنون فقط ، أما الأميون فهم كفره ووثنيون لا يعرفون الله . حتى أنبياء الله ، الذين أرسلهم الله إليهم لدعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له ، هم عندهم كفار لأنهم لم يوافقوهم على عقائدهم الفاسدة .

وقد ظن اليهود – حسب ما تشير إليه مواقفهم – أن يجعلهم النبي – صلى الله عليه وسلم – خارج نطاق دعوته ، معتبرين أنفسهم أهدى من أن تشملهم ، وامنع من أن يأمل النبي – صلى الله عليه وسلم – دخولهم في دينه ، وانضوائهم إلى رايته بل كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمامه هو إليهم " (٢) ولهذا كانت هذه الأقوال التي سجلها الله عليهم في قرآنه : " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى " (٣) وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا " (٤) .

لقد خاب ظن اليهود عندما وجدوا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم في جملة الناس بل يختصهم بلسان القرآن الكريم أحياناً بالدعوة بمثل قوله تعالي " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب

١- سورة النساء آية رقم (٤٩ – ٥٠) .

٢- محمد عزت دروزة – سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم – طبع على نفقة حاكم قطر سنة ١٤٠٠هـ – جـ ٢ (ص ١٢٣) .

٣- سورة البقرة آية رقم (١١١) .

٤- سورة البقرة آية رقم (١٣٥)

مبين " [1] . ويندد بهم لعدم إسراعهم واستجابتهم لدعوته ومــــن ثــم رأى اليهود في الإسلام منافسا يوشك أن يقضى على نفــوذهم ، وينزع الزعامــة الدينية التي كانوا عليها ، لهذا اندفعوا في اضطهاد النبي – صلى الله عليــه وسلم – وأصحابه ، واخذوا يكيدون له ولهم .

١- سورة المائدة آية رقم (١٥) .

المبحث الثاني

أنواع الاضطهاد اليهودي للرسول وللدعوة

أولاً : اضطهاد اليهود للرسول بواسطة التشكيك في نبوته :

لما كان الإسلام دين عالمي جاء لجميع الناس على اختلاف الوانهم وألسنتهم وأوطانهم وعقائدهم ، وقد وضحت هذه الحقيقة ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مكة فقد جاء في سورة الأعراف قوله سبحانه " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً " [١] وانطلاقاً من هذا المبدأ ، وقياماً بهذا الواجب الذي كلفه الله به ، صدع رسول الله بالحق ، فاتصل باليهود ، ودعاهم إلى الإسلام ، لأنهم أعرف به من غيرهم ، ولذلك كان يحب موافقتهم ، فيما لم يؤمر فيه بشيء [٢] ، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يتابعه إلا عدد قليل جداً من أحبار اليهود . وبدأوا في اضطهاده ومقاومته ، والتشكيك في نبوته ، والتشكيك في الكتاب الذي أنزل عليه والطعن فيه .

فقد وقف زيد بن اللصيت اليهودي الذي تسربل بسربال النفاق ، وخان الله ورسوله ، فيقول : مشككا حين ضلت ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ! فأخبر الله تبارك وتعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بقول هذا الخبيث ، ودله عن طريق جبريل على ناقته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن قائلاً قال : يزعم محمد يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين ناقته ؟ وأني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها " فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم كما وصف [٣] .

١- سورة الأعراف آية رقم (١٥٨) .

٢- رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق النبي رأسه " صحيح البخاري بفتح الباري – جـ ٨ (ص ٢٧٩) .

٣- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ٢ (ص ٥٤٧) .

هكذا أراد أن يشكك في نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – . ومن تشكيكهم في نبوته – صلى الله عليه وسلم – أيضاً ما قاله ابن إسحاق : " عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء ابن معرور : يا معشر يهود ، اتقوا الله واسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته – فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم [1] " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين " [2] .

ومن مواقف الكيد والجحود والتشكيك في نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – موقفهم من تحويل القبلة ، فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم في مكة يتجه في صلاته إلى الكعبة ، ثم اتجه إلى المسجد الأقصى عزوفا عما كان فيها من أصنام ، وتفادياً من اشتراكه في الاتجاه إليها مع المشركين ، وتألفاً لليهود ، وتسهيلاً لإجابتهم لدعوته ، ولكن مع كل هذا وقف اليهود منه موقف الإنكار والجحود والدس ، وأخذوا يزهون عليه ، وعلى المسلمين بأن اتجاههم إلى قبلتهم هو اعتراف بأنهم على الهدى ، وأن النبي والمسلمين إنما يقتبسون الهدى منهم ، فلما أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يتحول إلى الكعبة ، أخذوا يشككون في نبوته يقول الأستاذ دروزه : " لقد رأي اليهود في هذا التحول ضربة شديدة توجه إلى مكانتهم الدينية .. فنشطوا على ما تلهمه الآيات إلى الدس والحجاج وتشكيك المسلمين فقالوا : إذا كان التوجه إلى المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع النبي عبادة الذين صلوا إليه ، وإذا كان حقاً فلا معنى للتحول عنه ، وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة ، وقالوا : أن

١- بن هشام – السيرة النبوية – جـ ٢ – ص ٥٤٧

٢- سورة البقرة آية رقم (١٤٢)

أفعال النبي لو كانت مستنده إلى وحي رباني لما نسخ اليوم ما فعلــه بــالأمس ، ولما قال اليوم قولاً ثم نقضه في الغد " (١) .

قــال ابن إســحاق : " ولما صرفت القبلة عــن الشــام إلــى الكعبــة ، وصرفت في رجــب عــلى رأس سبعة عشر شــهراً من مقــدم الرســـول – عليه الصــلاة والســلام – المدينة ، أتى رســـول الله – صــلى الله عليــه وســلم – رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشــرف ، والربيع بــن الربيع بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بــن أبي الحقيق ، قــالوا : يا محمــد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينـــه ، أرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يردون بذلك فتنته عــن دينه " (٢) .

الخلاصــة :

والذي نخلص إليه من محاولة اليهود في التشكيك في نبوة النبي صلـــى الله عليه وسلم – أنهم حاولوا تكذيب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وتكذيــب ما جاء به من الله وصد الناس عن الإيمان به ، وتشكيكهم في عبادتهم معه .

ولهذا أخبر الله تبارك وتعالى رسوله بما سيقع من اليهود عنـــد تحويــل القبلة خاصة ، مــن إثارة الشكوك والتســاؤلات قبل وقــوع الأمـــــر فقـــال تعالي : " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " (٣) وقال ســبحانه : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله أن الله واسع عليم .." (٤) قــال أبــو السعود " أخبر بالأمر قبل وقوعه لتوطين النفوس وإعدادها " (٥) .

١- محمد عزت دروزة – سيرة الرســـول صـــور مقتبسة من القرآن الكريم – طبع على نفقة خليفة بن حمد حـــكم قطـــر ســـنة ١٤٠٠هـــ – جـــ ٢ (ص ١٥٣) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – جـــ ٢ (ص ٥٥٠) .

٣- سورة البقرة آية رقم (١٤٢) .

٤- سورة البقرة آية رقم (١١٥) .

٥- تفسير أبي الســـعود – المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – مكتبة الرياض الحديثة – تحقيق عبد القادر أحمـــد عطا – جـــ ١ (ص ١٧١) .

من وسائل الكيد والاضطهاد التي اتخذها اليهود ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنهم حاولوا أن يفتنوه – صلى الله عليه وسلم – عن بعض ما أنزل الله إليه ، أو ينحرف عن منهج الحق والعدل إلى المحاباة والظلم ، ولذلك أجتمع أربعة من أحبار اليهود وهم " كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس ، وقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – لعلنا نفتنه عن دينه .

فأتوه ، فقالوا : يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود ، وأشرافهم ، وساداتهم ، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك ، فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن لك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فأنزل الله عز وجل فيهم : " وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك " إلى قوله " لقوم يوقنون " [١] رواه ابن جرير " [٢] .

أن اليهود أصحاب مكر ودهاء فلقد كان هدفهم التشهير برسول الله صلى الله عليه وسلم – وتكذيبه ومنع الناس من اتباعه ، لأنه لو كان رسولا بحق كما يزعم ما غير وبدل في دين الله ، وهذا بدوره يفقد الثقة به عند أصحابه ومؤيديه ، ولكن الله حماه وعصمه من كيدهم ومكرهم .

الخلاصة :

نستنتج مما سبق أن اليهود لم يفهموا أن الوفاء للحق ، والقيام به ، ومواجهة الناس جميعا به من أولى الخصائص التي يحيا بها الدعاة إلى الله ، وعلى رأسهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن الحق لا يتلون في رسالاتهم لرغبة أو رهبة [٣] . ولذلك كان رفض الرسول – صلى الله عليه وسلم –

١- سورة المائدة آية رقم (٤٩ – ٥٠) .

٢- ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ ٢ (ص ٥٨٩ – ٥٩٠) وابن هشام - السيرة النبوية – جـ٣ (ص ١٥٤)

٣- انظر: [illegible]

لفكرتهم التي عرضوها من صميم رسالته " ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حي عن بينه " [1] .

ثالثاً : اضطهاد اليهود للرسول من خلال أسئلة التعنت والإضلال :

لقد كان من وسائل الاضطهاد اليهودي للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولدعوته توجيه وابل من الأسئلة له – عليه الصلاة والسلام – ليس الغرض منها البحث عن الحقيقة ، أو التعرف على الإسلام ، أو معرفة صدق الرسول ، ولكن بقصد التعنت والتضليل والإحراج . من ذلك ما يلي :

١ – طلبهم كتاباً من السماء :

قال ابن إسحاق " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم – محمود بن سليمان ، ونعمان بن اضاي ، وبحري بن عمرو ، وعزيز بن عزيز ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به الحق من عند الله ، فإنّا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أما والله إنكم لتعرفون إنه من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة ، ولو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ، فقالوا عند ذلك جميعاً : يا محمد أما يعلمك هذا أنس ولا جن ؟ فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة ، فقالوا يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ، ونعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به " [2] .

فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : " قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " [3]

١- سورة الأنفال آية رقم (٤٢) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية طبعة دار إحياء التراث العربي جـ ٢ (ص ٥٧١)

٣- سورة الإسراء آية رقم (٨٨)

وقوله تعالى " يسالك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ..." [1] .

٢ - *سؤال اليهود عن الذات الإلهية :*

لم يتوقع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن تصل وقاحة اليهود لهذا السؤال . فقد جاءه رهط من اليهود فقالوا " يا محمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب الرسول – صلى الله عليه وسلم – حتى انتقع [2] لونه ثم ساورهم [3] غضبا لربه فجاءه جبريل – عليه السلام فسكته ، فقال : خفض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوا عنه ، وهو " قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد " [4] فلما تلاها عليهم ، قالوا : صف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب الرسول – صلى الله عليه وسلم – أشد من غضبه الأول وساورهم : فأتاه جبريل عليه السلام – فقال له : مثل ما قال أول مرة وجاءه من الله تعالى بجواب سألوه [5] " وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالي عما يشركون " [6] .

٣ - *سؤالهم عن قيام الساعة :*

ومن أسئلة التعنت التي توجه بها اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – " أن جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد ،جاءا الرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقالا : يا محمد أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما

١- سورة النساء آية رقم (١٥٣)

٢- انتقع لونه : أي تغير

٣- ساورهم : أي واثبهم وباطشهم

٤- سورة الإخلاص كلها .

٥- ابن هشام - السيرة النبوية - طبعة دار إحياء التراث العربي - بدون تاريخ للطبعة - حـ ٢ (ص ٥٧٢) .

٦- سورة الزمر آية رقم (٦٧) .

وهم يعلمون " [1] والأميون في نظر اليهود من لم تأتــهم شــريعة ، مــن الله ، وأخصُهم بالذكر العرب .

<u>٤ – السبب الرابع : بغضهم للحق :</u>

من دوافع اضطهاد اليهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – أنــه جــاءهم بالحق من عند الله ، واليهود قوم يكرهون الحق بالطبع الجبلي لأنهم أهــل هوى وأهل استكبار عن اتباع الحق فهم لا يتبعون إلا مــا تمليــه عليــهم شهواتهم . ولهذا ينكرون الحق مع علمهم أنه حق .

قال ابن إسحاق :" حدثني عاصم بن عمرو عن رجال من قومه قــالوا : أن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا أننا كنــا نســمع مــن رجال من يهود ، كنّا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا هم أهل كتاب عندهــم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض مــا يكرهون ، قالوا لنا : أنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقاتلكم ونحن معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أجبناه حين دعانا إلــى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به ، فبادرناهم إليه فآمنا وكفروا به . قــال : ففينا أنزل الله عز وجل : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصــدق لمــا معــهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفــوا كفــروا بــه فلعنه الله على الكافرين [2] .

قال ابن إسحاق : " وكانت الأحبار والرهبان أهل الكتابين هم أعلم برسـول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل مبعثه وزمانه الذي يترقب فيه من العرب لمــا يجدون في كتبهم من صفاته ، وما أثبت فيها من اسمه ، وبما أخذ عليــهم مــن الميثاق له في عهد أنبيائهم وكتبهم في اتباعه .." [3].

---

[1]- سورة آل عمران آية رقم (٧٥) .

[2]- سورة البقرة آية رقم (٨٩) .

٣- محمد بن إسحاق – السير والمغازي – تحقيق الدكتور سهيل زكار – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م (ص ٨٤) .

هكذا كان لدى اليهود معرفة يقينية برسول الله – صلى الله عليه وسلم – من خلال كتبهم لدرجة أنهم كما قال تعالي عنهم " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " [1] إن اليهود يعرفون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جاءهم بالحق كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم كرهوا الحق ، وناصبوه العداء ، وحاربوا الإسلام من بعد ما تبين لهم الحق . قال تعالى : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .." [2] .

ولهذا لم يتورع اليهود من الذهاب إلى المشركين ليعقدوا معهم حلفا يهدف إلى إفناء المسلمين والقضاء ، عليهم يشير إلى ذلك قوله تعالى " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا " [3] .

فقد نزلت هذه الآيات بمناسبة ذهاب وفد يهودي إلى مكة بعد واقعة أحد " ليبحث في أمر النبي والمسلمين مع زعمائها ، ويعرض عليهم حلفا يهدف إلى القضاء على المسلمين بعد الضربة التي نزلت بهم نتيجة لتلك الواقعة ، وبعد أن تم الاتفاق ذهب الوفد وأهل مكة إلى فناء الكعبة ، والصقوا أكبادهم بها ، وأقسموا عند الأصنام التي حولها على البر في الحلف ، والجهد في تنفيذه . ومما روى في ذلك أن زعماء مكة استشهدوهم على من هو الأفضل دينا وسبيلا فشهدوا أنهم هم الأهدى والأفضل " [4] من المسلمين .

ومما يظهر بغض اليهود للحق ، وأن اضطهادهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – كان بسبب أنه جاءهم بالحق من عند الله ، أنهم لم يتورعوا من أن يدفعهم الحقد والحسد والعداء للحق في أن يشهدوا هذه الشهادة الفاجرة

١- سورة البقرة آية رقم (١٤٦ - ١٤٧) .

٢- سورة البقرة آية رقم (١٠٩) .

٣- سورة النساء آية رقم (٥١)

٤- محمد عزت دروزه – سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم - طبع على نفقة خليفة بن حمد آل ثاني حاكم قطر سنة ١٤٠٠هـ – جـ ٢ (ص ١٨٣) .

فأنزل الله تعالى فيهم " قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن اكثر كم فاسقون " [1] لقد كان غرض اليهود من هذا تلبيس الحق بالباطل وفتنة المسلمين عن دينهم من خلال فتنة الرسول لأن قضية الإيمان قضية واحدة ، لا تقبل التجزئة بحال من الأحوال ، فإما أن يؤمن الإنسان بكل ما يأتيه عن خالقه ، على الشكل الذي يأتيه عنه ، وإما أن يضع نفسه في صف الجاحدين المكذبين .

لقد كان هدف اليهود زحلقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هواهم في إنكارهم لنبوة عيسى – عليه السلام – لقد نسي اليهود أن قضية الإيمان لا تقبل المساومة من الإنسان العادي ، فكيف بمن اصطفاه الله لخاتمة رسالاته السماوية ، وأمره بتبليغها للناس جميعا وعدم كتمان شئ منها قال تعالي : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " [2] فهل ينكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نبوة عيسى بعد هذا ، أو يكتمها ويخالف في ذلك أمر الله ، ابتغاء مرضاة اليهود !!!

٣ – *محاولة إحراجهم للرسول :*

لقد حاول اليهود إحراج النبي – صلى الله عليه وسلم – وإسكاته وتكذيبه بكل الطرق ، وشتى الوسائل في جميع المناسبات ، فقد اجتمعت الأحبار من اليهود ، ووفد من نصارى نجران فدعاهم رسول الله إلى الإسلام ، فقال : أبو رافع القرظى من اليهود : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال : له الريس : أوذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ، ولا بذلك أمرني [3] ونزل قوله تعالى " ما كان لبشر أن يؤتيه

١- سورة المائدة آية رقم (٥٩) .

٢- سورة المائدة آية رقم (٦٧) .

٣- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – جـ ٢ (ص ١٤٥)

الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون [1] .

لقد كان غرض اليهود من قولهم هذا عدة أمور منها :

أ - إثارة جدل ديني بين الرسول - عليه الصلاة والسلام - وبين الوفد النصراني القادم من نجران وذلك بغية صد الوفد بإثارة هذا الجدل عن قبول دعوة الرسول لهم إلى الإسلام ، لأن الجدل من شأنه أن يثير العصبيات والأنانيات ويحرك الحفائظ .

ب - الغرض الثاني لهم إغراء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن يدعو إلى عبادة نفسه وبذلك يستدرجونه إلى الفتنة في الدين .

ج - الغرض الثالث إحراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى يسكت عن إجابة السائل مجاملة للوفد النجراني خشية أن يحرج عواطفهم فيما يتصل بمعتقداتهم حول عيسى - عليه السلام - ، ولذلك لم يتوقع الحبر اليهودي أن يكون رد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحزم عندما قال : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني .

خامساً : اضطهاد اليهود للإسلام من خلال دخولهم فيه نفاقاً ثم الارتداد عنه :

من صور المكر والكيد والاضطهاد اليهودي للرسول وللإسلام أن فريقاً من أحبار اليهود تآمروا فيما بينهم على أن يضللوا أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ويشككوهم في دينهم بمكيدة يهودية، وهى أن يتظاهروا بالإسلام والدخول فيه نفاقاً ، ثم يرتدوا عنه مفتعلين أي سبب للارتداد عنه ، بغية التأثير على بعض من دخل في الإسلام وظنوا أنهم بهذا الأسلوب يفتحون طريق الارتداد لأمثالهم من المنافقين ، ويهونون على من يصعب عليهم الالتزام بأحكام الإسلام وتكاليفه أمر الارتداد عنه .

ولذلك اجتمع من أحبار اليهود " اثنا عشر حبراً " [1] عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ، وهو من

١- سورة آل عمران آية رقم (٧٩) .

يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه [٢] ففضح الله مكيدتهم هذه وأنزل فيهم " ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون . يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل أن الهدى هدى الله أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " [٣] .

لقد تضمنت هذه الآيات صورة قوية وبليغة لعداء اليهود الشديد ومكرهم واضطهادهم للإسلام من خلال عدة وسائل هي :

__الوسيلة الأولى :__

التضليل الفكري بلبس الحق بالباطل ، أي : بخلط الحق بالباطل ، ودس عناصر الباطل ضمن عناصر الحق وهذه الوسيلة من أخبث وأخطر وسائل التضليل التي استعملها اليهود في كل العصور . فقد دسوا كثيرا من اليهود في الصف الإسلامي متظاهرين بالإسلام ، ثم قيامهم بأعمال التضليل ، أو القتل والإرهاب لتشويه صورة الإسلام .

__الوسيلة الثانية :__

كتمانهم الحق الذي يعلمونه من كتبهم ، بصدق الرسول وصدق رسالته ، وأنه المبشر به في التوراة ، واليهود لم يكتفوا بكتمان الحق ، بل أنهم

---

١) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - أسباب نزول القرآن تحقيق الأستاذ أحمد صقر - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م ص ٤) [illegible]

٢) [illegible] هشام [illegible] السيرة النبوية طبعة دار إحياء التراث العربي [illegible] ص [illegible]

٣) [illegible] آية [illegible] ٧٣

حاولوا تضليل الناس عن الحق وقد استعمل اليهود هـــده الوسـيلة كـثير إمـ بالتحريف أو الزيادة او النقصان ، أو كتمانه والعمل بضده .

الوسيلة الثالثة :

هي وسيلة الدخـــول في الإسلام نفاقاً ، والارتداد عنه بســـــرعة ســـخطا عليه ، والغرض مـــن ذلك فتنة المســـلمين عن دينهم ، وتشـــجيع الذيـــن فـــي قلوبهم مرض النفاق ، ليحدثوا بذلك تصدعاً في صفوف المسلمين ، فيفقدوا مـــا هم عليه من تماسك وترابط وتلاحم .

سادساً : اضطهاد اليهود من خلال التظاهر بالإسلام :

من أخطر الوسائل التي استعملها اليهود في محاربة الإسلام واضطـــهاده هي محاولاتهم التظاهر بالإسلام نفاقاً ، والبقاء على يهوديتهم وكفرهـــم . عـــن عبد الله بن عباس -- رضي الله عنهما -- قال : " كان رجال من اليهود إذا لقـــوا الصحابة قالوا : إنّا على دينكم ، وإذ خلوا إلى شياطينهم هم وأصحابهم قـــالوا : إنّا معكم " [1] .

والذي يدرس ظاهرة النفاق ، يجد أنها خلق يهودي اشتهر اليـــهود بـــه واشتهر بهم منذ الأزل ، حتى أصبح سمة من سمات تاريخـــهم ، وقـــد أخبرنـــا القرآن الكريم عن بعض صور النفاق اليهودي ، التي أرادوا من خلالـــها الـــدس والفتنة والوقيعة . قال تعالي : " وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكـــم الأنامل من الغيظ " [2] وقال سبحانه : " وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بـــالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون " [3] .

فالله تعالي يسجل عليهم هذا الخلق في أكثر من موضـــع مـــن القـــرآن الكريم ، ويفضحهم به ، ليكون المسلمون على حذر من أســـاليب اليـــهود فـــي النفاق والخداع .

١- فتح الباري - بشرح صحيح الإمام البخاري - حـ ٩ (ص ٢٢٧) .
٢- سورة آل عمران آية رقم (١١٩) .
٣- سورة المائدة آية رقم (٦١) .

والباحث في أخلاق اليهود تأخذه الدهشة ، ويذهب به العجب كل مذهب ، كيف أشربت قلوب هؤلاء النفاق حتى أنه ليكاد يكون صفة خلقية ملازمة لهم في كل عصر ومصر . ولكن ما أن يرجع المرء إلى كتب اليهود حتى يزول منه العجب ، فكُتب اليهود زرعت في نفوسهم النفاق ، وصبغته بصبغة دينية .

يقول الحاخام " بشاي " " أن النفاق جائز وأن الإنسان اليهودي – يمكنه أن يكون مؤدبا مع الكفار ويدعي محبته كاذباً إذا أخاف وصول الأذى منه إليه " [1] ويقول الحاخام " أكيبا " : " يلزم اليهودي ألا يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم " [2] .

والحاخامات الذين قرروا مشروعية النفاق والخداع في دينهم وجعلوه واجبا دينيا ، من قبل عصر الرسول – صلي الله عليه وسلم – ومن بعده ، وضعوا الأساليب التي ينبغي لليهودي أن يسلكها في نفاقه وخداعه للمخالفين .

فمن أساليب اليهود في النفاق : التظاهر باعتناق الأديان الأخرى لخداع أهلها والكيد لهم – وقد تحدثنا عن دور بولس اليهودي في تخريب المسيحية سابقا – وقد أخبرنا الله تعالي في كتابه عند هذا الأسلوب اليهودي الذي حاوله اليهود أن يمارسوه مع المسلمين ، وذلك بادعائهم الإيمان قال تعالي : " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون " [3] .

إن اليهود قد مارسوا أسلوب النفاق في الإسلام منذ ظهوره حتى اليوم ، والأمثلة كثيرة على استعمال اليهود أسلوب النفاق من ذلك ، عبد الله بن سبأ اليهودي ، الذي تلاعب بالعبارة والألفاظ وحرف الكلم عن مواضعه ، ابتغاء الفتنة والقتال بين المسلمين .

١- الدكتور : روهلنج – الكنز المرصود – ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله – الطبعة الثانية – بيروت ١٩٦٨م – (ص ٨٠)

٢- الدكتور : روهلنج – الكنز المرصود – ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله – الطبعة الثانية – بيروت ١٩٦٨م – (ص ٧٥)

٣- سورة البقرة آية رقم (٧٦)

وكعب الأحبار الذي احتلق كثير من الاحاديث الموضوعة ونسبها للرسول ويهود الدونمة في تركيا الذين قوضوا دولة الخلافة والقاديانية والبهائية الذين أدعو النبوة ، واختلقوا كثيرا من العبادات الباطله .

__سابعاً : اضطهاد اليهود للرسول وللدعوة من خلال تكوين حزب المنافقين .__

اليهود من أشد الناس حرصا في تنفيذ مخططاتهم الشيطانية . ولهذا كانوا حريصين على إيجاد جبهات داخلية معادية ، للرسول وللذين آمنوا معه ، ولقد استطاع اليهود بعد عمل دائب ، وتخطيط خبيث أن يوجدوا حزباً مستوراً من المنافقين من عرب يثرب مع بعض أفراد من اليهود أسلموا نفاقاً ، ثم أخذوا يمعنون في المكر والكيد للرسول وللمسلمين وللإسلام ، واصبح هؤلاء معاول هدم في جسم الدولة الإسلامية ، من خلال اطلاعهم على كثير من أسرار المسلمين بحكم أنهم في الظاهر منهم

واليهود لهم باع طويل في النفاق ، وخبرات كثيرة مارسوها منذ آلاف السنين ، في مَختلف الأمم التي حكمتهم . والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أنها تحدثنا عن قيادة اليهود الفكرية لحزب المنافقين . قال تعالى عن علاقة اليهود بالمنافقين " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون " [١] قال الإمام النسفي في تفسيره " شياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم ، هم اليهود " [٢] وكان في مقدمه هؤلاء اليهود – الشياطين في الوسوسة – كعب بن الأشرف – أحد زعماء يهود بني النضير " [٣] .

وكان اليهود يستترون بالإسلام نفاقاً ليتجسسوا على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعلى المسلمين حيث كانوا يحضرون مجالس الرسول – صلى الله عليه وسلم – وغزواته بقصد الاستماع إلى أقواله ثم ينقلوها إلى الأعداء . قال تعالي : " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا

١- سورة البقرة آية رقم (١٤) .

٢- الإمام عبد الله أحمد بن محمد النسفي – تفسير النسفي – المسمى بمدارك التنزيل – طبعة دار الفكر العربي بيروت – جـ ١ (ص ٢١) .

٣- علاء الدين علي البغدادي – تفسير الخازن – المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل – جـ ١ – طبعة دار الفكر – (ص ٢٧)

بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وأن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً " [1] وقال تعالى عن اليهود ونفاقهم " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون - أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون " [2] .

قال الضحاك : " يعني المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - قالوا : آمنا " وقال السدي : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمره ، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر ، فلما أخبر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون [3] .

أن اليهود لم يكتفوا بإخراج حزب المنافقين كقوة تخريبية معادية للرسول صلى الله عليه وسلم - بل كانوا يتآمرون مع المنافقين ضد المسلمين في معظم إيذاءات المنافقين وكان التآمر قائم بين الفريقين ، وفي هذا التآمر قال تعالي : " بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما .الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ، فأن العزة لله جميعاً " [4] .

يقول الأستاذ محمد دروزة " وجمهور المفسرين على أن الكافرين هنا هم اليهود ، وفي الآية قرينة على صحة ذلك ، كما أن فيما بعدها قرينة ثانية أيضاً وواضح أن اتخاذ المنافقين اليهود أولياء وتوافقهم معهم ، إنما هما أثران

١- سورة المائدة آية رقم (٤١)

٢- سورة البقرة آية رقم (٧٦ ٧٧)

٣- [illegible] كثير [illegible] القرآن العظيم طبعة دار إحياء التراث العربي [illegible]

[illegible] ٣٠ [illegible]

من آثار التآمر الموطد بين اليـــهود والمنـــافقين تجـــاه الدعـــوة والقـــوة الإســـلامية " [١] .

ثامناً : اضطهاد اليهود للرسول بواسطة نقضهم للعهود والمواثيق :

نقض العهود والمواثيق ، من القضايا المعروفة عن اليهود فلـــم يوفـــوا بعهد مع الله ، أو مع رسل الله ، أو مع الناس ، ولا مع أنفســـهم ، مـــن هـــذه العهود التي نقضوها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما هاجر من مكـــة إلى المدينة كتب لليهود عهداً [٢] حدد فيه واجبات المسلمين ، وواجبات اليـــهود في المدينة ، كما قـــرر فيه مبدأ حرية العقيـــدة والتديـــن والعبـــادة للمســـلمين واليهود ، وفرض على المسلمين أن يدافعوا عن يهود المدينة ويحموهم بكل مـــا يستطيعون ، كما أوجب على اليهود أن يشـــاركوا في الدفـــاع عـــن المدينـــة إذا ما داهمها عـــدو ، وأن يشـــاركوا في النفقات الحربية التي تلزم للدفـــاع عـــن المدينة ، ولكن اليهـــود نقضوا عهودهم ومواثيقهم . ومن العهود التي نقضوهـــا ما يلي : –

١ – عهود أعطوها عـــلى أنفسهم ثم نقضوها :

فقد جاء إلى النبي نفر من أحبار اليهود فقالوا : " يا محمد ، أخبرنا عـــن أربعٍ نسألك عنهن ، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك : فقال لهم رسول الله : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم بذلك لتصدقننـــي ؟

١- محمد عزة دروزة – سيرة الرســـول صـــور مقتبسة من القرآن الكريم – طبع على نفقة خليفة بن حمد حاكم قطـــر بمناسبـــة المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية سنة ١٤٠٠هـــ – جـــ ٢ (ص ١٧٩ – ١٨٠) .

٢- تضمنت معاهدة الرسول لليهود نصوصاً عديدة من أهم هذه النصوص ما يلي : هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنـــين والمســـلمين من قريش وأهل يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس – والمؤمنون لا يتركون مفرقاً – أي مثقلاً بالدين بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه ومن تبعنا من يـــهود وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهودين عون أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليـــهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوسخ أي يهلك نفسه وأهل بيته . وأن ليهودين النجار ، ويهودين الأوس ، ويهود بن ثعلبـــة كأنفسهم . وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأن لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد – عليه الصلاة والسلام – وأن على اليهود نفقتـــهم وعلى المسلمين نفقتهم . وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين . وأن الله على أصدق باقي هذه الصحيفة أبره . وأنه لا يحاول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وأن من خرج آمن ومن قعد آمـــن إلا من ظلم وأثم . وأن الله جار لمن بر واتقى . ومحمد رسول الله " انظر : السيرة النبوية لابن هشام – جـــ ٢ (ص ١٤٠ – ١٤١) والسيرة النبوية لابن كثير جـــ ٢ (ص ٣٢٠ – ٣٢٣) =

قالوا : نعم قال : فاسألوا عما بدا لكم ، قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال لهم : أنشدكم بالله وأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه .

قالوا : اللهم نعم ، فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فكذلك نومي ، تنام عيني وقلبي يقظان : قالوا : فأخبرنا عمَّ حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه كان احب الطعام والشراب إليه شكر الله ، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم ، قالوا فأخبرنا عن الروح ؟ قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل . هل تعلمون أن جبريل هو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد عدو لنا وهو ملك إنما يأتي بالشدة ويسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك " [1] قال ابن إسحاق [2] : " فأنزل الله عز وجل فيهم : " قل من كان عدواً لجبريل ، فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين [3] .

وهنا نلاحظ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أجابهم على ما أرادوا من مسائل ، وطابقت إجابته ما يعلمون ، وكان من الواجب عليهم حسب العهد الذي أخذوه على أنفسهم أن يعلنوا إيمانهم ، ولكن كعادتهم في نقض العهود والمواثيق نبذوا عهده ، وأصروا على الكفر . وتعللوا أن سبب إصرارهم على الكفر أن جبريل – عليه السلام – عدو لهم وطالما أن جبريل هو الذي ينزل بالوحي على محمد فهم لن يؤمنون به . ولم تقف عداوتهم عند هذا الحد – وهذا كفر – بل أعلنوا عداوتهم لله

١- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ٢ (ص ٥٤٣) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ ورقم للطبعة – جـ ٢ (ص ٥٤٣) .

٣- سورة البقرة آية رقم (٩٧)

تعالى ولذلك أنزل فيهم على رسوله صلى الله عليه وسلم " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين , ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون " [١] .

٢ – *نقضهم لعهود الأمن والموادعة :-*

من الصفات المتأصلة في اليهود، والمتوارثة في أجيالهم حتى يومنا هذا ، أنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، فهم يعطون العهود والمواثيق ثم ينقضوها ، ومن كثرة نقضهم للعهود حلت عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة قال تعالى : " فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية " [٢] .

إن اليهود نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم – من ذلك عهد الأمان والموادعة الذي أخذ عليهم بعد هجرة الرسول إلى المدينة ، فقد نقض بنو النضير وقينقاع وقريظة عهدهم مع النبي ، وحاولوا تأليب المشركين عليه وعلى المسلمين ، وقد حاولوا إيقاد نار العداوة بين الأوس والخزرج , كما أشاعوا الشكوك في وجه الدعوة . قال تعالي : " أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون " [٣] وقال سبحانه عنهم " أن شر الدواب عند الله . الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون " [٤] .

تاسعا : اضطهاد اليهود للرسول من خلال تأليب المشركين عليه :-

إن اليهود لم يكتفوا بالجحود والنكران والمكايدات للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن ألبوا المشركين ضد الرسول وضد دعوته وألبوا القبائل العربية على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ذلك " أن نفرا من اليهود برئاسة

١- سورة البقرة آية رقم (٩٨ – ١٠٠) .
٢- سورة المائدة آية رقم (١٣) .
٣- سورة البقرة آية رقم (١٠٠) .
٤- سورة الأنفال آية رقم (٥٥ – ٥٦) .

حيي بن أخطب وعضوية كل من سلام بن أبي الحقيق النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبى عمار الوائلي توجهوا إلى المشركين في مكة وحرضوهم على قتال المسلمين وشجعوهم على ذلك ، ورغبوهم بأن يهود خيبر سيقاتلون معهم ، وفي صفهم ليستأصلوا شأفة المسلمين فوافقت قريش على ذلك وتواعدوا على الخروج " [١] .

ثم توجه هذا الوفد إلى فناء الكعبة وأقسموا عند الأصنام وتبركوا بها ، وقالوا للمشركين أنهم أهدى من محمد وفي ذلك نزل قوله تعالى " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا " [٢] .

ثم توجه هذا الوفد إلى قبيلة غطفان وحرضوهم كذلك على قتال المسلمين واخبروهم أن اليهود سيكونون مع غطفان ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك وأغروهم بثمار خيبر سنة كاملة إن هم أعانوا على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم اتجه الوفد إلى بنى سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك فأجابوا ، واتصل الوفد بجميع القبائل العربية المجاورة وأقنعوهم بحرب المسلمين [٣] وفي هذا نزلت آيات من سورة الأحزاب في هذا الصدد .

<u>عاشرا : اضطهاد اليهود للرسول وأصحابه بواسطة تمزيق وحدة المسلمين :</u>

من أشد وأنكى أنواع الاضطهاد اليهودي للمسلمين هو أسلوب التفريق بينهم ، وفي القرآن الكريم صور كثيرة لدسائس اليهود بين المسلمين ومحاولة تفريقهم وكلها تدل على مدى سوء نيات اليهود ضد المسلمين ، وشدة نكايتهم فيهم ، وتوسلهم بكل وسيلة إلى محاربة الإسلام وتقويض أركانه .

١- راجع : البلاذري - أنساب الأشراف - طبع بمطابع دار المعارف سنة ١٩٥٩م - والسيرة الحلبية المسماه بإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون - جـ ٢ (ص ٦٣٠) .

٢- سورة النساء آية رقم (٥١ - ٥٢) .

٣- راجع : الإمام علي برهان الدين الحلبي - السيرة الحلبية المسماه بإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون - جـ ٢ (ص ٦٣٠) - والبلادري - أنساب الأشراف جـ ١ (ص ٣٤٣) - وابن هشام - السيرة النبوية - جـ ٢ (ص ٢١٤ - ٢١٥) .

لقد حاول اليهود تقطيع أواصر المحبة بين المسلمين وذلك بإثارة الفتـــن الداخلية ، والشعارات الجاهلية ، والنعرات الإقليميـــة ، والدعـــوات القوميـــة والقبلية ، والسعي بالدسيسة والوقيعة بين الإخوة المتآلفين المتوادين المتحـابين قام بهذه المكيدة حبر من أحبار يهود بني قينقاع اسمه شاس بن قيـــس وكـان شيخا موغلا في معاداة الإسلام ، عظيم الكفر . قــال في سبل الهـدي والرشـاد " روي ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن زيد بن اسلم عن ابـــن عباس : قال كان شاس بن قيس شيخا قـد عسا – أي كبر وأســن – ، عظيـم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . فمـــر علـى نفـر مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – من الأوس والخزرج ، في مجلس قـد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينـــهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة فـــي الجاهليـة . فلمـا أن جـاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم .

فقال : لقد اجتمع ملأ بني قيلة [1] بهذه البلاد ، لا والله ما لنـا معـهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قـــرار أي مـا لليـهود مـن قـرار فـي المدينـة ومـا حولها إذا توحدوا .

فأمر شاس فتى شابا من اليهود كان معه فقال : " أعمد إليـــهم فـاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث ، وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيـه من الأشعار ، ففعل ، فأنشدهم بعض ما قاله أحد الحيين في حربهم ، فكأنـــهم دخلهم من ذلك شئ . وكان يوم بعاث يوما من أيام حروب الجاهلية ، اقتتلت فيـه الأوس والخزرج ، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج فلما أجج هذا الشـاب اليهودي الفتنة ، تكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجـــلان من الحيين : أوس بن قيظي ، أحد بنى حارثة بن الحارث من الأوس ، وجبـــار بن صخر أحد بني سلمة ، من الخزرج ، فتقاتلا ، ثم قال أحدهما لصاحبـــه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكـم الظاهرة ، السلاح السلاح . فخرجوا إليها ، فانضمت الأوس والخـــزرج بعضـــها

١- بنو قيلة : نسبة إلى أم الأوس والخزرج كانت تسمى قيلة .

إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم -- فخرج فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : " يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوى الجاهلية . وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به . وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً " فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم . وأنزل الله تعالى في أوس بن قيظي ، وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا " [1] .

يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين " إلى قوله تعالى : " وأولئك لهم عذاب عظيم " [2] .

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه اليهود في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو نفس الأسلوب الذي اتبعه أعداء الأمة الإسلامية في القديم والحديث أسلوب فرق تسد .

<u>*الحادي عشر : اضطهاد اليهود الدموي للرسول وأصحابه :*</u>

إن اضطهادات اليهود لم تقف عند نطاق التكذيب والجحود للرسول صلى الله عليه وسلم – والمكايدات والدسائس ، بل تجاوزوا ذلك إلى إعلان العداء الفعلي وإعلان الحرب على المسلمين من ذلك ، ما قام به يهود بنو قينقاع والنضير وقريظة .

<u>*١ – يهود بني قينقاع :*</u>

أول من نقض العهد وأعلن الحرب ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم والمسلمين من يهود المدينة هم بنو قينقاع وكان ذلك بعد غزوة بدر بثلاثة

---

١ ا لجامع الإمام محمد بن يوسف الصالحي – سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – تحقيق الأستاذين : إبراهيم الترري وعبد الكريم الغرباوي – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ ٥ (ص ٥٨٠) .

٢ سورة آل عمران آية رقم (١٠٠ – ١٠٥)

أشهر حيث التقى بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سوقهم ، وحدثهم حديث الداعي إلى الحق والناصح لهم ، فقال لهم " يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة، وأسلموا فأنكم ، قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم ، وعهد الله تعالى إليكم " فردوا عليه قائلين " يا محمد ، إنك ترى أنَّا قومك ، لا يغرنَّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصه ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا الناس " [1] بهذا الجواب المرعد المنذر بالحرب كان رد يهود بني قينقاع[2] على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . ومع هذا لم يقفوا عند حد القول ، بل انتقلوا من الإساءة بالقول إلى الإساءة بالفعل ، وبدءوا يظهرون عداوتهم بوضوح للمسلمين واخذوا يتناولون النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين بالذم والأذى ، فقد تعرضوا لامرأة مسلمة تبيع حليها في سوقهم – سوق بني قينقاع – لكشف سوأتها ، فاستغاثت المرأة ، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه "[3]. استعمل اليهود هذا الأسلوب الخسيس للقتال معهم لأن الدفاع عن الفضيلة وعفة النفس أمر جاء به جميع الأنبياء .

٢ – *يهود بني النضير* :– [4]

ظل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متمسكاً بعهده مع يهود بنى النضير ، الذي تضمن موادعة اليهود وإقرارهم على أوضاعهم ، وتأمينهم على حرياتهم الشخصية والدينية والمالية ، كما أشترط عليهم شروطاً في مقابل التأمين الذي منحهم إياه .من ذلك إقرار ما كان عليه أهل المدينة في تحمل الديَّات . ولكن يهود بني النضير – كعادة اليهود – نقضوا عهدهم .

---

١ - انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري – جـ ٨ (ص٣٣٤) وتفسير ابن كثير – جـ ٢ (ص ١٤)

٢ - قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، أضيف إليهم سوق كان بها ويقال له : سوق بني قينقاع ، وهم من موال الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبي ، وكانت صناعتهم الصياغة انظر : الاصطفا في سيرة المصطفى - جـ ٢ (ص ١٥٠ – ١٥١) .

٣ - انظر : ابن هشام – السيرة النبوية – جـ ٢ (ص ٤٧ – ٤٨) .

٤ - بنو النضير : اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة ، وكانوا هم وسوا قريظة ، [illegible] بظاهر المدينة [illegible] وأصلهم و [illegible] بينهم وبين المدينة نحويلين أو ثلاثة وكانوا يمتلكون نخيلا بجوار المدينة انظر الاصطفا [illegible]

هذا . وأعلنوا اضطهادهم الدامي ، وأخذوا يتربصون بالرسول والمسلمين الدوائر . ولذلك رأوا أن أفضل شئ أن يرتكبوا نفس الجريمة التي ارتكبوها من قبل مع بعض الأنبياء بقتلهم .

ولذلك حاولوا قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – بإلقاء صخرة كبيرة من أعلى البيت الذي جلس بجواره عندما ذهب إليهم ليطلب منهم دفع ما عليهم من دية حسب العهد المبرم بينهم . ولكن قبل أن ينفذ اليهود جريمتهم ، فقد أخبر الله الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن طريق الوحي بجريمتهم فنهض صلى الله عليه وسلم – عائدا إلى المدينة . ونجا الله رسوله من جريمتهم .

٣ – يهود بني قريظة :

إن الاضطهاد اليهودي للإسلام لا تنحصر حدوده عند طائفة واحدة من طوائف اليهود ، بل يمتد ويتغلغل من كل الطوائف اليهودية .

ومن هذه الطوائف التي اتخذت الاضطهاد والعنف منهاجا لها ، يهود بني قريظة . فقد خرجوا في واحدة من أكبر حركات الاضطهاد الجماعي الشرس للقضاء على الدعوة الإسلامية ودعاتها ، وذلك من خلال غزوة الأحزاب التي انبثقت من المكر اليهودي في تحريض قريش والقبائل الموالية لها على غزو المسلمين .

وسبب تلك الغزوة أن جمعا كبيرا من أحبار اليهود ذهبوا إلى مكة ، وقابلوا رؤساء قريش وحرضوهم على حرب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومنوهم بالمساعدة وعقدوا معهم حلفا بذلك فنشطت قريش لذلك ، ثم تركوهم وذهبوا إلى " غطفان " فعقدوا معهم حلفا مشابها لحلف أهل مكة ، ودخل في هذا الحلف عدد من القبائل العربية الناقمة [1] وفعلا استجاب الجميع لدعوة اليهود وخرجوا في عشرة آلاف مقاتل لقتال المسلمين .

---

١ – انظر : الأستاذ الإمام محمد الغزالي – فقه السيرة – بتصرف يسير – طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر – (ص ٣٠٥)

فلما تأخر قام الصحابة رضوان الله عليهم في طلبه فأخبرهم بما حدث ، وأمر المسلمين بحربهم وشاع في المدينة خبر هذه المكيدة التي دبرها اليهود لقتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غدرا ، وضج المسلمون بالتذمر واخذ اليهود يلوم بعضهم بعضا تظاهرا ولم ينكروا مكيدة غدرهم بالرسول [1] .

٢- لم تكن محاولات اليهود لقتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – مقصورة على محاولة واحدة وإنما تعددت هذه المحاولات من ذلك أنهم دفعوا امرأة منهم اسمها زينب بنت الحارث ، زوج سلام بن مشكم أحد أحبار يهود بني النضير وذلك بعد أن أنتهي الرسول من أمر يهود خيبر ، واطمأن به الحال فجاءت إليه زينب بنت الحارث اليهودية بشاة مشوية كانت قد دست فيها السم ، بعد أن سألت عن أحب الأعضاء إلى محمد ؟ وقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، وكان معه بشر بن براء بن معرور – قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله فلفظها ، فمات بشر من أكلته التي أكل .

عن أنس رضى الله عنه قال : " أن امرأة يهودية أتت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك . قال : " ما كان الله ليسلطك على ذاك . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : لا " [2] .

وفي حديث أبي هريرة : " لما فتحت خيبر أهديت للنبي – صلى الله عليه وسلم – شاة فيها سم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود ، فجمعوا له ... ثم قال : هل أنتم صادقي عن شئ أن

١- انظر : ابن هشام – السيرة النبوية – طبعة دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ – جـ ٣ (ص ٣١٤) .

٢- رواه الإمام البخاري – كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين – جـ ٥ (ص ٢٧٢) ، ومسلم كتاب السلام باب السم [illegible] (ص ١٧٢١) [illegible]

سألتكم عنه ؟ قالوا نعم يا أبا القاسم قال : هــل جعلتم في هذه الشـــاة سما ؟ قــالوا : نعم . قال ما حملكم على ذلــك ؟ قــالوا : إن كنــت كاذبــا نستريح ، وإن كنت نبيا لم يضرك " [١] .

النتائــج :

نستنج من الاضطهادات اليهودية للرسول – صلـــى الله عليــه وســلم – وللمسلمين النتائج التالية :

أولا : الحلم والصبر :

لقد كان رســول الله – صلى الله عليه وسلم – على قــدر كبـــير مـــن الحلم والصبر وسعة الصدر والإتزان وطول النفس فـــي مواجهـــة الأعـــداء ، ونظرا لأهمية هذا الخلق في نجاح الدعوة الإسلامية كان خطاب الله له – صلـــى الله عليه وسلم – بقوله : " فاصبر إن وعــد الله حــق ولا يســتخفنك الذيــن لا يوقنون " [٢] وقوله تعالى : " فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلــك ترضـــى " [٣] لهذا كان صبر الرسول على تشكيكات اليهود في نبوته كما حدث من اليهود عنــد تحويل القبلة ، وبمثل ما قاله اليهودي الخبيث زيد بن اللصيت يوم أن ضلت ناقه الرسول .

ثانيا : الحيطة والحذر واليقظة الدائمة :

لقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقظا في دعوتـــه إلـــى الله تعالي ، ولهذا سد على اليهود جميع المنافذ التي حاولوا أن ينفذوا منها للـــهجوم عليه وعلى الدعوة الإسلامية ، فكان – صلى الله عليه وسلم – حذرا فـــي ردوده على اليهود ، فعندما جاءوا إليه وطلبوا منه أن يقضى لهم في مقابل أن يؤمنـــوا به فرفض مطلبهم لأن الحق والعدل والانصاف مقصـــد إســـلامي يســـتوي فيـــه

١- رواه الإمام البخاري، كتاب الجزية باب إذا غدر المشركون بالمسلمين حـ ٦ (ص ٣١٤) .

٢- سورة الروم آية رقم (٦٠) .

٣- سورة طه آية رقم (١٣٠) .

الجميع . ومن ثم أنزل الله عليه قوله " وأن احكم بينهم بما أنـــزل الله ولا تتبـــع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك " [١] .

ثالثا : الثبات على الحق :

مـــن النتـــائج المهمـــة التـــي نســـتنبطها مـــــن اضطـــهاد اليـــهود للرسول – صلى الله عليه وسلم – من خلال أسئلة التعنت والإحراج وحملاتـــهم الإعلامية المضللة الظالمة ، الثبات على الحق فيوم أن طلبوا منه أن ينزِّل عليهم كتابا من السماء ، وسؤالهم عن الذات الإلهية ، وعن الساعة ، وادعائهم أنـــهم على الحق ، وغير ذلك من الأسئلة التعجيزية التي أظهرت أن الحق لا يـــهتز ولا يضطرب أبدا أمام الباطل لأن الغلبة في النهاية للحق ، وصـــدق الله العظيـــم إذ يقول " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " [٢] .

رابعا : أحبار اليهود لا ذمة لهم ولا عهد :

نستنتج من اضطهادات اليهود للرسول أن أحبار اليـــهود قـــوم كذابـــون يستحلون الكذب ونقض العهود والمواثيق مع الله سبحانه ، ومع الأنبياء ، ومـــع الناس . وإذا كانت هذه أخلاق الأحبار أو علماء الدين اليهودي ، فكيـــف يكـــون الأمر بالنسبة لبقية اليهود !!

خامسا : اليهود يعملون على تمزيق وحدة الأمة :

من خلال الاضطهادات اليهودية للمسلمين نستنتج أن تمزيق وحدة الأمـــة الإسلامية من أعمال اليهود لأنهم يدركون أن الخطر الوحيد الذي يـــهددهم هـــو وجود أمة إسلامية قوية متماسكة ، ولهذا حاولوا أن يمزقوا وحـــدة المســـلمين قديما ولكنهم فشلوا ، فأعادوا المحاولة في العصر الحديث فنجحوا " فلورانـــس " القائد اليهودي البريطاني " غاظه وحدة المسلمين واجتماعـــهم علـــى اختـــلاف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم ، وفكر كما يقول في مذكراته طويلا في رفع شـــعار يمزق وحدة المسلمين ، فأملى له شيطانه بعد طول تفكير أن يثير شعار القوميـــة في الدولة العثمانية ، والدولة العثمانية فيها شعوب كثـــيرة وقوميـــات كثـــيرة ،

١- سورة المائدة آية رقم (٤٩) .

٢- سورة الأنبياء آية رقم (١٨)

وحتى يسلخ العرب المسلمون من جسم الدولة العثمانية وأثار شـــعار القوميـــة العربية ، في مقابل شعار القومية التركية الطورانية ، وانتهى الأمر بأن اســـتباح العربي المسلم دم أخيه التركي المسلم [١] بل واستباح العربي المســـلم دم أخيـــه العربي المسلم .

سادسا : اليهود أهل فسق وفجور

اتضح لنا مما سبق أن اليهود أهـــل فسق وفجور ، نستشف هـــذا ممـــا صنعه يهود بني قينقاع مع المرأة المسلمة التـــي حـــاولوا كشـــف عورتـــها ، ولهـــذا فإن الفساد الخلقي للبشرية هدف من أهداف اليهود ، الذي خططوا لـــه من قديم ، ويخططون له اليوم ، ويعملون له في الغد القريـــب والبعيـــد بقصـــد إغراق الناس في الشهوات من خلال العري ، والتفســـخ الخلقـــي ، والشـــذوذ الجنس الذي أوجدوه فـــي وســـائل الإعـــلام ، وأشـــرطة الفيديـــو ، والنـــوادي الاجتماعية وغير ذلك وبســـبب ذلك لعنهم الله عـــلى لســـــان أنبيائـــه فقـــال تعـــالى : " لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسَـــانِ داوودَ وعيســـى ابـــن مريمَ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس مـــا كانوا يفعلون " [٢] .

سابعا : اليهود أهل عنف وقتل

يتبين لنا من خلال الاضطهادات اليهـــودية ، أن العنـــف والقتـــل لـــدى اليهـــود مثل الطقوس الدينية ، لأنهم يعتقدون أن اليهودي عندما يمارس العنـــف والقتل يتخلص مـــن مخاوفه ويصبح جديرا بالحياة ، ولذلك حاولوا قتل الرســـول – صلى الله عليه وسلم – أكثر من مرة ، ليتخلصوا من مخاوفهم التي لازمتـــهم منذ بعثته .

واليهود استلهموا العنف والقتل من تراثهم الديني الذي يذخر بنصـــوص كثيرة تحرض على القتل مثل " وقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامـــرأة مـــن

---

(١) راجع رسالة الباحث للماجستير النظرة القومية [illegible] الإسلام منها الباب الثاني

(٢) [illegible]

طفل وشيخ " [1] ولهذا فالفكر اليهودي يؤكد أنه في حاجة دائمة لتجديد وجوده ، وأن وجوده لا يكون إلا بطريقة واحدة هي الحرب . وأن هذا الوجود في حاجة إلى الاستمرار والتفرد وهذا لا يكون إلا بالقتل والقتل " [2] وبمثل هذا الفكر حاول اليهود تأليب المشركين لمحاربة المسلمين ، ثم حاولوا قتل الرسول .

ثامنا : السلام اليهودي تضليل وخداع

إن الأعمال العدوانية التي ارتكبها اليهود في اليهودية والمسيحية والإسلام توضح لنا أن اليهود يمجدون الإجرام والعنف والعدوان والقتل ، ومن ثم فالسلام الذي يؤمنون به هو السلام الذي يقتل الآخرين . يقول الحاخام " جوهاشيم برنز " رئيس المجلس اليهودي العالمي بأمريكا لأثرياء اليهود في العالم : " الأسباب التي دفعتنا إلى أن نكون دعاة سلم بعد أن كنا دعاة حرب هو الوصول إلى خطة إفناء الشعوب ، ولذلك فنحن ندعو للسلام الذي يحقق لنا ما يلي :-

أولا : الحصول على الوقت اللازم لنا ، ولحلفائنا لكي نتمكن من تسليح جيوشنا وتقوية أجهزتنا الحربية .

ثانيا : وقف سباق التسلح السائد الآن لدى الدول المعادية لنا ولحلفائنا ، وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية ، ودفع الجماهير إلى غير الجندية وتنفيرهم منها ، بينما نحن سنعمل على التسلح إلى أبعد مدى مستطاع . ولكي نتوصل إلى تحقيق هذه الأهداف عليكم العمل دون هوادة على دعوة الناس إلى مناصرة السلام ، وكف كل منهج أو رأي يدعو إلى التسلح ، والحرب على كل من يناصر الجندية " [3] .

١- سفر يشوع الإصحاح السادس فقرة (٢٠ – ٢١) .

٢- انظر : الدكتور رشاد عبد الله الشامي – الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٨٦م (ص ١٨٤) .

٣- انظر : الدكتور : عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني – مكايد يهودية عبر التاريخ – الطبعة السادسة سنة ١٩٩٢م – دار القلم (ص ٤١٣ – ٤١٥) .

إن الاضطهاد الذي وجهه اليهود للرسول – صلـــى الله عليـــه وســـلم – وللدعوة الإسلامية انعكست آثاره عليهم ، وباءت اضطهاداتهم بالفشل ، وانتقـــم الله من اليهـــود ، وأخرجهم من المدينة صاغرين وصدق الله العظيم إذ يقـــول : " وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربـــك لسريع العقاب " [1] ولقد بعث الله على اليهود من يسومهم سوء العذاب ، كلمـــا انتعشوا أو انتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا جاءتهم الضربة القاضية . وكـــانت هذه المرة على يد النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخرجهم من أرض الجزيـــرة إلى يوم القيامة إن شـــاء الله . قـــال رســـول الله – صـــلى الله عليه وسلم – : " لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أتـــرك فيـــها إلا مســـلما " [2]
ولذلك عمل على ما يلي :

١ – إخراج يهود بنى قينقاع

لقد ابطل الله شر يهود بنى قينقاع – وخذلهم ، وأضل أعمالهم ، وأدحـــض كيدهم . حيث أن المسلمين لم يفكروا في طرد اليهود من أرض الجزيـــرة ، بل على العكس ، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لـــهم فـــي ضـــرب الوثنية " بيد أن اليهود كانوا عند أسوأ الظـــن ، فلـــم تمـــض أيـــام علـــى اختلاطهم بالمسلمين في المدنية حتى شرعوا يحرجون صدورهم ويعينـــون عليهم ، ولو أنهم كذّبوا برسول الله كما كذّبوا بعيسى من قبل ، واعتقـــدوا أن ما وراء توراتهم باطل ، واكتفوا بأداء عباداتهم في بيعهم ، وحبسوا في أفواههم المطاعن .. لتركهم المسلمون وشأنهم يكفرون إلى قيام الســـاعة ، دون حرب أو ضرب .

---

١ سورة الأعراف آية رقم (١٧٦)

٢ [illegible] الترمذي جـ ٤ (ص ١٥٦) رقم الحديث [illegible] قال [illegible] صحيح وقد روي عن عمر بن الخطاب

أما أن يجتهد المسلمون في بناء دولتهم فيجتهدوا هؤلاء في نقضها . امـــا أن يصطدم الإسلام ، بالشرك فينضم يهود بعواطفهم وألســـنتهم ودعايتـــهم ضد محمد – صلى الله عليه وسلم – وصحبه فهذا ما لا يستساغ [١] .

أما أنهم يحاولون الاعتداء على الفضيلة فهذا أمر لا يقبل . ولهذا لم يبـــق أمام هذا الاضطهاد الصارخ إلا مقاتلتهم ، فسار إليهم رسول الله – صلـــى الله عليه وسلم – يحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب أســـد الله وأســـد رسوله – صلى الله عليه وسلم – فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فقـــذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم رسول الله ، ورضوا بما يصنعه فـــي رقابهم ونسائهم وأموالهم " فأمر المنذر بن قدامه السالمي بتكتيفهم ليضرب أعناقهم " [٢] .

فلما رأي عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين ذلك تقدم إلـــى رســـول الله ، وطلب منه أن يحســـن فيهم .. فقال رســـول الله – صلـــى الله عليـــه وســـلم – هـــم لك على أن يخرجوا مـــن المدينـــــة ولا يجاورونـــا بـــها . فرحلوا إلى أذرعات [٣] الشام ، ولكنهم لم يعمروا طويـــلا فـــهلكوا ونـــالوا جزاء خيانتهم وغدرهم ومكرهم ومحاربتهم لله ورسوله .

٢ – بنو النضير يخربون بيوتهم

لقد أذل الله يهود بني النضير : " وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتـــهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولـــي الأبصـــار " [٤] وذلـــك بجـــزاء إصرارهم على المكر والتعنت والتكذيب للنبي – صلى الله عليـــه وســـلم – فقـــد ذهب إلى محلتهم على مقربة من قباء في عشرة من كبار المســـلمين بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، وطلب إليهم معاونتهم في دية القتيلين اللذيـــن أظهروا الرضا بمعونته ، فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم ، ينتظر وفاءهم

١– محمد الغزالي – فقه السيرة (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) .

٢– انظر : الطبري – تاريخ الأمم والملوك – الشهير بتاريخ الطبري – نشر دار القلم – بيروت – جـ ١ (ص ٢٩٧) – وابن الأثير – الكامل في التاريخ – جـ ٢ (ص ١٣٨) .

٣– أذرعات بلدة بأرض الشام بحوران – راجع : الاصطفا في سيرة المصطفى – جـ ١ (ص ١٥٢) .

٤– سورة الحشر آية رقم (٢) .

بما وعدوا . ولكن اليهود بدءوا يدبرون في قتله . وألهم الله رسوله بخبرهم فنهض من جوار البيت وقفل راجعا إلى المدينة . وارسل إليهم محمد بن مسلمة ، وقال له : اذهب إلى يهود بنى النضير وقل لهم " أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادي ، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي لقد أجلتكم عشوا ، فمن رؤئي بعد ذلك ضربت عنقه " فلم يجدوا لهذا الكلام دفعا فأخذوا يتجهزون للرحيل ، ولكن عبد الله بن أبى بن سلوك مناهم بعدم الخروج فأرسلوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – يقولون له : لن نخرج فافعل ما بدا لك " [1] .

فكبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكبر المسلمون لتكبيره ، فسار إليهم النبي – عليه الصلاة والسلام – في أصحابه ، وحمل رايته على بن أبى طالب ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، فلما وصل الخبر لهم تحصنوا بحصونهم ، فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقطع نخلهم ، وبعد خمس عشرة يوما من الحصار استسلموا وانقادوا صاغرين لأمر رسول الله بعد أن ملأ الرعب قلوبهم ، والهلع والجزع نفوسهم ، وسرى القلق والاضطراب إلى عقولهم وأوصالهم ، وارتبكوا ارتباكا شديدا ، وطلبوا من رسول الله ، أن يأذن لهم بمغادرة مساكنهم واصطحاب ما يريدون من متاع وسلاح ومال ، فأبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك ، واشترط عليهم إلا يأخذوا قطعة سلاح معهم ، وأن يسلموا هذه الأسلحة للمسلمين ، وأن يمتلك المسلمون بقية أموالهم بعد خروجهم ، وأذن لهم باصطحاب النساء والذراري وبعض الأموال المنقولة التي يقدرون على حملها ، " فكان الرجل منهم يهدم بيته عن مجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به " [2] .

---

١ – محمد نبهان الخباز – الاصطفا في سيرة المصطفى الطبعة الأولى جـ ٦ (ص [illegible])

٢ – محمد نبهان الخباز – الاصطفا في سيرة المصطفى الطبعة الأولى [illegible]

أي أنهم كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم " وكانوا ينظرون إلى الخشبه في منازلهم ، مما يستحسنونه أو الباب فيهدمون بيوتهم . وينزعونها ويحملونها على الإبل ، وقد حملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ، وقبض رسول الله ما تركوه من الأموال والدروع والسلاح ، فقسمها رسول الله على المهاجرين [1].

وفي يهود بني النضير نزل قولة تعالى " هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم ,أيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار " [2] .

(1) المصدر السابق ...

٢ سورة ... آية رقم ...

نمـــاذج مـــن الاضطـــهاد اليـــهودي للإســـلام بعـــد وفـــاة الرســـول صلى الله عليه وسلم :

بعد وفاة الرسول – صلى ا لله عليـــه وســـلم – بـــدأ اليـــهود يحيكـــون المؤامرات والفتن لاضطهاد المسلمين وصرفهم عـــن دينـــهم . والحديـــث عـــن اضطهادات اليهود ومؤامراتهم ضد الإسلام من وفاة الرسول – صلى ا لله عليـــه وسلم – حتى وقتنا الحاضر أمر يخرج عن نطاق هذا البحث ولهذا سأقتصر على أشهر هذه الاضطهادات على النحو التالي :-

أولا : اضطهاد عبد الله بن سبأ اليهودي :

من أشد الاضطهادات اليهوديـــة التـــي وقعـــت للمســـلمين بعـــد وفـــاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما قام به وهب بن منبه ، وكعـــب الأحبـــار ، وعبد الله بن سبأ ، فقد تخصص وهب في تزييف الأخبار وتأويل الآيـــات وعـــن طريقه أتت الإسرائيليات في التفسير والسنة ، أما كعب الأحبار فخلط التزييف في التفسير والأحاديث بالتآمر على حياة سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وبعد اغتياله ركز همته في الكيد للدولة الإسلامية في عهد سيدنا عثمان – رضي الله عنه – وتوزعت الأدوار بين كعب الأحبار وابن سبأ على النحو التالي :-

انضم كعب إلى معسكر الأمويين يقنع معاوية – رضي الله عنـــه – بـــأن الخلافة صائرة إلى وأنه قرأ ذلك في الكتب القديمة وأن الفتنة قادمة لا ريب فيها ولا سبيل إلى وقفها وأن الفتنة تبدأ بمقتل عثمان . وفي نفـــس الوقـــت الـــذي يتحالف فيه كعب الأحبار مع معاوية ويوحي إلى بما يريد كان في الجبهة الأخرى عبد الله بن سبأ يثير الناس ضد سيدنا عثمان بن عفان ويدعو للتشييع لآل البيت وقد تحدثت كتب الفرق ومعظم كتب التاريخ الإسلامي القديم منها والحديث عـــن دور عبد الله بن سبأ باعتباره رأس الفتنة التي أرقت المسلمين وأقضـــت علـــى مضاجعهم حتى الآن فمن هو عبد الله بن سبأ؟وما هـــو دوره؟وما هـــي آثـــار اضطهاداته؟. يعطينا الإمام الطبري إشارات واضحة عن سيرة ابن سبأ ونشـــأته وأفكاره ومنهجه فيقول : " كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعـــاء ، أمـــه

سوداء . اسلام زمن عثمان ثم انتقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام فأخرجوه . فذهب إلى مصر ، فقال لهم فيما يقول :العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع . وقد قال الله تعالى : " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " [1] محمد احق بالرجوع من عيسى . فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان على وصي محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء .. ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان بغير حق فانهضوا في هذا الأمر فحركوه . فبث دعاته وكاتب من كان استند من الأنصار وكاتبوه " [2] .

ويقول صاحب الفرق بين الفرق : " كان ابن السوداء في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر إسلامه وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة ، أن لكل نبي وصيا وأن عليا وصي محمد ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمدا خير الأنبياء . فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي إنه من محبيك ، فرفع علي قدره وأجلسه تحت درجة منبره ، ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم أن يقتله فنهاه ابن عباس وقال إن قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك ، فلما خشي الفتنة التي خافها ابن عباس نفاه إلى المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل على ، [3] ويقول ابن حزم أنه " قال لعلي أنت أنت ، يعني أنت الإله ، فنفاه إلى المدائن ، [4] وأنه زعم أن عليا حيا لم يقتل وفيه الجزء الإلهي ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عولا كما ملئت جورا [5] لقد حارب هذا اليهودي الإسلام بخبث ودهاء حتى تمكن من تكوين فرقة دينية

١- سورة القصص آية رقم (٨٥) .

٢- الإمام الطبري - تاريخ الطبري - جـ ٣ - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٣٩م - (٣٧٨ - ٣٧٩) .

٣ - عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٢٢٥ - د. الآفاق الجديدة بيروت

٤ - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ١١ . د. المثنى ببغداد . وانظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٧٤

٥ - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص [illegible]

تخالف في عقيدتها العقيدة الإسلامية " تستمد أفكارها ومبادئها من الديانة اليهوديه .

فانتسبت هذه الفرقة إلى مؤسسها ومبتدعها : ابن سبأ ، فأُطلق عليها السبئية ، ومن السبئية استمدت الرافضة [1] عقيدتها وأصولها فتأثرت بتلك المبادئ اليهودية [2] وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ ، فإنه أظهر الإسلام ، وأبطن اليهودية ، وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولس النصراني – الذي كان يهودياً – في إفساد دين النصارى [3] .

ثانياً : اضطهاد ميمون القداح وإنشاء فرقة الباطنية :

امتداداً لسلسلة الاضطهادات والمكايد اليهودية على الإسلام والمسلمين ، فلم تكد تخبو جذوة الفتنة السبئية ، حتى أعد اليهود مكيدة جديدة قادها يهودي آخر ظهر في الكوفة سنة ٢٧٦ للهجرة النبوية [4] يقال له : ميمون بن ريصان القداح . حيث انشأ أخبث فرقه في تاريخ الإسلام وهي فرقة " الباطنية " وكان هذا اليهودي منافقاً يظهر الإسلام ويبطن اليهودية . قال صاحب الفرق بين " حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم : " ميمون بن ريصان " المعروف " بالقداح " وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق ، وكان الأهواز ، ومنهم " محمد بن الحسين " الملقب "بدندان " اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ريصان القداح في سجن العراق فأسسوا في ذلك السجن .

مذهب الباطنية وبظهور ميمون القداح أخذت الحركة اليهودية أسلوبا جديدا لاجتثاث الإسلام من جذوره من خلال إدخال تلفيقات جديدة تنسف الإسلام كله من اصوله ولا تبقى منه إلا الاسم المجرد من آية حقيقة من حقائق الإسلام والتظاهر بقبول نصوص الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة واخذوا يجعلون لكل

---

١ - الرافضة : هم الذين يرفضون إمامه الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما ويتبرءون منهما ، ويسبون أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وينتقدونهم . انظر طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٣٣ للقاضي ابن أبي يعلي

٢ - عبد الله الجميلي : بذل المجهود في إثبات شبهة الرافضة لليهود جـ ١ ص ١٤٤ الطبعة الثانية ١٩٩٤ مكتبة الغرباء الأثرية .

٣ - ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص ٤٨٣ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧٨

٤ - عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني : مكايد يهودية عبر التاريخ ص ١٥٨ الطبعة السادسة دار القلم سنة ١٩٩٢

آية تفسيرا ولكل حديث نبوي تأويلا وقالوا إن نصوص القرآن والسنة والأحكام الإسلامية لها ظاهر وباطن ثم تأولوا أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا أن معنى الصلاة : موالاة أمامهم ، والحج : زيارة الإمام ، والمراد بالصوم عندهم : هو الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام إلى غير ذلك من تأويلاتهم الفاسدة [١] واستمرت هذه المكيدة اليهودية المقنعة في أطوار متنوعة الأشكال والظواهر متحدة الأهداف والغايات واخذت تجذب إليها الأشرار وأهل الفسق والفساد وبعض الجهلة والأغرار واستطاع دعاتها أن يصلوا بأتباعهم إلى الإلحاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واعتقاد بسقوط جميع الفرائض الإسلامية من صيام وصلاة وزكاة مع استباحة جميع المحرمات واستباحت نكاح الأخوات والبنات ، واخذوا ينشرون في الأرض الفساد ويدبرون جرائم القتل لكل ذي خير وصلاح وكانوا يتعاونون مع اليهود في كل وقت [٢] .

ثالثا : هدم الخلافة العثمانية :

عمل اليهود على تقويض وحدة المسلمين منذ بزغ فجر الإسلام ، وتم لهم ما أرادوا وأسقطوا الخلافة العثمانية وقد بدأ تآمر اليهود على الخلافة العثمانية في عهد السلطان "مراد الثاني" [٣] .

ومن بعده السلطان العظيم " محمد الفاتح " [٤] الذي اغتاله طبيبه اليهودي يعقوب باشا السم ، كما ثبت أن اغتيال السلطان سليمان القانوني [٥]

---

١ - انظر الإمام الغزالي : فضائح الباطنية صـ٥٥-٥٧ تحقيق عبد الرحمن بدوي / نشر مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت .

٢ - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني : مكائد يهودية عبر التاريخ صـ١٥٩ الطبعة السادسة : دار القلم سنة ١٩٩٢م

٣ - السلطان مراد خان الثاني بن محمد خان جلس على العرش عام ٨٣٤هـ وكان عمره ١٨ عاما وحدث في عهده ثورة في البلاد فأناب ابنه محمد خان الفاتح مكانه على العرش وكان عمره ١٤ عاما وتوجه بنفسه حيث قاد الجيوش بأرض الروم حتى قضى عليهم وعاد آلي بلاده منتصرا ومات وعمره ٤٩ عاما .
راجع : أضواء على تاريخ توران تأليف : السيد عبد المؤمن السيد أكرم (ص ١٧١) .

٤ - جلس على عرش والده " مراد خان الثاني " عام ٨٥٥هـ ، كان عمره ٢٢ عاما حاصرا استنبول خمسين يوما ثم تمكن من فتحها مات وعمره ٥٣ عاما ودفن بجامع استنبول .
راجع : أضواء على تاريخ توران تأليف : السيد عبد المؤمن السيد أكرم (ص ١١٢) .

٥ - السلطان سليمان القانوني بن سليم تولى العرش عام ٩٢٦هـ ، وكان عمره ٢٦ عاما ، وضع قوانينا ونظما ولذلك سمي بسليمان القانوني مات وعمره ٧٤ عاما ، ومدة حكمه ٤٨ عاما . أضواء على تاريخ توران (ص ١٧٥) .

وأحفاده الصغار قد دبرته دوربانو اليهودية واستمرت مؤامرات اليهود وتغلغلهم في دوائر الحكم العثماني أكثر من أربعمائة عام حتى انتهت بزوال الخلافة العثمانية وسقوطها [1] على يد " مصطفى كمال أتاتورك " [2] وقد استخدم اليهود في خططهم لهدم الخلافة العثمانية القوى التالية :-

١ - *يهود الدونمة :*

الذين تظاهروا بالإسلام بعد وصولهم من أسبانيا وتغلغلوا في المناصب في الدولة العثمانية حتى وصلوا إلى أعلى المراتب في الدولة مما سهل عليهم التخريب والتمهيد للقضاء على الخلافة ، ومن اشهر يهود الدونمة الذين خربوا دولة الخلافة وكان لهما الدور الأكبر في سقوطها : مدحت باشا [3] ومصطفى كمال أتاتورك .

٢ - *الصليبية الغربية الحاقدة :*

استغل اليهود الحقد الصليبي على الإسلام فتحالفوا مع عدة دول أوروبية هي : بلغاريا – رومانيا – النمسا – فرنسا – روسيا – اليونان – إيطاليا . لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار .

٣ - *الدعاية الفاجرة :*

شن اليهود دعاية إعلامية فاجرة صورت الحكم في الخلافة العثمانية ابشع تصوير وان المسلمين الأتراك متوحشون قساة يرتعون في الفساد والانحلال وصورت مدحت باشا اليهودي الماكر بطلا من أبطال العالم وسمته

---

١ - انظر عبد الله التل : الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام صـ٧٥ الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي

٢ - ولد مصطفى كمال اتاتورك عام ١٢٩٩هـ في سلانيك بلاد اليونان وهو من عائلة تركية ذات اصل متواضع وابن الموظف الحكومي علي رضا الذي كان يصفه كمال رجلا ضائع الفكر يقاوم رجال الدين ويؤيد الأفكار التي تتسرب من الغرب . دخل المدرسة العسكرية واصبح ضابطا في الجيش العثماني ورقي الي رتبة عميد عام ١٣٣٥هـ ، وفي عام ١٣٣٧هـ عين قائدا لأحد الجيوش في فلسطين ثم عين بمساعدة الماسون رئيساً لجمهورية تركيا بعد إسقاط السلطنة سنة ١٣٤١هـ .

٣ - مدحت باشا أو أحمد مدحت بن حاجي حافظ كان عضو العرب ، عين واليا على بغداد سنة ١٢٨٦هـ – ١٢٨٨هـ ودعي إلى الأستانة معزولا فما لبث أن تولى منصب الصدارة العظمى ، رئيس وزراء ، ثم اصدر الدستور العثماني في أواخر ١٢٩٣هـ ويعد مدحت من اشهر يهود الدونمة وأعضاء المحفل الماسوني هو ومصطفى كمال الذين سقطت الخلافة العثمانية على أيديهم . انظر : عبد الله التل : الأفعى اليهودية صـ٧٦

أبو الأحرار " وسخرت صحف أوروبا لترويج هذه الدعاية الخبيثة حتى عمت العالم بأسره [١] .

٤ – *الجمعيات السرية :-*

من الخطط التي استخدمها اليهود لهدم الخلافة الإسلامية إنشاء جمعيات سرية تعمل على تحقيق أهداف الصهيونية خاصة الماسونية التي أثبت التاريخ أنها من اخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ الأمم وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب وتحكمت في سياسة معظم دول العالم خاصة دولة الخلافة العثمانية التي لم تشعر أنها قد كانت فريسة للخديعة اليهودية الماسونية [٢] .

٥ – *النعرة القومية :*

عمل اليهود على تفكيك دولة الخلافة و هدم كيانها وتقطيع أوصالها من خلال إثارة النعرة القومية التي أبعدت المسلم عن إسلامه وعقيدته وجعلت هدفه الأسمى أن يدافع عن عنصره وقومه . لقد كانت فكرة القوميات في دولة الخلافة كارثة كبرى سميت بها فقد نادى الأتراك الذين تخرجوا من المحافل الماسونية بالقومية الطورانية وعملوا على إحياء حركة تركيا الفتاة من سنة ١٨٩٦-١٩٠٨م [٣] ونادى العرب بالقومية العربية التي أقصت الدين عن الحياة وانتهى الأمر باقتتال الفريقين وتقويض دولة الخلافة .

---

١ – انظر : عبد الله التل : الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام الطبعة الثانية ضعة المختار الإسلامي (ص ٧٦ – ٧٨)

٢ – عبد الرحمن حسن حنبكة مكايد يهودية عبر التاريخ الطبعة السادسة (ص ٢٠)

٣ – الدكتور محمد ضياء الريس النهضة في العالم الإسلامي الطبعة الأولى طبع دار الدعوة للطباعة والنشر ١٩٨١م (ص ١٨٤)

الفصل الرابع

الإسلام في مواجهة الاضطهاد ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : العقيدة الإسلامية في مواجهة الاضطهاد

المبحث الثاني : التشريع الإسلامي في مواجهة الاضطهاد

المبحث الثالث : الأخلاق الإسلامية في مواجهة الاضطهاد

تمهيد :-

إن اضطهاد الأنبياء والدعاة إلى الله تعالي ، معلم من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوات الإلهية في جميع مراحل تاريخها ، فما من رسول من رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - إلا وقد واجهه قومه والمؤمنين معه ، بالاضطهاد والتكذيب .

يقول تعالى لنبيه : " لقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاء من نبأ المرسلين " [1] لقد كانت الاضطهاد الموجهة إلى الإسلام ، قوية وشديدة ، وقاسية ، فيها من الخبث والغدر والمكر والدهاء ، بقدر ما كانت تنطوي عليه نفوس المشركين من مكر يحرك الجبال الرواسي من أماكنها قال تعالي : " وقد مكروا مكرهم ، وعند الله مكرهم ، وأن كان مكرهم لتزول منه الجبال [2] .

لقد كان مكر الأعداء مكر مستمر ، وكيد مستمر ، وتخطيط مستمر ضد الإسلام والمسلمين ،عداء لا يهدأ ولا يفتر ، ولا يقف عند حد في سبيل القضاء على الإسلام واستئصاله من جذوره .

فكيف واجه الإسلام هذا الاضطهاد وهذا العداء ، وكيف انتصر عليه ، لقد واجه الإسلام هذا الاضطهاد من خلال الخصائص التالية : -

---

١- سورة الأنعام الآية رقم (٣٤) .

٢- سورة إبراهيم الآية رقم (٤٦) .

المبحث الأول

العقيدة الإسلامية في مواجهة الاضطهاد

حطمت العقيدة الإسلامية ، الاضطهاد الضاري الذي قوبل به الإسلام في بدايته ، ففي أقل من ربع قرن من الزمان ، تغيير الحال ، وتبدلت الأوضاع وأصبح كثير من قادة الاضطهاد ، قادة في الدفاع عن الإسلام ، وذلك بسبب ما جاء به الإسلام من عقائد وتشريعات وأخلاق ، أخرجت النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلي ، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات ، وشتى الاتجاهات بعد ضلال مبين ، ففي المجال العقائدي نجد أن العقيدة الإسلامية تمتاز بخصائص انفردت بها عن غيرها من العقائد من ذلك ما يلي :-

أولا : إنها تدعو إلى الحق :

من مميزات العقيدة الإسلامية أنها تدعو الناس إلى الحق ، والبعد عن الباطل ، لأن الحق ضياء للعقل ، وصدى للفطرة ، ومفتاح للخير ، وسياج ضد الباطل ، وصلة لا يعلى عليه في ربط الإنسان بالله وبالناس ، بل إن مواجهة الناس جميعا بهذا الحق من الخصائص الأولى للإسلام ، قال تعالى : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " [1] والقرآن الكريم أنزله الله بالحق ، وجاء بالحق فقال سبحانه : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا " [2] والباطل بكل أشكاله وصوره لا يستطيع أن يثبت أمام الحق

١- سورة التوبة آية رقم (٣٣) .

٢- سورة الإسراء آية رقم (١٠٥) .

فقال تعالي " وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " [١] وقال سبحانه : " كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " [٢] .

فقد بينت هذه الآيات أن الاستمساك بالحق ، والثبات عليه والدفاع عنه ، ودعوة الناس إليه من المبادئ الإسلامية التي قهرت المضطهدين ، وحطمت قواهم وجعلتهم ينضون تحت رايته ويدافعون عنه ، وذلك لأن الحق هو الإسلام كله ، ومنهاج دينه ، وقوام رسالته قال تعالي : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " فكل ما أنزله الله علي رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – حق ، وطالما أنه حق فالاستمساك به والثبات عليه والدفاع عنه واجب ، لأنه مقتضى العقل والفطرة والعلم قال سبحانه : " ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " [٣] والحق هو قوام الرسالة الإسلامية ، فهو الذي يرد بغاة السوء من خصومه المتربصين به ، ويرد عاديتهم لذا كان " الوفاء للحق ، والقيام على أمره ومواجهة الناس أجمعين به ، من أولي الخصائص التي يحيا بها الدعاة إلى الله ، وتعد صبغة لازمة لسلوكهم فهم على بعد الشقة بينهم وبين الضائقين بهم وعلى وحشية القطيعة وطول الخلاف يظلون ثابتين على دعواتهم يشرحون أحوالها بدقة ، ويبينون حدودها بأمانة ولا يتلون الحق في رسالتهم لرغبة أو لرهبة " [٤] .

بهذا الحق الذي لا يتلون ولا يتغير جاء الإسلام يدعو الناس إلى الاعتقاد الحق الذي يقوم على الدليل والبرهان ، الحق الذي يعترف الإنسان

١- سورة الإسراء آية رقم (٨١)

٢- سورة الرعد آية رقم (١٧)

٣- سورة سبأ آية رقم (٦) .

٤- الأستاذ الإمام محمد الغزالي – مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة – طبعة ١٩٥٩م مطبعة دار السعادة – (ص ٧٢)

بمقدماته . ولا يستطيع أن ينكر نتائجه فقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون ...قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأني تؤفكون . قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ، قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون " [١] .

بهذا المنهج الرباني أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الباطل إلى الحق .

ثانياً : إنها عقيدة تقوم على الوضوح :

من السمات الأساسية في العقيدة الإسلامية التي بها واجهت الاضطهاد ، أنها عقيدة واضحة بينة ، لا لقادة الفكر والدعوة فقط ، ولا لخاصة المثقفين من اتباعه وأنصاره فحسب ، بل لجمهرة المؤمنين به من ذلك ما يأتي :

أولاً : توحيد الله تعالى الذي لا يجهله مسلم ، أياً كان جنسه ، أو لونه ، أو طبقته ، أو حظه من التعليم ، فقد عرف من كلمة التوحيد وأولي الشهادتين " لا إله إلا الله " أنه لا مكان في الإسلام لتأليه بشر أو حجر ، أو شيء في الأرض أو في السماء وأنه سبحانه " ليس كمثله شيء " ، وأنه " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " [٢] ، وأنه سبحانه " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم له كفواً أحد " [٣] .

ثانياً : والإيمان بالجزاء في اليوم الآخر ، وأن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأن الآخرة هي دار الجزاء ، فيها توفي كل نفس ما كسبت ، وتجزى بما

١- سورة يونس آية رقم (٣١ ٣٥) .

٢- سورة الأنعام آية رقم (١٠٣)

٣- سورة الإخلاص .

عملت " فمن يعمل مثقال زرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شـــرا يره " [1] وأن " كل نفس بما كسبت رهينـــة " [2] فالمســؤولية فـــي الإسلام شخصية والجزاء شخصي يقابل ذلك غموض في النصرانيـــة التي تقرر أن خطيئة آدم في أكله من الشجرة حمـــل وزرهـــا أبنـــاؤه وذريته ، من بعـــده حتى جاء المسيح " المخلص " فقدم نفسه قربانـــا لله ، وفداء لهم لتخليصهم من وزر أبيهم آدم [3] .

ثالثا : الإيمان بالرسالات السماوية كلها ، وما أنزل الله من كتب وما بعـــث من رسل ، يهدون إلي الحق ، ويدعون إلى الخير ويـــأخذون بـــأيدي الناس إلي الله ، لكي لا يكـــون لأحـــد عـــذر مـــن الضـــلال والانحراف " رسلا مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل [4] .

هذا الوضوح المشرق في العقيدة التي واجه الإسلام بها الاضطـــهاد والمضطهدين وانتصر عليهم ، يقابله غموض مطبق في العقائد الأخـــرى ، فالمسيحية مثلا لم يتضح لأتباعها حتى الآن حقيقة المسيح ، حتـــى أنـــهم عقدوا المجامع تلوا المجامع للبحث في طبيعة المسيح ما هي ؟ أهو إله ؟ أم ابن إله ؟ أم بشر خالص ؟ أم بشـــر حل فيه الإله ؟ أم جزء من أقانيم ثلاثة يتكون منه الإله : هي الأب والابن والروح القدس ؟ والروح القدس نفسه ، اختلفوا فيه ما هو ، وما علاقته بالاقنومين الآخرين ؟ وأم المســـيح التـــي ولدته ما هي أيضا ؟ وما نصيبها من اللاهوت والناسوت .

ثالثا : أنها عقيدة العقل والفطرة :

١- سورة الزلزلة آية رقم (٧- ٨) .

٢- سورة المدثر آية رقم (٣٨) .

٣- انظر : الدكتور يوسف القرضاوي - الخصائص العامة للإسلام - (ص ١٧١) بتصرف

٤- سورة النساء آية رقم (١٦٥)

من مميزات العقيدة الإسلامية التي حطمت الاضطهاد أنها في كل ما تقرره من عقيدة وعبادة وتشريع أنها تأمر أتباعها باستخدام العقل لأنه مناط التكليف والفهم والإدراك ، واتباع العلم والحجة والبرهان وتحذرهم من خلاف ذلك ، وقررت أن من لا يستعمل عقله ، ولا ينتفع بأسباب العلم فهو كالأنعام قال تعالي : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " [1] .

إن عقيدة التوحيد في الإسلام تستند إلى العقل ، وتعتمد على البرهان ، لأنها تقوم على حقائق يقبلها كل إنسان ، وتستريح إليها الأنفس ، وتستجيب لها الفطرة السليمة يقول القرآن الكريم للمشركين : " أإله مع الله قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين " [2] ويقيم الأدلة على الوحدانية بمثل قوله تعالي :" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا " [3] ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، أذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون " [4] .

إن العقيدة الإسلامية تدعو إلى الإيمان بإله واحد ، دلّ على نفسه بآياته التكوينية ، في الأنفس والآفاق ، وآياته التنزيلية " تجعل من مألوفات البشر وحوادثهم المكرورة ، قضايا كونية كبرى ، يكشف فيها عن النواميس الإلهية في الوجود ، وينشئ بها عقيدة ضخمة شاملة وتصوراً لهذا الوجود ، كما تجعل منها منهجاً للنظر والتفكير ، وحياة للأرواح

١- سورة الأعراف آية رقم (١٧٩) .

٢- سورة النمل آية رقم (٦٤) .

٣- سورة الأنبياء آية رقم (٢٢) .

٤- سورة المؤمنون آية رقم (٩١)

والقلوب [1] والعقول ، من ذلك ، قوله تعالي : " نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقون أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولي فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمتم تفكهون إنا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرءيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون " [2] . بهذا المنهج الإلهي الذي يخاطب العقل ويدعو إلي الإيمان برسول بعثه الله ، ليختم به النبوات ، ويتم به مكارم الأخلاق ؛ رسول بشر مثلنا ، لا يتميز عن الناس إلا بالوحي : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي " [3] ليس إلها ولا ابن الله ، ولا ملكاً ، إنما هو إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، عاش ومات ، كما يعيش الناس ويموتون ، باع واشتري وصادق وعادي ، وسالم وحارب وتزوج وانجب [4] بهذا المنهج العقائدي أخرج الإسلام الإنسان من الهوى والظلم ، والجهل والخرافة ، وأيقظ لبه وقلبه ، وأخرج عقله من أغلال التقليد والمحاكاة ، وغدا المسلم يدافع عن عقيدته بكل ما يستطيع ، ويستعذب في سبيلها جميع الآلام وهو ثابت على دينه ويردد أحد ، أحد . مهما كانت سياط الاضطهاد موجعة ومؤلمة .

رابعاً : تدعو إلى الصبر والتقوى :

الصبر والتقوى والثبات عليها ، وعدم التهاون ، أو التنازل في كل ما يتصل بتبليغ الوحي ، أو يتعلق بكليات الدين وقيمة ، وأسسه العقائدية

١- انظر : الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٤٦٦)

٢- سورة الواقعة من الآية رقم (٥٧ ... ٧٠)

٣- سورة الكهف آية رقم (...)

٤- الدكتور ... القرضاوي ... (...)

والأخلاقية من الخصائص التي واجه بها الإسلام الاضطهاد وانتصر على المضطهدين ، قال تعالي موضحاً ذلك : " وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، إن الله بما يعملون محيط " [1] وقال سبحانه : " لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور " [2] وقال تعالي بعد أن عرض عقبات الاضطهاد التي واجهت يوسف – عليه السلام – : " إنه من يتق ويصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " [3] .

إن هذه الآيات وغيرها كثير تقرر أن الصبر والتقوى هما الطريق لمواجهة اضطهاد الأعداء وأبطال مكرهم وكيدهم .

ولقد بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه لما أشتد عليهم الأذى ، بأن الصبر والثبات والاعتصام بحبل الله تعالي ، هو الذي يحقق للمسلم الانتصار على الباطل مهما كانت قوته ، فعن خباب بن الأرت – رضي الله عنه – يقول : " شكونا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو متوسد ببردة في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ثم يؤتي بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالي هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب علي غنمه ولكنكم تستعجلون " [4] .

١- سورة آل عمران آية رقم (١٢٠) .

٢- سورة آل عمران آية رقم (١٨٦) .

٣- سورة يوسف آية رقم (٩٠) .

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٧ (ص ١٦٤ - ١٦٥ .

فبين – صلى الله عليه وسلم - أن تحمل الشرور والمحـــن والأذى ، سنة ربانية لأصحاب الدعوات الإلهية ، لهذا تحمل رسول الله – صلـــي الله عليه وسلم أفعال المشركين واضطهاداتهم مع القدرة على معاقبتهم دليل ذلك ما يلي : –

١ – *الصبر على أفعال المشركين بعد الاقتدار عليهم :–*

فقـد جاء عن جابر بن عبد الله . قال : كنا مــع رســول الله ، بــذات الرقاع ، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلـــي عليـــه وسلم – فجاء رجل من المشركين ، وسيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة ، فاخترطه ، فقـــال للرســـول : تخـــافني ؟ قـــال الرسول : لا فقال الرجل : من يمنعك مني ؟ قال الرســـــول الله : الله ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله – صلـــى الله عليـــه وســـلم – السيف ، فقال للرجل : من يمنعك مني ، فقال الرجل : كن خـــير آخـــذ فقـــال الرسول : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنـــي رســـول الله ، فقـــال الرجل : لا ، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقـــاتلونك ، فخلي ســـبيله ، فأتي أصحابه ، فقـــال لهم : جئتكم مـــن عنـــد خـــير الناس [1] .

هكذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يزيد مع كـــثرة الأذى إلا صبرا ، ولا يزيد على إسراف الجاهل إلا حلما ، حتـــى أن موقـــف الرسول – صلى الله عليه وسلم – دفع هذا الرجل المشـــرك أن يقـــول لقومه : جئتكم من عند خير الناس ودل هذا على أن الرسول – صلـــى الله عليه وسلم – لم يكره أحدا على الإسلام ، فالرجل المشرك مع أنـــه

---

(1) صحيح الإمام البخاري ج٣ ص١٢٥٩ رقم ٤١٢٢ [illegible] المكتبة العصرية بيروت

رفض الإسلام ، فقد أطلق سراحه . فهل تجد البشرية أسمى من هذه الأخلاق في معاملة الأعداء .

٢ – ***الصبر على أفعال المشركين مع امكان استئصالهم :***

ذهب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ، فرماه سفهاء الطائف بالحجارة ، حتى دمت قدماه – صلى الله عليه وسلم – ، فأتاه ملك الجبال فسلم عليه ، وعرض عليه أن يسقط الجبل على رؤوس القوم ، فيموتوا جزاء كفرهم وطغيانهم ، فامتنع – صلى الله عليه وسلم وقال :" أني لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً ، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون [1] هل تجد الدنيا كلها رحمة مثل رحمة سول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى مع الذين اضطهدوه وكذبوه وآذوه هذا الإيذاء حتى دمت قدماه ، ومع ذلك يدعو لهم : من وقت لو دعا عليهم لكان الأمر كما أراد .

لقد طبع الله الصبر والرحمة في قلب رسوله – صلى الله عليه وسلم – وكان أصحابه – رضي الله عنهم على خلقه – صلى الله عليه وسلم – سائرين ومقتدين ، لدرجة أن الصبر على المحن تجسد في حياتهم ، وفي دفاعهم عن الإسلام في مواجهة الاضطهاد . ولم يكن الصبر والثبات على الحق لدى أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من الرجال فقط ، بل الأعجب أن كان لدي النساء كذلك : وفي أشد المواقف ، فصفية بنت عبد المطلب ، بعد أن استشهد أخوها حمزة – رضي الله عنه – جاءت تنظر إليه ، وقد مثل به المشركون ، فصلت عليه واسترجعت وقالت : " لاحتسبن ولأصبرن

---

١ – انظر : محمد يوسف الكاندهلوي – حياة الصحابة ... مكتبة دار التراث (ص ٢٥٤) .

إن شاء الله ،" [1] وحمنة بنت جحش [1] استشهد في غزوة أحد خالها ، وأخوها ، وزوجها ، فلما أنبأها رسول الله ، قالت " إنا لله وإنا إليه راجعون " [3] وهند بنت حرام ، زوجة عمرو بن الجموح ، استشهد أخوها وابنها وزوجها لما علمت بشهادتهم استرجعت ، ثم قال لها رسول الله ، يا هند قد ترافقون في الجنة ، عمرو بن الجموح ، وابنك خالد ، وأخوك عبد الله : فقالت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم " [4] .

١- أبو الفداء إسماعيل بن كثير – السيرة النبوية – تحقيق عبد الواحد – الطبعة الثانية ١٩٧٨م – دار الفكر – بيروت – جـ ٣ (ص ٨٣) .

٢- ابن هشام – السيرة النبوية – حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي – الطبعة الثالثة – ١٩٧١م – دار إحياء التراث – جـ ٣ (ص ١٠٤) .

٣- المصدر السابق (ص ١٠٥) .

٤- انظر : ابن هشام – السيرة النبوية – جـ ٣ (ص ٩٨)

المبحث الثاني

التشريع الإسلامي في مواجهة الاضطهاد

إن التشريع الإسلامي كسر شوكت الاضطهاد ، ورفع من كرامة الإنسان ، ودفع الناس إلى الدخول في دين الله أفواجا . لأنهم وجدوه يتماشى مع فطرتهم وإنسانيتهم وكرامتهم ، لا يعاملهم كأنهم ملائكة ، أو شياطين ، وذلك لأنه منهج إلهي فريد ، في أسسه ومبادئه ، وأحكامه ، أراد الله به ، أن يكون قانونا ينفذ في الناس جميعا لضبط الحياة الفردية والأسرية ، والاجتماعية ، والدولية ، حتى لا يخرج أحد على وحي الله ، وكلماته المعصومة ، بدافع الهوى والميول والنزوات .

ولهذا كسر التشريع الإسلامي شوكة الطغاة والجبارين والمستبدين الذين استعبدوا الناس ، وأعطوا لأنفسهم سلطه التشريع للناس . فأهل الكتاب ، لما حرفوا وغيروا وبدلوا دينهم وشرعوا للناس ما لا يتماشى مع وحي الله تعالي ، ولا مع الفطرة والمنطق . لعنهم الله وجعلهم أحاديث .

فالتشريع في اليهودية تشريع دموي ظالم غاشم قائم على إباحة دماء غير اليهود ، لليهود ، وعلى الربا والزنا وشرب الخمر ، وعبادة الأصنام ، وأكل أموال الناس بالباطل ونقض العهود والمواثيق .

والتشريع في المسيحية خانق مميت قاتل فهو قائم كذلك على أن سلطة التشريع تخضع للبابا والقساوسة ورجال الدين ، فما يحرمه رجل الدين المسيحي فهو حرام ، وما يحمله فهو حلال وصدق الله العظيم إذ يقول : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون " [1] .

أما التشريع الإسلامي فهو تشريع إلهي شامل كامل ، خالد إلى يوم القيامة ومن ثم فسوف نبين ما جاء به التشريع الإسلامي لمواجهة الاضطهاد في مطلبين هما :-

---

١- سورة التوبة آية رقم (٣١)

المطلب الأول

مميزات التشريع في مواجهة الاضطهاد

للتشريع الإسلامي مميزات كثيرة لموجهة الاضطهاد منها ما يلي :

أولاً : تتميز ببيان علاقة الإنسان بربه مباشرة ، من خلال العبادات التي تدفعه إلى مراقبة الله في السر والعلن ، والبعد عن الفحشاء والمنكر والبغي .

ثانياً : تميز التشريع ببيان علاقة الأغنياء بالفقراء ، والواجدين بالمحرومين على دعائم من التعاون والتكافل الذي يجعل المجتمع كله كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

ثالثاً : تميز التشريع بتحديد علاقة الحاكم بالشعب ، على أساس من الشورى والحرية والعدل ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، والطاعة في المعروف .

رابعاً : تميز التشريع ببيان علاقة المجتمع كله ، بعضه ببعض على دعائم من الأخوة والوحدة ، والمساواة ، والتضامن المادي والأدبي ، وتبادل الحقوق والواجبات

خامساً : وضح التشريع علاقة الزوج بزوجته والزوجة بزوجها ، والأبوين بأولادهم ، وذوي القربى بعضهم ببعض .

سادساً : تميز التشريع بتحديد علاقة الأمة المسلمة بغيرها من الأمم في حالتي السلم والحرب ، واضعا بذلك أفضل المبادئ لقانون دولي عادل .

سابعاً : جاءت الشريعة من يوم نزولها بنظريات الحرية والمساواة ، والعدالة والشورى وسلطة الأمة ، ومسؤولية الحاكم ، ومنع التعسف في استعمال الحق ، الإذعان وغير ذلك

ثامنا : قررت الشريعة حرمة الدم ، فحفظت للفرد حق الحياة ، وأعلـــن الله تعالى أنه " من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل النـــاس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " [1] ، وأوجبت في قتل العمـد القصاص مهما كان القاتل ، إلا أن يعفوا أولياء المقتول ، أو يقبلوا بـــدلا ، وأوجبت في قتل الخطأ الدية والكفارة .

تاسعا : قررت الشريعة حرمة العرض ، فكانت عقوبات الزنـــا وعقوبـــات القذف قال تعالي " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلـــدة " [2] وصانت للفرد حق الكرامة ، فلا يجوز أن يهان أو يـــؤذى ولـــو بكلمـــة أو إشارة تسوؤه " قال تعالي : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم مـــن قـــوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منـــهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب " [3] .

عاشرا : قررت الشريعة حرمة المال ، [illegible] للإنسان حق التملـــك ، فلا يحل أخذ ما [illegible] إلا [illegible] نفس منه ، و[illegible] آخر [illegible] ماله وأخذه . وأوجبت عليه حق الدفاع عن ماله وإن قتل دفاعا عنه قتـــل شهيد .

حادي عشر : قررت حرمة البيت ، فصانت بذلك للفـــرد حـــق الاســـتقلال الشخص ، فلا يجـــوز لأحد أن يتجســـس عليه أو يقتحم عليه بيتـــه بغـــير أذنه [4] قال تعالي " يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتـــا غـــير بيوتكـــم حتـــى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " [5]

١- سورة المائدة آية رقم (٣٢)

٢- سورة النور آية رقم (٤)

٣- سوره الحجرات اية رقم (١١)

٤- سيد قطب [illegible] السلام العالمي والإ[illegible] الطبعة [illegible] ٨٢ [illegible] الشروق [illegible] ص ١٣٤ - ١٣٥)

٥- سوره النور [illegible] رقم (٢٧)

ثاني عشر : أنكرت الشريعة الإسلامية أي وساطة بين الله والإنسان ، وبهذا فتحت للإنسان باب التقرب إليه سبحانه وتعالي أني شاء ، ومتى شاء ، ولم تدفعه إلى وسطاء يتحكمون في ضميره ، ويقفون حجابا بينه وبين ربه ، قال تعالي لرسوله : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان " [1] .

ثالث عشر : حررت الشريعة الإسلامية الإنسان من وراثة الخطيئة ، كما هي دعوى المسيحية ، التي زعمت أن خطيئة آدم بالأكل من الشجرة وُرِّثت لبنيه ذكوراً وإناثا فقال تعالي : " ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخري " [2] .

رابع عشر : أنكرت الشريعة الإسلامية نظام الترهيب الذي يصادم فطرة الإنسان ، وطبيعة الاجتماع والعمران ، والذي يؤدي انتشاره إلى فناء النوع الإنساني فقال تعالي : " فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربلع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " [3] وقال سبحانه : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " [4] .

خامس عشر : أباحت للمسلم الزينة والتجمل ، وأكل الحلال الطيب ، ودعا الإسلام إلى ذلك وحث عليه فقال تعالي : " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " [5] .

١- سورة البقرة آية رقم (١٨٦) .
٢- سورة الأنعام آية رقم (١٦٤) .
٣- سورة النساء آية رقم (٣) .
٤- سورة الروم آية رقم (٢١) .
٥- سورة الأعراف آية رقم (٣٢)

سادس عشر : أباحت الشريعة الإسلامية التيسير في الواجبات الدينية ، فأباحت الفطر للمسافر والمريض في صيام رمضان ، على أن يقضيا أياماً أخر بدل التي فطرها قال تعالي : " من كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [1] كما أباحت قصر الصلاة ، الرباعية في السفر ، والجمع بين الظهر والعصر ، أو بين المغرب والعشاء .

بهذه المميزات – وغيرها كثير – استطاع التشريع الإسلامي أن يفتح قلوب وعقول الطغاة والجبارين ، وأن يلبوا داعي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وصدق الله العظيم إذ يقول : " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " [2] .

١- سورة البقرة آية رقم (١٨٦) .
٢- سورة الروم آية رقم (٣٠)

المطلب الثاني

مبدأ الحرية [1] في مواجهة الاضطهاد

جاء الإسلام وكرامة الإنسان مهدرة وضيعة ، من خلال نظام الرق والعبودية الذي كان سائدا في كل مكان ، وكان الطغاة والمستبدين يعتبرون العبد وما ملكت يداه لسيده ، كأي دابة ، أو متاع له ، فكان من حقه أن يتصرف فيه كيف يشاء ، فيضربه أو يعذبه في وحشية منقطعة النظير وفي غير رحمة أو وخزة ضمير ، أو يرهق بدنه في أشقى وأصعب الأعمال ، أو يزهق روحه إذا شاء .

فلما جاء الإسلام كرم الله الإنسان ، ورفع من شأنه ، وجعله خليفة له في الأرض فقال تعالي : " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " [2] ، وكرمه على سائر الخلق فقال سبحانه :" لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير فمن خلقنا تفضيلا " ووضع له من الحقوق ما يكفل له هذه الكرامة ، وما يجعله يقف في وجه الاضطهاد والظلم والتعسف ، لا يكل ولا يئن ولا يمل ، ومن ثم يخرج في نهاية المطاف منتصرا ظافرا بدينه وكرامته وحريته ، بسبب هذه التشريعات التي انتصرت على الاضطهاد والتي منها ما يلي :

أولا : تحرير الإنسان من العبودية :

عمل الإسلام على تحرير الإنسان من الرق والعبودية ، لأن إنسانية الإنسان لا تتحقق دون حريته ، ولأن تحكم الآخرين وتدخلهم في شؤونه فيه تعطيل لميزة الانتفاع بنعمة العقل والإدراك ، ولهذا حرم الإسلام

١- الحرية في اللغة : جاء ابن الحر بالضم ضد العبد ، وحرره إذا اعتقه وتركه وشأنه . انظر : مختار الصحاح (ص ١٢٩) والمعجم الوسيط (ص ١٤٣) ومفهوم الحرية في الاصطلاح : " هي غياب الإكراه والقيود التي يفرضها طرف آخر ، فالإنسان يوصف بأنه حر عندما يكون قادرا على اختيار هدفه وطرقه

٢- سورة البقرة آية رقم (٣٠)

استرقاق الحر دون سبب مشروع ، غالبا ما يكون بعد الأسر في الحرب [1] ومنع الإسلام استرقاق المؤمن أصلا فقال - صلي الله عليه وسلم - : " قال الله عز وجل في الحديث القدسي : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطي بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفي منه ولم يعطه أجره " [2] ، وفتح الإسلام أبواب الحرية فجعل العتق سبيل التكفير في اليمن ، والظهار والقتل ، ومصرف من مصارف الزكاة ، وحث الأرقاء على طلب المكاتبة ، وجعل الأمة التي تلد لسيدها ولدا تصير به حرة " وأعطي الأرقاء كل الحقوق التي للأحرار ، وأمر الأحرار بالعطف عليهم ، وبين أنهم مثلهم في كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم " [3] فوضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - السيد والعبد في مرتبة واحدة ، وجعل أولئك إخوانا لهؤلاء ، ورتب على ذلك أنه لا ينبغي أن يمنع العبد شيئا مما ينعم به مولاه في المأكل والمشرب والملبس [4] . بهذه التشريعات فتح الإسلام الباب على مصراعيه لتحرير العبيد والأرقاء والضعفاء وعملت على تخليصهم من سلطان المستبدين الظالمين .

ثانيا : حرية الاعتقاد :

حرية الاعتقاد في الإسلام هي إحدى المعالم الأساسية التي واجه بها الإسلام المضطهدين ، وذلك لأنه ولم يحدث في تاريخ الإسلام أن أكره أحدا

١- انظر : الدكتور علي عبد الواحد - حقوق الإنسان في الإسلام - الطبعة الخامسة ١٩٧٩م - (ص ٢٠٤) .

٢- صحيح البخاري جـ٢ (ص ٦٦٨) رقم ٢٢٧٠ طبعة ١٩٩١ المكتبة العصرية لبنان .

٣- صحيح البخاري جـ ٤ (ص١٩١٠) رقم ٦٠٥٠ طبعة ١٩٩١ المكتبة العصرية لبنان

٤- راجع : الدكتور علي عبد الواحد - حقوق الإنسان في الإسلام - الطبعة الخامسة ١٩٧٩م - (ص ٦

أو أجبر قوما على اعتناقه ، كما حدث ويحدث في تاريخ النصرانيـة التـي تعمل ليل نهار على إجبار المسلمين على ترك دينهم وتنصيرهم بالقوة . كما حدث في الأندلس ، وما يحدث الآن من حملات التنصـير فـي كـل أرض الإسلام .

لقد قرر الإسلام في صدد الحرية الدينية أربعة قواعد هي أسمى مـا يمكن أن يصل إليه أي تشريع في حرية الأديان والمعتقدات .

١ – *عدم الإكراه على الدين :*

من المبادئ التي وضعها الإسلام لمواجهة الاضطهاد عدم إكراه أي إنسـان على ترك دينه ، واعتناق الإسلام ، وفي هذا يقول تعـالي " لا إكـراه فـي الدين قد تبين الرشد من الغي " [١] وقال سبحانه " وقل الحق من ربكـم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " [٢] ويقول مخاطبا رسوله – صلى الله عليه وسلم – : " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعـا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " [٣] .

ومن ثم كان مبدأ عدم الإكراه في الدين منهج إلهي في نشـر الإسـلام وتكريم من الله للإنسان ، واحترام لإرادته وفكره ومشـاعره . ولـهذا فالإسلام لا يكره أحدا على اعتناقه ، وإنما يكره الذين يمنعون النـاس من النظر الحر والرؤية المجردة والفكر المستنير ، وعلى هـذا سـار المسلمون في معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخـرى ، فكـانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه ، أن يبقوا علـى دينـهم ، مـع أداء الجزية والطاعة لهم ، وفي مقابل ذلك يحمونـهم مـن كـل اعتـداء ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم ، وفي هذا يقول عمـر بـن

١- سورة البقرة آية رقم (٢٥٦) .

٢- سورة الكهف آية رقم (٢٩) .

٣- سورة يونس آية رقم (٩٩) .

الخطاب رضي الله عنه – في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له : " هذا ما أعطي عمر أمير المؤمنين أهل إيليـــاء مـــن الأمـــان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم .. لا تسكن كنائســـــهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها .. ولا يكرهون علي دينـــــهم ولا يضار أحد منهم " [1] . وعندما جاءت امرأة عجوز إلى أمير المؤمنيـــن عمر بن الخطاب في حاجة لها ، فقال لها : أســـلمي تســـلمي ، إن الله بعث محمدا بالحق ، فقالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت إلـــى أقـــرب ، فقضي لها حاجتها ولكنه خشي أن يكون مسلكه هـــذا ينطـــوي علـــى استغلال حاجتها لمحاولة أكراهها على الإسلام ، فاستغفر الله مما فعـــل وقال : " اللهم إني أرشدت ولم أكره " [2] .

بل بلغت رقة التشريع في الإسلام وحساسيته إلى إباحة الزواج بالكتابية وعدم إرغامها على ترك دينها ، بل لا يجوز للمسلم المتزوج بكتابية أن يمنعها من أداء عبادتها وشعائرها [3] . فأين هذا مما فعلته الصليبيـــــة الحاقدة ، التي قامت بأكبر مجزرة عالمية لثمانية مليـــون مســـلم فـــي الأندلس ، وأين هذا من وسائل التعذيب والقمع التي زاولتـــــها محـــاكم التفتيش الكنسية ضد المسلمين لإجبارهم على ترك دينهم ، ودخولـــــهم في المسيحية متذرعين بأن المسيح قال لهم : " أجبروهم على اعتناق دينكم " [4] ففي عام ١٤٩٩م تولي الكاردينال "سيســـــنيروس " مهمـــة تنصير المسلمين بكل صرامة ، تحت رعاية الملك الكاثوليكي " الكونت دي تانديا " فتم تعميد جميع الأهالي بالقوة بين سنتي ١٥٠٠م وســـــنة

١- الدكتور علي عبد الواحد – حقوق الإنسان في الإسلام الطبعة الخامسة ١٩٧٩م – مطبعة نهضة مصر – (ص ٢٢٠) .
٢- تفسير القرطبي – جـ ٣ (ص ١٢٠٣) .
٣- الدكتور علي عبد الواحد – حقوق الإنسان في الإسلام – الطبعة الخامسة ١٩٧٩م – (ص ٢٢١)
٤- الدكتور توفيق الطويل – قصة النزاع بين الدين والفلسفة – الطبعة الثانية – مكتبة مصر – (ص ٨٣) .

١٥٠١م ، ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلي كنائس ، وفي ١٢/١٠/١٥٠١م ، صدر مرسوم آخر بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية ، فأحرقت آلاف الكتب في ساحة الرملة بغرناطة ، هذا بخلاف محاكم التفتيش التي انتشرت في كل المدن الأندلسية ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وألمانيا لمتابعة المسلمين والتجسس على من يظهر الإسلام ، وفي سنة ١٥٢٣م صدر مرسوم ملكي ، يحتم فيه تنصير كل مسلم ، ومن أبى يعذب حتى الموت ، وتوالت القرارات والمرسومات التعسفية ضد المسلمين ، ولما دخل اليأس نفوس بعض المسلمين الأندلسيين ، وثاروا في منطقتي سرقسطة . وبلنسية ، فقامت الدولة بدعوة النصارى – المتطوعين – من كل أوربا لمحاربة المسلمين . وتكون جيش ضخم بقيادة الملك " كار لوس الخامس " نفسه في أواخر سنة ١٥٦٢م فقتل الجم الغفير من المسلمين ، واسترق عددا كبيرا منهم ، وأجبر الباقين على التنصير " [1] . وبهذا خرج الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون غامرة بالإيمان والتقوى ، والصلاح والفلاح ، ولم تقف الأحقاد الصليبية عند هذا الحد ، بل تابعت عمليات التنصير حتى يومنا هذا عن طريق الحروب الصليبية تارة ، والاستعمار تارة ثانية ، وحملات التبشير والتنصير لجميع البلدان الإسلامية تارة ثالثة .

٢- *حرية المناقشات الدينية :*

من المبادئ التي وضعها الإسلام لحرية الاعتقاد وعدم الإكراه أن الله أمر المسلمين أن يلتزموا جادة العقل والمنطق في مناقشاتهم مع أهل

١- الدكتور علي المنتصر الكتاني - الصحوة الإسلامية و الأندلس اليوم - جذورها ومسارها -- (ص ٣٩-٤٦) سلسلة كتاب الأمة العدد رقم (٣١) الطبعة الأولى . وراجع : الأستاذ محمد علي قطب - مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس - طبعة مكتبة القرآن -- (ص ٥٠ - ٥٧) .

الأديان الأخرى وأن يكون عماد هذا النقاش قائم على الحجة والدليل والبرهان يقول تعالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " [1] ويقول تعالي مخاطبا أهل الأديان : " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " [2] ويقول : " هل عندكم من علم فتخرجوه ، لنا " [3] ويقول سبحانه : " قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم أن كنتم صادقين " [4] بهذا المنهج القرآني الحكيم أمر الله عباده المسلمين ، أن يناقشوا أهل الكتاب بالحجة والدليل والبرهان ، وبغير عنف أو قهر أو إذعان !! .

٣- *النهي عن التقليد والاتباع :*

احتراما للإنسان وتكريما لعقل الإنسان ، والكلمات المدركة فيه بين القرآن الكريم أن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثا عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع ، وبذلك حطم الإسلام قواعد التقليد ، وإهمال النظر والتفكير الحر فيما حولهم ، وأهاب بالناس أن يجعلوا عمادهم في العقيدة قائم على العقل والمنطق السليم والنظر والتفكير الحر ، ومن ثم ذهب بعض العلماء إلى أن إيمان المقلد غير صحيح ، وأخذ الله على الكافرين والمشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم . قال تعالي : " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " [5] وقال تعالي : " وإذا قيل لهم

١- سورة العنكبوت آية رقم (٤٦) .

٢- سورة البقرة آية رقم (١١١)

٣- سورة الأنعام آية رقم (١٤٨) .

٤- سورة الأحقاف آية رقم (٤) .

٥- سورة البقرة آية رقم (١٧٠) .

تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون " [1] يقول الإمام محمد عبده : إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وأن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربي على التسليم بغير عقل وعلى العمل - ولو صالحا - بغير فقه فهو غير مؤمن " [2] .

٤- إباحة الاجتهاد :

من الحرية الدينية التي أمر بها الإسلام أنه أباح الاجتهاد في فروع الشريعة لكل قادر عليه ، وهو ، المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط . فيباح لكل مسلم توافرت فيه هذه الشروط أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها ، وله أن يجهر برأيه ، وأن يحترم رأيه حتى ولو كان غير صحيحا في نظر غيره لأن المجتهد مشكور في اجتهاده إن أصاب فله أجران وأن أخطأ فله أجر [3] .

ثالثا : حرية التفكير العلمي :

من الأمور التي واجهت الاضطهاد وتغلبت عليه أن الإسلام أزال القيود والأغلال التي كبلت العقل وقيدته ، حيث إنه دعا إلى التفكير العلمي ، وأمر أن يكون لكل فرد الحق في فهم ظواهر الطبيعة والحيوان والإنسان ، " وأثار في نفوس المسلمين أن يفكروا في جميع الأمور وجميع الأشياء التي بثها الله في الكون والإنسان ، بل ويفكروا في الأمور التي لا تثير انتباههم بسبب تكرر حدوثها وسيرها على وتيرة واحدة ، الشمس والليل والنهار والقمر والكواكب ، وتتابع الفصول ، وتناسل الحيوان وتكاثر

١- سورة المائدة آية رقم (١٠٤) .

٢ - انظر : الإمام محمد عبده - رسالة التوحيد (ص)

٣ انظر : الدكتور علي عبد الواحد - حقوق الإنسان في الإسلام - الطبعة الخامسة ١٩٧٩م - (ص ٢٢١ - ٢٢٢) بتصرف .

النبات ، وغير ذلك مما بثه الله في كونه [١] ، فقال تعالي " أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء :" [٢] وقال سبحانه : " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " [٣] وقال سبحانه : " أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت " [٤] .

فأين هذا مما ارتكبته الكنيسة باسم المسيحية ، فحجرت على العقول وأمسكت بخناق كل عالم يقول برأي يخالف ما تصورت واعتقدت والتزمت به الكنيسة وجعلت من نفسها قيما على أفكار الناس وعقولهم ومداركهم ، وعطلت في الذات الإنسانية ، ما منحه الله تعالي من تكريم وتمييز ، وما أمر العالم " جاليليو " وغيره يخاف عن أسفار التاريخ !!

١- المصدر السابق (ص ٢٣٠ - ٢٣١) .
٢- سورة الأعراف آية رقم (١٨٥) .
٣- سورة البقرة آية رقم (١٦٤) .
٤- سورة الغاشية آية رقم (١٧ - ٢٠)

المبحث الثالث

الأخلاق الإسلامية في مواجهة الاضطهاد

كانت ومازالت الأخلاق الإسلامية التي جاء بها الإسلام ، مبدأ من المبادئ الأساسية في مواجهة الاضطهاد ، وكسر شوكته ، ومبدأ أساسي في نشر الدعوة ودخول الناس في دين الله تعالى . ذلك لأن الأخلاق في الإسلام آداب ربانية مصدرها وحي الله تعالى ، ولهذا لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية ، إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع ، فالعدل والإحسان ، والبر والصلة والتعاون على البر والتقوى ، واحترام النظام . والصدق والعفاف ورعاية الأمانة والوفاء بالعهد . والإخلاص في السر والعلانية ، وقول الحق في الغضب والرضا . والقصد في الفقر والغنى ، والصبر في البأساء والضراء ، وحين البأس ، وكف اليد واللسان عن إيذاء الناس ، وطهارة القلب من الغل والحسد والرياء والنفاق كل هذه الأخلاق لا تتغير ولا تتبدل حسب المطامع والمنافع ولا حسب المغانم والأسلاب ، ولا مع الأعداء والأصدقاء [1] .

الأخلاق بين المسيحية والإسلام :

وإذا نظر إلى أخلاق المسيحيين فإن ما شهدته البشرية في الحقبة التي سيطرت فيها أوربا المسيحية ، من أخلاق ما هي إلا مثلا من عهود الغابة ، وصورا من شرائع الذئاب . شرائع الغدر والنفاق ، ونقض العهود وخيانة الوعود ، وتمزيق الاتفاقيات ، ووصف المعاهدات بأنها قصاصات من الورق . كما أن البشرية شهدت من وحشية المسيحيين في الحروب ما تخجل الوحوش أن تأتيه ، ابتداء من الحروب الصليبية على الشام ومصر ، وذبح ثمانية مليون مسلم في الأندلس ، ومرورا بالاستعمار البغيض وأخلاقه المتعفنة ، ثم الوحشية السافرة في الحرب العالمية الأولى والثانية وقنبلتا

---

(١) انظر [illegible] (ص٣٩) [illegible]

هيروشيما وناجازاكي ، والوحشية البربرية التي تمارسها بريطانيا وأمريكا على شعب العراق الأعزل وما يمارسه المسيحيون الصرب ضد أهل البوسنة ، كل هذا يتماشى مع أخلاقهم المادية التي تقوم على المطامع والمنافع .

أما أخلاق الإسلام فهي تنطلق في الأرض من وحي إلهي ، لا يبرر المنكر ، ولا يصف الغدر والنفاق والكذب بالبراعة والذكاء ، ولا يصف القسوة والجريمة والوحشية بالبطولة الحربية .

إن الأخلاق في الإسلام لا تقبل التجزيء ولا التغيير ولا التشكيل ولا التلوين ، حتى مع الأعداء وسوف نكتفي بذكر نموذجين يوضحان سمو الأخلاق الإسلامية حتى مع الأعداء :

النموذج الأول : الوفاء بالعهد :

لقد جعل الإسلام الوفاء بالعهد مع الأصدقاء والأعداء دينا وقانونا ربانيا وإنسانيا ، وخلقا أصيلا من أخلاق المؤمنين ، مهما فوت عليهم من مكاسب مادية ، ومهما سبب لهم من خسائر ومتاعب ، لأن الإسلام دين حق وعدل وهداية واستقامة ، والوفاء بالعهد عنوان الاستقامة ، وقاعدة الثقة التي تقوم عليها حياة الفرد وبناء الجماعة في التعامل بين الناس . قال تعالى : " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " [1] وقال سبحانه : " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا " [2] وقد عظم الله الوفاء بالعهود والموفين به ، بقدر ما حقر الذين ينقضون عهودهم فقال تعالى : " إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق " [3] وقال تعالي " الذين ينقضون عهد الله من

١- سورة النحل آية رقم (٩١)

٢- سورة الإسراء آية رقم (١٧)

٣- سورة الرعد آية رقم (١٩ ، ٢٠)

بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار " [١] وقال سبحانه : " إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون " [٢] ولهذا لم يتخذ الإسلام عن مسلك الوفاء بالعهد ، لا في سلم ولا في حرب ، وكان واقعا حيا وسلوكا عمليا في حياة المسلمين ، وفي علاقتهم بغيرهم ، ولو ذهبنا نستعرض الواقع التاريخي للإسلام لطال الحديث .

من ذلك ما حدث به أبو رافع يقول : بعثتني قريش إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وقع في قلبي الإسلام ، فقلت : يا رسول الله لا أرجع إليهم - وكان ذلك أثناء معاهدة الحديبية - قال إني لا أخيس بالعهد [٣] ولا أحبس البرد [٤] ولكن أرجع إليهم فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع .

وحينما كان سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صلح الحديبية جاء ابنه أبو جندل يرسف [٥] في القيود والأغلال ، فارا بدينه من المشركين ، فأخذ أبوه بتلابيبه .. ولم يكن العهد قد كتب ، ولكن الاتفاق تم – وقال يا محمد ، لقد لجت القضية بيني وبينك ، وهذا أول من قاضيتك عليه : فقال له : " صدقت " فصاح أبو جندل يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني [٦] ورغم أن المسلمين

١- سورة الرعد آية رقم (٢٥) .

٢- سورة الأنفال آية رقم (٥٥ ، ٥٦) .

٣- لا أخيس بالعهد أي لا أنقضه

٤- لا أحبس البرد أي الرسل الذين يحملون البريد .

٥- يرسف : أي يمشي مثقلا بقيود .

٦- انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٧ (ص ٤٥٣) والفتح الرباني على مسند أحمد جـ ٢١ (ص ٩٩) والسيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ (ص ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

أصابهم في ذلك هم وكرب إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ردده على المشركين وفقا للشروط التي اتفق عليها !!

النموذج الثاني : العفو والصفح :

من الأخلاق الإسلامية التي يعرفها القاصي والداني ، خلـــق العفـــو والصفح ، وقد أوجب هذا الخلق على المسلمين أن يتعاملوا مـــع الآخريـــن على مبدأ العفو عند المقدرة ، ومن لا يرحم لا يرحم ، والراحمون يرحمـــهم الرحمن ، وقد طبق رسول الله – صلى الله عليه وسلم -- هـــذا المبـــدأ فـــي معالجة قضايا المشركين واليهود والمنافقين . فكفار مكة "قال لهم :"اذهبـــوا فأنتم الطلقاء " واليهود" أخبرهم بأنهم نقضوا العهد وأنهم أصبحـــوا محـــاربين" وأستعمله مع المنافقين ، فقد قدم الصحابة – رضوان الله عليهم – للنبي – صلى الله عليه وسلم – اقتراحا يتعلق بإنهاء حركة النفاق نهائيا ، فقد جاءه : أسيد بن الحضير وقال "يا رسول الله ، مر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بـــهذا – أي بالنفاق – فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته ، وإن أحببت فنبئنـــي بهم ، والذي بعثك بالحق لا نبرح حتى آتيك برؤوسهم " فإن مثل هـــؤلاء لا يتركون يا رسول الله حتى متى نداهنهم ، وقد صاروا اليـــوم فـــي القلـــة والذلة " [١] .

وجهة نظر سيدنا أسيد : أن الإسلام قويا ومنتشرا وأنـــهم حـــاربوا الإسلام كثيرا لكن أسس الدعوة ليست هي القســـوة ، بـــل هـــي الرحمـــة والدعوة الإسلامية تتحرك داخل إطار قيم الإسلام وأخلاق الإسلام . ولذلـــك رفض رسول الله – صلى الله عليه وسلم -- اقتراح أســـيد بـــن الحضـــير . ويقول له : " رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يا أسيد : إني أكـــره أن

١- راجع : إمتاع الأسماع - جـــ ١ (ص ٤٧٨ - ٤٧٩) والدكتور ... شلبي الدعوة الإسلامية في عهد المكي الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢م (ص ٣٣٦) .

يقول الناس إن محمدا لما أنقضت الحرب بينه وبين المشركين ، وضع يده في قتل أصحابه فقال أسيد بن الحضير : يا رسول الله : هؤلاء ليسوا بأصحاب ؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – أو ليس يظهرون شهادة ألا إله إلا الله ؟ قال أسيد : بلي ، ولا شهادة لهم . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : أو ليس يظهرون أني رسول الله ؟ قال : بلي ولا شهادة لهم ؟ قال : فقد نهيت عن قتل أولئك " وسئل الإمام القرطبي : عن حكمة كفه – صلى الله عليه وسلم – عن قتل المنافقين مع علمه بأعيانهم فذكر أجوبة منها أنه – صلى الله عليه وسلم – قال لعمر – رضي الله عنه : " أكره أن يتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه " [1] لقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعفو عمن ظلمه ويصفح عن المسيء ولم يعامل أصحاب السوء بإساءاتهم حتى مع المشركين . قال ابن إسحاق : " جلس عمير بن وهب الجحمي ، و صفوان بن أمية ، وكان عميرة شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله – صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء شديدا وهو بمكة ، وكان أبنه وهب بن عمير ، في أسارى بدر ، فقال عمير لصفوان ، لولا دين علي ، وعيال لدى ، أخشى عليهم الفقر ، لركبت إلى محمد ، حتى أقتله .. فقال صفوان : دينك علي ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، فقال له عمير أفتكتم شأني وشأنك لقتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما دخل على رسول الله – صلى عليه وسلم – قال له : ما جاء بك يا عمير ؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : متجها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا – قال : أصدقني ، ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : بل قعدت أنت وصفوان بين أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب

---

١ – ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ ١ (٤٨ – ٤٩)

القليب – أي أسرى بدر – من قريش . ثم قلت : لولا دين على وعيال لدي لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك .. قال عمير ، أشهد أنك رسول الله – ثم شهد عمير شهادة الحق فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقهوا أخاكم في دينه ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .. قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعوا إلى الإسلام .. فأسلم على يديه ناس كثير [1] بهذا الخلق ، وبهذا السلوك الرفيع ، انتشر الإسلام وانتصر على المضطهدين ، وفتح لهم طريق الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

١- أبو الفداء إسماعيل بن كثير - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى عبد الواحد - طبعة دار المعرفة سنة ١٩٧٦م - بيروت لبنان - جـ ٢ (ص ٤٨٦ - ٤٨٨) باختصار .

ستانوس الجالوس ٥ = ٤٠ ٤٨

ستال -- ٥ = ٥٥ ٥٢

بلاستك برتكال -- ٥ = ١٤ ٥٤

بستلية صيد -- = ٢٨

٢٠